سلسلة كتب علم الاجتماع
الكتاب رقم (٨٨)

المدينـــة

دراسة فى علم الاجتماع الحضرى



الدكتـور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراة فى علـم الاجتماع

كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام / أستاذ

جامعة الأسكندرية (سابقـاً)

أستاذ زائـر - كلية الآداب - جامعة أسيوط



المدينة

دراسة فى علم الإجتماع الحضرى

سلسلة كتب علم الاجتماع
الكتاب رقم (٨٨)

المدينة

دراسة فى علم الإجتماع الحضرى

دكتور
حسين عبدالحميد أحمد رشوان
دكتوراه فى علم الاجتماع
كبير مدرسى علم الاجتماع بدرجة مدير عام
أستاذ جامعة الاسكندرية (سابقا)

الطبعة السابعة
مزودة ومنقحة

٢٠١٣



دار الكتب والوثائق القومية	
عنوان المصنف	المدينة دراسة في علم الاجتماع.
اسم المؤلف	حسين عبد الحميد رشوان.
اسم الناشر	المكتب الجامعي الحديث.
رقم الايداع	2012/20854
الترقيم الدولي	978-977-438-622-7.
تاريخ الطبعة	السابعة أغسطس 2012.

إهداء وشكر وتقدير

إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى – أستاذ ورئيس قسم الإجتماع – عميد كلية الآداب – جامعة المنيا (سابقاً).

وأقدم شكرى وتقديرى للأستاذ الدكتور / محمد صفى الدين حامد رئيس قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية – لملاحظاته التى أمدنى بها ولما قدمه لى من عون.

إليكما أتقدم بأسمى مشاعرى وأعز أمانى، داعيا لكما بالتوفيق والصحة.

محتويات الكتاب

المقدمة

تستهدف هذه الدراسة إلقاء الضوء على المدينة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تختص بدراستها علم الإجتماع الحضرى الذى ينتمى بدروه إلى علم الإجتماع العام.

والتفكير فى المدينة هو محاولة قديمة. فقد تناولها الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو، كما كتب العالم الإيطالى جيوفانى بايترو (١٥٩٨) كتابا بعنوان "عظمة المدن The Greatness of cities" ونظر علماء السياسة إلى المدينة باعتبارها وحدة من القوانين أو شكلاً من أشكال الحكومات. كذلك اهتم المؤرخون بتاريخ المدن. وتناول علماء الجغرافيا المدن من زاوية مهن سكانها وموقعها وتوزيع المساحات الفيزيقية.

واهتم علماء الاجتماع بدراسة المدن. ويتمثل ذلك فى دراسة تشارلس بوث للحياة والعمل لسكان لندن ١٨٨٩. وألف أدنا فيبر كتاباً بعنوان "نمو المدن فى القرن التاسع عشر The Growth of cities in the Nineteenth century"، ونشر ماكس فيبر كتابه "المدينة Die Stadt".

ومن المفكرين من فسر المدن فى ضوء ثنائيات تقابل بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى. ومنهم من فسرها فى ضوء العوامل الإيكولوجية، ومنهم من تناولها فى ضوء القيم الثقافية.

وقد استخلصت من هذه النظريات فرضاً مؤداه أن العوامل الجغرافية والاجتماعية كالقرابة والدين والسكان، والعوامل الاقتصادية والسياسية والحربية تلعب دوراً كبيراً فى نشأة المدن ونموها، ويترتب على ذلك أن المخطط الحضرى يجب أن يضع هذه العوامل فى اعتباره عند تخطيط المدن أو إعادة تخطيطها.

ولتحقيق هذا الفرض استخدمت المنهج التاريخى. فقد تتبعت ارتباط الظواهر الاجتماعية بظاهرة نشأة المدن وعوامل نموها وتطور العمارة عبر التاريخ. واستخدمت كذلك المنهج المقارن. إذ قارنت بين المدن فى العصور المختلفة، وبين مدن القرن العشرين فى العالم الشرقى والغربى ومدن المجتمعات النامية. كما لجأت إلى المنهج الإحصائى، ذلك أن تطبيق النماذج الإحصائية يساعد على تحليل الحقائق، وإن كمال العلم هو فى إمكانية صياغة نتائجه فى صور كمية. كذلك فإن المنهج الإحصائى هو الوسيلة التى تستخدم فى دراسة الظواهر التى لا نستطيع أن نجرى عليها تجارب. وتطبيقاً لذلك أوردت العديد من الأرقام والجداول الإحصائية وقمت بتحليلها.

واستخدمت فى هذه الدراسة العديد من المراجع، والتى يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات رئيسية، كتباً عربية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب د. زيدان عبد الباقى علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية. أما المجموعة الثانية فهى كتب مترجمة مثل كتاب جيرالد بيريز. مجتمع المدينة فى البلاد النامية. والمجموعة الثالثة كتب أجنبية مثل كتاب: Peter H. Mann, An Approach to ursantociology

وتصنف هذه المراجع كذلك إلى مجموعتين رئيسيتين، مجموعة تخص علم الاجتماع الحضرى، وأخرى تخص المدن والعمارة، أذكر منها كتاب د. كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية فى مصر، وكتاب لويس ممفورد، المدن على مر العصور، وكتاب Brain Richard, Moving in cities.

وقد قسمت هذا المؤلف إلى ستة فصول تناولت فى الفصل الأول التعريف بعلم الاجتماع، وعلاقته بالعلوم الاجتماعية الأخرى، مما نتج عنه فروع لعلم

الاجتماع، كعلم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع الأخلاقي، وعلم الاجتماع القانوني، وعلم الاجتماع السياسي، وعلم الاجتماع الاقتصادي ... كما يتفرع عن علم الاجتماع العام، علم الاجتماع الريفي، وهو علم يختص بدراسة الحياة الاجتماعية في الريف / القرية. وفي مقابل علم الاجتماع الريفي ظهر علم الاجتماع الحضري، وهو موضوع هذا الكتاب.

وتناول **الفصل الثاني** علم الاجتماع الحضري، مبيناً ماهيته، ونشأته، ثم التعريف بالمدينة مستخلصاً من ذلك اعتبار المدينة ظاهرة اجتماعية، حيث ينطبق عليها شروط هذه الظاهرة وبيَّن هذا الفصل سمات المدن، ومظاهرها، وكذلك تصنيفاتها.

وتناول **الفصل الثالث** نشأة المدن ومراحل نموها، والعوامل التي تعمل على نشأتها ونموها، وهي العوامل الجغرافية، ونسق القرابة، والعوامل السكانية، والاقتصادية، والسياسية، والحربية والثقافية.

وفي **الفصل الرابع** ألقيت الضوء على المدن في البلاد النامية – دول آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية. ففي هذه البلدان تعد المدن ظاهرة قديمة تضرب بجذورها في أعماق الماضي البعيد. وهي في الواقع دراسة في التناقض بين القديم والجديد – أي بين رواسب الحياة الريفية، والتجديدات الواردة من الغرب.

وتناول الكتاب في **الفصل الخامس** مشكلات المدن، فقد تنتج عن عملية التنمية الحضرية الكثير من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية كالجريمة والصراعات السلالية، وتكدس السكان في مساكن ضيقة سيئة التهوية، هذا بالإضافة إلى مشكلات المرور، والإضاءة والمياه والمجاري.

وأخيراً تناولت فى الفصل السادس تخطيط المدن من حيث لا يقتصر تخطيطها على الاعتبارات الفيزيقية التى تتمثل فى الموقع والحجم، بل ويقوم على استراتيجية مؤداها إدراك أهمية المظاهر الديموجرافية والاجتماعية والثقافية والسلوكية، ولهذا تسهم علوم الهندسة المعمارية والمدينة وعلوم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والسياسة مساهمة فعالة فى عملية تخطيط المدن.

وأرجو أن أكون قد وفقت، والله ولى التوفيق.

المؤلف

دكتور/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان

الطبعة الأولى ١٩٨١

الطبعة الثانية ١٩٨٤

الطبعة الثالثة ١٩٨٦

الطبعة الرابعة ١٩٨٨

الطبعة الخامسة ١٩٨٩

الطبعة السادسة ١٩٩٨

الفصل الأول

ماهية علم الاجتماع

مجال وتعريف علم الاجتماع :

كل علم من العلوم له مجاله الخاص الذى يدرسه، فمجال علم الطبيعة دراسة الظواهر الطبيعية كالحرارة والضوء والكهرباء ... الخ، ومجال علم الكيمياء المتفاعلات ومعرفة عناصر المواد ... الخ، وعلم الفلك مجاله الكواكب والنجوم ... الخ، وعلم النفس مجاله السلوك الفردى للإنسان ... الخ. فما هو إذن مجال علم الاجتماع؟ وكيف نعرفه؟

لاقت كلمة "علم الاجتماع" الكثير من أنواع الخلط، فقد اعتبره البعض فن الخدمة الاجتماعية، وعلاج مشكلات كمشكلة السكان والفقر والجريمة. ويميل الآخذون بوجهة النظر هذه إلى اعتبار أن المظهر التطبيقى لعلم أو فن الخدمة الاجتماعية يجعل علم الاجتماع دون مستوى العلم، وأدنى من العلوم الأخرى.

والواقع غير ذلك – فالهدف الرئيسى من علم الاجتماع هو الحصول على المعلومات والوقائع الاجتماعية ودراستها دراسة تحليلية وضعية علمية صحيحة بقصد اكتشاف القواعد والقوانين التى يمكن الاعتماد عليها فى الكشف عن الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بما سيحدث فى المستقبل. أما الخدمة الاجتماعية فهى علم أو فن تطبيقى يهدف إلى مساعدة الناس على حل مشاكلهم وتطبيق الوسائل العلاجية لإصلاح عيوب المجتمع. والأخصائى الاجتماعى يمكنه استغلال معلومات وقوانين ونظريات علم الاجتماع من الناحية العملية فى رسم خططه لتنسيق المجتمع.

ويدلنا تاريخ الدراسة العلمية الاجتماعية - كيف أثرت البحوث الاجتماعية فى جذب أنظار الرأى العام والأخصائيين نحو موضوعات ومشكلات اجتماعية كالجريمة والانتحار والأسرة ... الخ، ومن أمثلة ذلك دراسة "لوبلاى" لميزانية أسر العمال فى فرنسا من حيث الدخل والمنصرف، ودراسة "بوث" فى انجلترا لمستوى الفاقة وما أطلق عليه خط الفقر، ودراسة "هوارد" فى انجلترا عن السجن والمسجونين، والدراسة التى قام بها "رايس" فى نيويورك عن مستوى المعيشة المنحط لدى آلاف السكان فى تلك المدينة. وكان لهذه الأبحاث والدراسات أثرها الواضح فى جذب أنظار المصلحين الاجتماعيين، وتنمية الوعى إزاء مسائل ومشكلات اجتماعية، كان يمكن أن تظل كما هى وبدون علاج.

ومن هنا فإن علم الاجتماع يختلف فى تعريفه عن علم الخدمة الاجتماعية، وإن كان بينهما ارتباط وثيق.

ويميل الغربيون إلى القول بأن علم الاجتماع فى نظر علماء العالم الاشتراكى أو الشيوعى وسيلة لتحقيق الاشتراكية أو الشيوعية أو تنفيذ سياسة اقتصادية ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص. ومبنى هذا نظرة علماء المجتمعات الاشتراكية والشيوعية إلى علم الاجتماع على أنه وسيلة لايقاف تيار البورجوازية[1].

ويرد على ذلك بأن الاشتراكية والشيوعية والأيديولوجية البورجوازية هى عقائد ومذاهب اقتصادية. حقيقة أنها ذات فائدة لعلم الاجتماع، لأن العقائد الاقتصادية إنما هى مظهر ثقافى فى المجتمع، ولكنها تختلف عن علم الاجتماع من حيث الهدف والمنهج إن العقيدة الاقتصادية هى مذهب وبرنامج

1- Peter worseley, Introducing Sociology, P. 19.

للتقويم أو الإصلاح الاقتصادى، بينما علم الاجتماع هو علم يحاول فهم السلوك الإنسانى، فهو علم لوجود طائفة من الظواهر يقوم بدراستها هى الظواهر الاجتماعية، وهو علم لخضوع هذه الظواهر لمناهج البحث العلمى، وهو علم لسعى رجل الاجتماع إلى الوصول على ضوء مناهج البحث إلى مجموعة من القوانين العلمية، وتلك هى الشروط المتوفرة فى العلوم الأخرى.

ويعتبر البعض علم الاجتماع رسم وتخيل مثالى، أو يلصقون بكلمة اجتماعى كل ما نقول وما نكتب عن السياسة والأخلاق، أو يخلطون فى ثنايا كلمة "اجتماع" بين "العلم والفن"، أو قد يلقبون العالم الاجتماعى بأنه كل مثالى أو مصلح دينى. والحقيقة أن مجال وتعريف علم الاجتماع يختلف عما سبق ذكره.

أما علماء الاجتماع فقد تعددت تعريفاتهم "لعلم الاجتماع" طبقاً لوجهة نظر واتجاه ومذهب كل منهم، وقد مالوا جميعاً إلى التعريف المختصر. فها هو "ليتريه"[١] قد عرف علم الاجتماع فى قاموسه بأنه: "علم تقدم المجتمعات الإنسانية". ونعترض على كلمة تقدم بأنها تعبر عن فلسفة متفائلة. فهذا التعريف يميل إلى ناحية الفلسفة لا إلى ناحية العلم الوضعى الذى يبحث فيما هو كائن فعلاً.

ويعتبر "جورج اندبرج"[٢] من أبرز من قال بأن علم الاجتماع هو "علم المجتمع"، باعتبار أنه العلم الذى يختص بكل ما هو إنسانى اجتماعى، أو بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية

١- رينيه مونييه. المدخل فى علم الاجتماع. ص١٨.

٢- د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع - النظرية والمنهج والموضوع. ص١٣٢ وما بعده.

الإنسانية، ذلك أن المجتمع عبارة عن سلوك أى جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم فى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة.

وعرف "أوجبرن Ogburn" و "نيمكوف Nimkoff" علم الاجتماع بأنه "الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية"، ويقولان أن الحياة الاجتماعية تقوم على التفاعل، والتفاعل يؤدى إلى التنظيم الاجتماعى الذى يؤدى بدوره إلى خلق أشياء كثيرة كالمبانى والموسيقى والأخلاق والآلات - أى خلق الثقافة. وعلى هذا فإن الجماعات والمجتمعات تكون موضوعاً صالحاً لعلم الاجتماع. وعلم الاجتماع فى نظرهما هو العلم الذى ينبغى أن يعالج الخصائص المشتركة بين الجماعات والمجتمعات المختلفة. وواضح أن "أوجبرن" و "نيمكوف" يتفقان مع لدبرج فى أهمية الجماعة والتفاعل، ولكنهما يضيفان التنظيم الاجتماعى، كما أنهما يتفقان معه أيضاً فى اعتبار الثقافة (نتيجة التفاعل المنتظم) جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية.

ويرى روبرت ماكيفر R. Maciver أن علم الاجتماع يعنى العلاقات الاجتماعية، ونحن نطلق على هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية الكلمة الاصطلاحية: المجتمع. فمثلاً تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية الإنسان (وعلى الأخص الإنسان البدائى) متناولة مجمل نشاطه وإنتاجه من فنون ووسائل مادية وأساطير وخرافات. ويدرس علم الاقتصاد الإنسان كساع وراء جمع الثروة أو متصرف فيها بالإنفاق. ويدرس علم التاريخ سجل حياة الإنسان مرتباً أحداثه الهامة ترتيباً زمنياً. ويدرس علم النفس الإنسان من حيث كونه فرداً ذا سلوك. أما علم الاجتماع فإنه يدرس العلاقات الاجتماعية ذاتها أو المجتمع نفسه.

وقد اهتم "ماكيفر" أساساً بالعمليات التحليلية الاجتماعية، وخاصة فى تعامله مع كثير من المصطلحات التى عرفت فى علم الاجتماع - كالمجتمع

Society، والمجتمع المحلى Community والنظم Institution، والاتجاهات Attitudes، والطبقة الاجتماعية Class، والجمهرة Mass، هادفاً بذلك عدم الخلط بينها.

وفى رأى ماكيفر فإن علم الاجتماع لا يدرس الثقافة إلا فى أضيق الحدود، وعندما يكون ذلك ضرورة، ويبرر وجهة نظره قائلاً: أننا فى علم الاجتماع لا ندرس الدين كدين، ولا الفن كفن، ولا الاختراع كاختراع. وحقيقة الأمر غير ذلك فدراسة التغير الاجتماعى دليل أكيد على أنه لا يمكن لعلم الاجتماع أن يدرس التغير الاجتماعى دون أن يركز على أهم عوامله وهى الثقافة.

أما "سوروكن" فيرى أن علم الاجتماع هو "دراسة الخصائص العامة المشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية"، وفى رأيه أن علم الاجتماع هو علم عام وعلم خاص فى نفس الوقت. فهو عام لأنه يدرس الخصائص العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية والثقافية - أى العالم الثقافى الاجتماعى ككل. وهو خاص لأن دراسة هذه الخصائص تقتضى تخصصاً لا يقل عن تخصص علم الطبيعة أو علم الاقتصاد، فهو يدرس هذه الخصائص فى اتجاه بعينه كالاتجاه الاقتصادى أو السياسى أو القانونى أو الأخلاقى أو الدينى أو النفسى أو الإجرامى أو العمالى أو الحضرى أو القروى ... الخ. وفى ضوء هذا فإن علم الاجتماع عند سوروكن ينقسم إلى علوم اجتماعية خاصة يتناول كل منها نوعاً معيناً من الظواهر.

وقد اهتم سوروكن بالثقافة حتى أنه عرف علم الاجتماع مرة أخرى بأنه (العلم الذى يدرس الثقافة الاجتماعية). وقد دعاه هذا إلى أن يقول أن الحقيقة

الاجتماعيـة ذات أبعـاد ثـلاث متداخلـة هـى المجتمـع Society، والثقافـة Culture، والشخصية Personality.

وأبرز "جونسون" أهمية التفاعل الاجتماعى، ويتناول علم الاجتماع عنده دراسة الجماعة من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلى، والعمليات التى تميل إلـى استمرار أو تغيير هـذه الصـورة التنظيميـة للعلاقـات الاجتماعيـة. والعلاقات تختلف عن التفاعلات المؤقتة مثل تبادل التحيات. وكل الجماعات عبارة عن علاقات اجتماعية، ولكن ليس كل العلاقات الاجتماعية جماعات. ونظراً لأن الثقافة تهيئ وتعدّل وتغير عدداً كبيراً من مطالب وأنشطة الإنسان، فإن جونسون يهتم بدراستها خاصـة لما لها من تأثيرات جوهريـة فـى عمليات هامة كالتنشئة الاجتماعية. ويتضح من ذلك أن جونسون يعرف علم الاجتماع فى ضوء الفعل الاجتماعى الهادف الذى يتحرك لبلوغ غايته داخل جماعة.

وجملـة القول – فـإن اصطـلاح "علـم الاجتمـاع" مشتق مـن كلمتين ليسا كالعادة من أصل يونانى كما هو الحال فى كلمة "علم الحياة Biology"، أو كلمـة "علـم الـنفس Psychology"، وإنمـا اشـتق مـن كلمـة لاتينيـة Socius، وتعنـى رفيـق أو رابطـة أو مجتمـع، وأخـرى يونانيـة Logos، وتعنـى علـم أو منطق أو دراسة علـى مستوى عالى. ومن هنا فإن كلمة علم الاجتماع تعنى علم المجتمع أو علـم دراسـة المجتمعات الإنسـانية – أى بحث مضمون تلك العبارة الأرسطية القائلة بأن الإنسان حيوان سياسى.

ويعنـى علم الاجتماع بالإرادة والهدف – أى السلوك الهادف، ومثل هذا السلوك الهادف لا وجود له فى علم الطبيعة أو علم البيولوجيا، بل وحتى علم النفس، إذ يتعامل علم النفس مع كائن حى أقل درجة ونوعاً من الإنسان.

فعلم الاجتماع يدرس التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة، الناتجة عن كون الإنسان كائن اجتماعى - أى يعيش فى جماعة ولا يستطيع أن ينعزل عن أقرانه أو يعيش منفرداً، فهو يقضى معظم أوقاته مرتبطا بهم، وعلى علاقة معهم، ولا تضفى عليه إنسانيته إلا بفضل مشاركته فى المجتمع، ومساهمته فى تيار الحياة الاجتماعية[1]، ولو جردنا الإنسان من لغته، ودينه، ومعتقداته، وأزيائه، وهى التى يكتسبها من المجتمع، فسوف لا نراه إنساناً، وإنما نتصوره وحشاً من وحوش الغاب، أو ملاكاً من الملائكة. فالمجتمع هو العلة الأولى فى تحويل الإنسان من كائن بيولوجى أو كائن عضوى حيوانى إلى الإنسان ككائن مثقف.

الإنسان إذن عضو فى جماعات اجتماعية منظمة، فى بعضها يكون ارتباطه بها شديداً ودائماً كما فى حالة الأسرة، حيث تكون العلاقة مباشرة - علاقة الوجه للوجه face to face - ويعرف كل فرد الآخر. وفى بعضها الآخر يكون ارتباطه بها عرضياً ولا شخصياً مثل ارتباطه بأفراد مجتمعه فى القرية أو المدينة، حيث لا نستطيع أن نزعم أنه يعرف جميع سكان قريته أو مدينته، ومع ذلك فالحقيقة أنه تربطه بهم لغة واحدة، ومصالح مشتركة، ونظرة متطابقة تقريباً للحياة، كما تربطه مصدر ولاء وانتماء لهذا المجتمع كما يعتقد هو وبقية أفراد المجتمع على حكومة قومية مشتركة تحميه هو وهم، وتوفر لهم سبل العيش.

ونتج عن هذه المعيشة سوياً جماعات ونظما اجتماعية لها قواعد منظمة ومنمطة نجمت عن تجارب الإنسان خلال حياته وعمله فى الجماعات والنظم، وهى تؤدى وظائف معينة وتسمى بالظواهر الاجتماعية، وهى أساساً لموضوع

1- Peter Berger & Luckman, the Social Construction of Reality, P. 28.

علم الاجتماع. فهو يدرس الحياة الجمعية للإنسان بجميع أشكالها ونظمها كالنظم السياسية والاقتصادية والعائلية والتربوية والتى تنصب فى قوالبها العلاقات والتأثيرات الإنسانية المتبادلة وهو بهذا المعنى إنما يربط بين العلوم الاجتماعية. كما يدرس أوجه النشاط التى يحافظ الناس على وجودهم خلال صراعات من أجل البقاء – من تعاون وتنافس وصراع وكذا عناصر التراث الاجتماعى، والتنظيمات والقواعد التى تحدد علاقات الناس بعضهم ببعض من معرفة وعقيدة وفن وأخلاق وتقاليد وعادات وعرف وقيم، وهى التى تتسم بصفة العمومية حيث تنتشر بين جميع أفراد المجتمع، أو على الأقل بين الغالبية العظمى منهم، واكتسبها الناس من خلال معيشتهم مجتمعين، وتكون ما يسمى بالوعى الجمعى La conscience Collective[1]، وتشكل المعتقدات والعواطف هذا نسقاً محدداً له أسلوبه الخاص.

ويتبين من ذلك أن علم الاجتماع يدرس الظواهر التى تنشأ من وجود الإنسان فى المجتمع، ومن ثم فهو ليس بفلسفة اجتماعية، لأنه لا يتعرض ولا يقترح ما ينبغى أن يكون، وإنما يتعرض للظواهر الكائنة بالفعل، أو التى كانت موجودة فى الماضى. وهو فى هذا إنما يسير على نفس النهج الذى تسير عليه العلوم الطبيعية، أى أن الدراسة فيه تكون دراسة تحليلية وضعية تهدف إلى استنتاج القواعد والقوانين التى تفسر الحياة الاجتماعية تفسيراً شاملاً، وتخضع لها الوقائع الاجتماعية.

1- Gillbert, Ourand, Des Grands Texts de la Sociologie Modern, P.22.

العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى:

تصنف المعرفة العلمية إلى ثلاث ميادين رئيسية هى: العلم الاجتماعى، والعلم الطبيعى، والإنسانيات. وكل من هذه المعارف تنقسم إلى علوم متخصصة. فالعلم الاجتماعى هو ميدان لمعرفة الإنسانية الذى يتناول العلاقات الاجتماعية، والحياة الجمعية للإنسان من جميع جوانبها. والعلم الطبيعى يتناول البيئة الطبيعية التى يعيش فيها الإنسان، وتشمل علوم كالطبيعة والكيمياء والفلك. أما الإنسانيات كعلم الأجناس، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، والتاريخ، والقانون، فهى علوم ذات علاقة وارتباط بعلم الاجتماع، لأن كلا منها يدرس الإنسان وثقافته، ولأنها تلقى ضوء على العلاقات الاجتماعية.

وقد ظهرت أهمية علم الاجتماع حين تبين أن ميادين علوم الاقتصاد والتاريخ والسياسة لا تستطيع أن تفسر السلوك الاجتماعى ككل، فعلم الاقتصاد يدرس الإنتاج، وتوزيع الثروة. ويحاول المؤرخون أن يؤرخوا تاريخ المجتمعات فيما مضى. ويحلل علم السياسة توزيع السلطة فى المجتمعات المختلفة. وهكذا يدرس كل علم فى هذه العلوم جزء من العلم الاجتماعى منفصلا عن الأجزاء الأخرى. ومن ثم ظهرت الحاجة إلى علم يدرس السلوك الاجتماعى فى كليته، وكان هذا العلم – هو علم الاجتماع الذى لا يقتصر بحثه أودراسته للظواهر على جانب واحد من جوانب الحياة او على سلوك معين، بل أنه يبين نشأة ظاهرة، وتطورها، ويدرسها دراسة أعم وأشمل فى بيان علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى، ويبين مثلا – مدى تأثرها بالنظم السياسية والاقتصادية والدينية الموجودة فى المجتمع، ويبين كذلك مدى تأثرها بالعوامل الجغرافية والطبيعية كما يظهر الحالات النفسية ذات الأثر فى تلك العلاقات.

ومن هنا، فإن هناك علاقة وطيدة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى دفعت البعض إلى القول بأن علم الاجتماع هو جماع العلوم الاجتماعية فيما يصلها بالحياة الاجتماعية. فرينيه ورمس R. worms[١] يذكر أن علم الاجتماع العام عبارة عن مقدمة وخاتمة مشتركة فى آن واحد لمجموع العلوم الاجتماعية، وسبب ذلك يرجع - كما يقول بوجليه - إلى أن علم الاجتماع لا يستطيع أن يعمل إلا بعد العلوم الاجتماعية الأخرى. ويتلخص دوره فى تركيب وتفسير واستخلاص بعض النظريات أو القوانين العامة التى تقدمها العلوم الاجتماعية من مادة. كما يقول العالم الألمانى "زمل" أن علم الاجتماع مهمته الجمع بين نتائج العلوم الاجتماعية الخاصة، والربط بينها، والبحث فى الأحوال العامة للحياة الاجتماعية. كذلك ذكر "كنجسلى دافز Kingeseley Davis"[٢] أن الحدود الفاصلة بين العلوم الاجتماعية غير واضحة من حيث الواقع ومن حيث المبدأ.

وحيث أن علم الاجتماع يستخدم نتائج العلوم الاجتماعية فقد يبدو لأول وهله أنه: نوع من المسخ لهذه العلوم. وحقيقة الأمر غير ذلك، إذ هو علم يلقى الضوء على العلاقات الاجتماعية، مما جعل منه ميداناً مستقلاً مميزاً بالرغم من صلته بالعلوم الأخرى.

وهكذا فعلم الاجتماع هو علم تركيب وتعميم للإنسان فى كل علاقاته الاجتماعية، وهو بذلك ميداناً واسعاً ومقعداً، ومن ثم كان على عالم الاجتماع أن يكون ملما بالعديد من العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية الخاصة، وأن يستعين بالكثير من البحوث التى تقدمها تلك العلوم.

١- جاستون بوتول. تاريخ علم الاجتماع. ص١١.

٢- د. محمد عاطف غيث. المرجع السابق. ص١٤٥.

دعى هذا بعض علماء الاجتماع إى تصنيف علمهم إلى علم الاجتماع العام، والعلوم الاجتماعية الخاصة، كعلم الاجتماع الدينى، وعلم الاجتماع الأخلاقى، وعلم الاجتماع القانونى، وعلم الاجتماع الاقتصادى، وعلم الاجتماع اللغوى ... وهكذا.

ويعتبر "سوروكن" من أبرز المسايرين لهذا الاتجاه، إذ قسم علم الاجتماع إلى علم الاجتماع العام، وعلوم الاجتماع الخاصة، بل إن تعريفه لعلم الاجتماع يبرز أهمية الخصائص العامة لمجموعات الظواهر الاجتماعية التى تكون أساس الحياة العامة فى المجتمع.

ولكن أهم فارق بين علم الاجتماع العام والعلوم الاجتماعية الخاصة هو أن كل علم اجتماعى خاص يعالج ظاهرة واحدة من الظواهر الاجتماعية أو مظهراً من مظاهر السلوك الإنسانى. بينما علم الاجتماع يعالج بطريقته هذا العالم ككل – أى التأثير المتبادل بين هذه النظم، كما يدرس هذه الظواهر من ناحية اتصالها بالمجتمع – أى من حيث هى نظم اجتماعية.

فعلم السياسة هو فرع من فروع العلوم الاجتماعية، يعرف بأنه "علم الدولة"، ويختص بدراسة ممارسة الدولة لسلطاتها. أما علم الاجتماع فيعنى بتأثير هذه النظم السياسية على النظم الاجتماعية الأخرى فى المجتمع من اقتصادية وتربوية وعائلية ... الخ، كتأثير النظام السياسى على طريقة ونوع التعليم الشائع أو على نظام الأسرة، وحقوق وواجبات الفرد فيها، كما يدرس حقوق الأفراد وواجباتهم وعاداتهم وتقاليدهم فى ظل تلك النظم، ويهتم بتأثير النظام السياسى على اتجاه التغير الاجتماعى، كما يهتم بالمقارنة بين أثر النظم السياسية المختلفة على النظم الأخرى فى المجتمعات التى تتباين فى نظمها

السياسية. كما يدرس بعض الموضوعات السياسية ذات الطابع الاجتماعى مثل الدعاية وعلم اجتماع الجريمة.

وتدخل هذه الدراسة فى إطار "**علم الاجتماع السياسى**"، وهو فرع من فروع علم الاجتماع العام، يهتم بتحليل النظم والظواهر السياسية فى علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى[١].

ويهتم **علم الاقتصاد** بالحياة المادية للمجتمع، ووسائل تنمية موارد ثرواته، وما يتصل بذلك من نمو وسائل التكنولوجيا الحديثة، وإنتاج هذه الثروات وتداولها وتوزيعها واستهلاكها. كما يهتم بالعوامل أو العناصر التى تنتج السلع والخدمات، وهى الأرض، والموارد الطبيعية، والقيم الثقافية، والمعرفة الفنية، وكذلك العمل الذى يتمثل فى مهارات الأفراد ودوافعهم، ورأس المال، والموارد المتاحة للإنتاج، والتنظيم، وتوزيع الدخول بين الأفراد والجماعات، والأسعار.

ولا يستطيع أحد أن ينكر الاتصال الوثيق بين الأهداف الاقتصادية وبين الأهداف الاجتماعية فى المجتمع، مما جعل الجانب الاقتصادى للحياة الاجتماعية أحد الفروع الأساسية التى يعنى بدراستها علم الاجتماع، ومما أوجد فرعا من فروع علم الاجتماع العام هو علم الاجتماع الاقتصادى. ويمكن تعريف علم الاجتماع الاقتصادى بأنه "محاولة منظمة لتطبيق نماذج التفسير والتغيرات السسيولوجية والإطار المرجعى لعلم الاجتماع فى دراسة مجموعة من النشاطات المعقدة المتصلة بالإنتاج، والتوزيع، والتبادل، واستهلاك السلع النادرة والخدمات.

1- Gaston Bouthoul, sociologies De la politique, P. 7.

ويهتم علم الاجتماع الاقتصادى بالتساند والتكامل بين البناءات الاقتصادية وغير الاقتصادية، وبالعوامل الاجتماعية التى تسبق العوامل الاقتصادية وتحددها، وبالعوامل الاقتصادية التى تسبق الظواهر الاجتماعية وتحددها مثل دراسة الحركة الصناعية كمؤثر فى الأخلاق، وأثر توزيع الثروة على نظام الطبقات الاجتماعية ويلاحظ عالم الاجتماع الاقتصادى المتغيرات الاجتماعية فى المجالات الاقتصادية، كما يلاحظ العلاقة بين الإنتاج الاقتصادى وبعض المشاكل الاجتماعية كالسكان والجريمة والأسرة. ويدرس كذلك النظم الاقتصادية من زاوية اختلافها من مجتمع إلى آخر، واختلافها فى المجتمع الواحد من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى.

ويعرف **علم التاريخ** بأنه تعريف الوقت، أو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل، أو هو العلم الذى يسعى إلى انقاذ الحقائق الماضية من النسيان.

وكان علم الاجتماع فى مرحلة من مراحله علما تطوريا تاريخيا يهتم بالبحث فى المراحل المتتالية التى نمت فيها المجتمعات منذ العصور القديمة، وكذلك مراحل تطور هذه المجتمعات منذ أن كانت بدائية إلى أن أصبحت متقدمة. ويهتم عالم الاجتماع حالياً بالجانب التاريخى، إذ لاشك أنه عند دراسة أى موقف اجتماعى أو ظاهرة اجتماعية، لابد أن نعرف الظروف التى أدت إلى انبثاقها، والتاريخ يساعدنا على ذلك، فيبين لنا أصولها وتطورها ودوافعها. ومن ثم فعلم الاجتماع ذو ارتباط وثيق بعلم التاريخ.

ويهتم علماء الاجتماع **بالعوامل الجغرافية** والأوضاع الطبيعية، وتأثيرها فى حياة المجتمع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ... الخ، حتى أن بعضهم ينسبون للعامل الجغرافى كل الأثر فى حياة المجتمعات.

فمثلاً يدرس علماء الاجتماع أثر المناخ على سلوك الأفراد من حيث الجرائم الخلقية كالسطو والقتل والنشاط الجنسى. كذلك اهتموا بالاختلاف بين سكان الجبال من حيث الطباع والمزاج والعادات والتقاليد والتصرفات عن سكان الوديان والسهول، واختلاف سكان الصحراء عن سكان القرى عن سكان المدن. وكذلك اختلاف شكل المدارس فى البيئات المعتدلة عنه فى البيئات الباردة ففى الأولى قد يكون التعليم فى الهواء الطلق الفصول المفتوحة، بينما يصعب تنفيذ ذلك فى البيئات الثانية. ووجد علماء الاجتماع أن للعامل الجغرافى أثر على الوضع السياسى للمجتمع، فالبلاد ذات الموقع الاستراتيجى لا تزال محط أنظار المستعمرين.

ويبحث علم النفس فى مجال دراسة سلوك الإنسان، ودوافع الفرد الداخلية، وانفعالاته وميوله الفردية، وتفكيره، وإحساسه. وإدراكه، وذكائه – أى دراسة العقل والشخصية الفردية.

ولما وجد علماء النفس أن الإنسان لا يعيش إلا فى وسط بيئة اجتماعية يؤثر ويتأثر بها، فقد اهتم الكثير منهم بموضوع تفاعل الفرد مع بيئته، أو التفاعل بين شخصين أو أكثر، وكذلك دراسة العلاقات المتبادلة بين الجماعات، ومن هنا ظهر علم النفس الاجتماعى Social Psychology، والذى تنصب الدراسة فيه على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية والتعاون والغيرية وغريزة التجمع والذوق العام والقيادة والزعامة وتأثيرها على المجتمعات، وكذلك دراسة الاتجاهات.

وهكذا اقتربت وجهات النظر بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع، وأصبح هناك الكثير من الموضوعات المشتركة بين هذين العلمين، فموضوع ديناميات الجماعة يدرسه علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعى فى ذات

الوقت. كذلك لا يستطيع عالم الاجتماع أن يبحث فى موضوع تفاعل الإنسان مع بيئته وثقافته إلا إذا كان ملماً بكثير من موضوعات علم النفس كالشخصية، فالشخصية أحد الموضوعات التى يدرسها علم النفس، كما أنها أحد أبعاد الحقيقة الاجتماعية التى يدرسها علم الاجتماع. كما درس علماء الاجتماع الوحدات الاجتماعية نفسانياً، ووجدوا أن هناك مجتمعات فردية النزعة Individualistic كالمجتمعات الصناعية، حيث الأفراد مقفلون؛ ويهتم كل منهم بشئونه الخاصة، ولا يقبل مشاركة الآخرين له. وهناك مجتمعات ذات نزعة اشتراكية Socialistic كالمجتمعات الريفية والزراعية، فأفرادها يشاركون غيرهم فى أمورهم الخاصة. كما أن هناك مجتمعات باردة الطبع والمزاج كمجتمعات أوربا الغربية الشمالية، وأخرى ثائرة المزاج كمجتمعات البحر المتوسط، وثالثة اندفاعية كالمجتمعات الشرقية، فهى تغضب بسهولة وترضى بسهولة، ويسهل التأثير عليها.

واصطلاح الانثروبولوجيا تعريب للاصطلاح الانجليزى Anthropology والاصطلاح الفرنسى L, Anthropologic وهما يرجعان إلى كلمتين يونانيتين Anthropos بمعنى الإنسان، و Logic بمعنى علم أو دراسة. وهكذا تعنى الأنثروبولوجيا (علم الإنسان). وهى تهتم بدراسة الإنسان فى أى زمان ومكان. إنها العلم الذى يدرس الإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى وقتنا هذا، كما أنها تدرس الإنسان فى أى مكان من أنحاء العالم. ولا تدرس الأنثروبولوجيا الإنسان ككائن وحيد منعزل فحسب، وإنما تدرسه ككائن اجتماعى يحيا فى مجتمع ويعيش فى ثقافة .

وهكذا نجد تداخلاً كبيراً بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كلاهما يدرس البناء الاجتماعي، والوظائف الاجتماعية. ومع ذلك فهناك فروق عديدة بين العلمين نوجزها في الآتي:

تختلف الأنثروبولوجيا عن علم الاجتماع من زاوية مجال البحث، فالأنثروبولوجيا تدرس المجتمعات التي نسميها بالبدائية، أو المجتمعات البسيطة نسبياً – أي المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المساحة أو تشعب العلاقات الاجتماعية، والتي تمتاز ببساطة الفنون الآلية، والاقتصاد، والتخصص في الوظيفة. بينما يهتم علم الاجتماع بدراسة المجتمعات الإنسانية بأوسع معانيها.

وتختلف الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن علم الاجتماع في أن الانثروبولوجي الاجتماعي يدرس المجتمع ككل – أي كل نواحي الحياة الاجتماعية فيه، إذ يدرس فيه البيئة العامة ونظمه الاقتصادية والقانونية والسياسية، كما يدرس العائلة ونظم القرابة والعادات والتقاليد وغير ذلك على أنها أجزاء في نسق اجتماعي عام. أما عالم الاجتماع فدراسته تكون متخصصة إلى حد كبير، كما أنه قد يتعدى النظم الاجتماعية التي يقوم عليها بناء المجتمع، ويدرس مشكلات اجتماعية قائمة بذاتها كالطلاق والجريمة والبطالة والجنون والاضطرابات العمالية، ويحاول أن يفسر نشأتها وأسبابها.

كذلك يختلف المنهج في كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع، فالانثروبولوجي يدرس المجتمعات البدائية دراسة مباشرة، ويعتمد على الملاحظة المباشرة، أو قد يستعين بالمخبرين الذين يزودونه بالمعلومات أو التفسيرات التي قد يعجز عن إدراكها، ويعيش فيها لمدة شهور أو سنين، وعليه

أن يلم بلغة المجتمع. بينما قد يعتمد عالم الاجتماع فى الغالب على الوثائق والاحصائيات.

وتختلف الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى علم الاجتماع فى أن مؤلفات علم الانثروبولوجيا - كما يقول روبرت ريفليد - لا تشتمل على قضايا عامة وافية قابلة للتطبيق على كل حالة ضمن فئات محددة تحديداً دقيقاً. أما علم الاجتماع فإنه يستهدف الحصول على قوانين ونظريات عامة تخضع لها الوقائع الاجتماعية.

والاثنولوجيا هى علم دراسة الشعوب، وهذا ما يعنيه الأصل اليونانى Ethnos، وتعنى دراسة الشعوب، فهى تهتم بدراسة الأجناس البشرية مستهدفة البحث فى الصفات المميزة طبيعية كانت أم خلقية للأنواع المختلفة بين الناس الذين يسكنون أو كانوا يسكنون على ظهر الأرض. أى دراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية.

وللتفريق بين الاثنولوجيا Ethnology والاثنوجرافيا Ethnography نذكر أن الأخيرة هى الدراسة الوصفية المقارنة لمجتمعات وثقافات الإنسان. وعلى ذلك تنحصر دراسة الإثنوجرافيا على الناحية الوصفية الحضارية - أى فى مجرد جمع البيانات دون تفسيرها أو تحليلها.

أما الاثنولوجيا فهى الدراسة الرأسية لمظاهر الثقافة بشقيها المادى واللامادى، مع محاولة التعرف على ماضى تلك السمات، والظاهرات الثقافية. وهذا يعنى أن الدراسة الاثنوجرافية إذا كانت مقارنة فى المكان Space فإن الدراسة الاثنولوجية إنما هى مقارنة فى الزمان Time، خاصة الزمان الماضى المنقرض.

ومن ناحية أخرى فإن الاثنوجرافى بعد أن يجمع البيانات يأتى دور الاثنولوجى بعد ذلك لكى يستفيد من البيانات التى يزوده بها الاثنوجرافى، فيقوم بتصنيفها وتحليلها واستخلاص المبادئ التى تفسر الحقائق الإنسانية والنماذج الحضارية ووظائفها[١].

ويخلط الكثيرون بين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، ولكن الواقع أن الخدمة الاجتماعية هى علم أو فن تطبيقى يهدف إلى تنسيق الخدمات التى تقوم فى المجتمع، وإلى مساعدة الناس على حل مشاكلهم ووصف العلاج اللازم للمرض الاجتماعى. أما علم الاجتماع فهو علم يقوم على الدراسة الموضوعية للظواهر الاجتماعية، ويوجد القوانين لما يقوم بدراسته، مما يعين الأخصائيين الاجتماعيين على رسم خططهم الاصطلاحية قبل مباشرتهم الاصلاح حتى يكون عملهم مبنى على أسس سليمة. ومن هنا يظهر لنا مدى الارتباط الوثيق بين علم الاجتماع وعلم الخدمة الاجتماعية.

والدين هو الجانب المقدس فى حياة الأفراد، والإحساس به (إنسانى فردى)، ويهتم فقهاء وعلماء العلوم الدينية بالدين على أساس الذود أو الدفاع عن عقيدة من العقائد أو تبرير طقس من الطقوس الدينية. ويقوم رجل الدين بدور الواعظ أو المبشر أو الداعى لعقيدة أو لمثل معينة ويدرس الظاهرة الدينية لذاتها.

إلا أن للدين جانب مقدس فى حياة الجماعة، والإحساس به كذلك اجتماعيا، لأنه لا يتضح ولا ينمو ولا يمكن القيام بشعائره إلا فى جماعة. ومن هنا يدرس علماء الاجتماع الدين من زاوية كونه ظاهرة اجتماعية. ويفهم علم

١- د. عبد الحميد لطفى. الانثروبولوجيا الاجتماعية. ص١٦.

الاجتماع الديني على أنه: دراسة الظواهر الاجتماعية في ميدان الدين والعلاقات الاجتماعية للدين في الداخل والخارج.

وينظر علم الاجتماع الديني إلى الحقائق الدينية نظرة موضوعية Objective، ويتجرد من النزعة الشخصية Subjective، ويعالج الظواهر الدينية كنظم اجتماعية لا من حيث مصدرها، ولكن من حيث أثرها في الحياة الإنسانية، وتأثيرها في بقية النظم الاجتماعية القائمة. وعلاقتها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والقواعد التشريعية والأحكام الخلقية والمثل التربوية والصلات الأسرية وما إلى ذلك.

ويهتم علم الاجتماع الديني كذلك بدراسة العلاقات بين الجماعات الدينية بعضها ببعض، بما في ذلك العلاقات المتبادلة بين الجماعات الدينية الغربية كلية، وكذلك العلاقات المتبادلة بين جماعات الطوائف مع بعضها من ناحية ومع مجتمع الكنيسة التي يخضع لها من ناحية أخرى. وكذلك العلاقات المتنوعة بين الأشكال الاجتماعية العلمانية والدينية وبعضها.

ويهتم رجل **القانون** بدراسة القوانين الوضعية الموجودة في المجتمع من مدنية وتجارية وجنائية ومالية ودولية وطرق التقاضي ... الخ. ويعتبر القانون نفسه ظاهرة اجتماعية، فهو وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي. ويدرس علم الاجتماع القانوني الحقيقة الكلية للقانون، ويهتم بالقوانين من زاوية تأثيرها في النظم الاجتماعية المختلفة وتأثرها بها. كما يعالج التأثيرات التي تمارسها عدد من الظواهر الاجتماعية على القواعد والنظم القانونية كالتنشئة الاجتماعية، وأنساق القيم، والتقسيم الطبقي، والسلوك الجمعي، والتيارات السكانية. ويدرس

كذلك تطور النظم القانونية التى يستعملها المحامون والقضاة للوصول إلى الأحكام، والعوامل الاجتماعية التى أدت إلى هذا التطور.

والأخلاق علم معيارى Normative، يبحث فيما يجب أن يكون عليه السلوك الإنسانى، وهذه مسائل فلسفية، إذ لا توجد نظرية متفق عليها بشأن هذه المسائل، وهى تختلف حسب خلق الفيلسوف وعمق تفكيره، فإذا قلنا أن السعادة هى الهدف الأسمى للحياة، فإنه يمكن معارضة هذه بعبارة تقرر أن الناس يجب أن لا يبحثوا عن السعادة. كذلك فإن منهج دراستها يخرج عن منهج الأسلوب العلمى وحدوث الإثبات والاستقراء والواقعية، فكافة الدعاوى الأخلاقية إنما تدور حول القيم، وليس فى استطاعتنا أن نؤكدها أو ندحضها إلا عن طريق تقديرنا الشخصى لقيمتها. ولهذا يمكن أن يكون للأخلاق تاريخ وفلسفة، ولكن لا يمكن أن يكون للأخلاق علما. الأخلاق إذن فلسفة، أما علم الاجتماع فهو علم.

دعى هذا عدد من علماء الاجتماع أن يدع جانباً للقيم والقواعد الأخلاقية، ويقتصر على ما هو موجود بالفعل تمشياً مع روح العلم.

ولكن من الواضح أنه من العبث تجاهل الاعتقادات فى المثل العليا لأنها قطعا تؤثر فى السلوك والتغير الاجتماعى. وعليه نظر عدد من علماء الاجتماع إلى القواعد الأخلاقية على أنها فئة من الظواهر الاجتماعية. وتفرع عن علم الاجتماع العام ما يسمى بعلم الاجتماع الأخلاقى. وهو يهتم بدراسة نتائج علم الأخلاق ومشكلات التنظيم الاجتماعى والنمو الاجتماعى، ويبحث كذلك فى المدى الذى تكون فيه الظروف الاجتماعية القائمة والعلاقات الراهنة بين الناس من أهم العوامل التى تدفع أو تعوق تحقيق المثل العليا، وإلى أى مدى يمكن أن يحدث تغيير اجتماعى تتحقق فيه المثل العليا - ذلك أن

الأخلاق جزء من السلوك الإنسانى، وتتأثر بنمو النظام الاجتماعى والعوامل الاقتصادية والسياسية، وبالمعتقدات الدينية، والتقدم العلمى الشامل. فكل فرد منا يتلقى العناصر الأساسية لضميره الأخلاقى من الوسط الاجتماعى الذى يولد وينشأ فيه، وذلك عن طريق الثقافة العامة والتثقيف المنظم بتأثير عادات المجتمع وعقائده وحكمه.

والتربية مجالها التربية والتعليم، ويهتم علم الاجتماع التربوى بها من زاوية كونها إحدى الظواهر الاجتماعية، فهى ليست من صنع فرد معين، ولكنها تمثل ضرورة اجتماعية لابد من قيامها فى المجتمعات البشرية. وهى تؤثر وتتأثر بغيرها من النظم الاجتماعية الأخرى. وهى نتيجة التفاعل الاجتماعى فى الماضى والحاضر. وهى سلطة اجتماعية تتمثل فى تربية شاملة عقلية وجسمانية وأخلاقية. وهى تهدف إلى ربط الفرد بالمجتمع، حتى يشعر بالتضامن والتماسك فى مجتمعه، ويعرف أنه مرتبط مع أقرانه فى المجتمع بتراث اجتماعى واحد، وهى تختلف من مجتمع إلى مجتمع، ومن عصر إلى عصر فى المجتمع الواحد.

ويهتم علم اللغويات بتحليل اللغات فى زمن معين، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. كما يهتم بالجانب التاريخى والمقارن للغة.

هذا وتوجد علاقة وثيقة بين علم اللغويات وعلم الاجتماع، فاللغة – دون شك – خاصة بالجماعة، وهى موجودة قبل وجود الفرد، والفرد يولد بلا لغة ثم يكتسبها من الجماعة باعتبارها تراثاً اجتماعياً، وليس فى هذا الميراث أى نوع من الاختيار، فهو لا يملك التدخل فى اختيار مفرداتها أو تنظيم قواعدها، وهى وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الإنسانى، وتقوم بدور فعال فى تماسك المجتمع وهى القوة المغناطيسية التى تقرب بين الأفراد، وهى الوسيلة التى

مكّنت الإنسان بأن يحتفظ بأجزاء من التراث الاجتماعى. وهى كذلك خاضعة للتطور شأنها شأن المجتمع، والدليل على ذلك ممات اللغة اللاتينية، ولكن الحقيقة أنها لم تمت، بل تغيرت واشتقت منها لغات أخرى، أبرزها اللغة الفرنسية والإيطالية والأسبانية.

ولقد توصل بعض العلماء إلى أن هناك علاقة بين وجود اللغة وبين الجنس، ومن ذلك العالم "فريدريك سوللر"، إذ صنف اللغات طبقا للميزات الانثولوجية، واستعراض لغات الشعوب المجعدة الشعر واحدة واحدة، ثم لغات الشعوب ناعمة الشعر. كما توصل بعض العلماء إلى أن اللغات الهندوأوروبية أسمى من سواها كالسامية والحامية.

ويجسم **الفن** طائفة واسعة من التجربة الإنسانية، والعواطف والمعتقدات، والأفكار، ويعبر عنها فى صور جمالية تخاطب الحواس وتوقظ الاستجابات العاطفية والفكرية فى العقل البشرى.

هذا ولا تستطيع عملية الخلق الفنى أن تنقص من أهمية القوى التاريخية التى تحدد أشكال الفن، وبمعنى آخر فإن قوى الأفعال الاجتماعية خلال فترة زمنية معينة هى التى تحدد عملية الخلق الفنى، إذ لا يقوم الاختراع الفنى على التصورات فحسب - كما هو حال عملية الترفيه أو شروط الذهن أو التفكير فيما فوق الطبيعة، وإنما تقوم عملية الخلق الفنى على تحليل كل الرموز الاجتماعية. وعليه فهى تفترض تجارب تختلف كل مرة عن الأخرى حسب اختلاف العلاقات الاجتماعية والعواطف والمشاعر. وهكذا تفرع عن علم الاجتماع العام ما نسميه بعلم الاجتماع الجمالى.

ويتفرع عن علم الاجتماع العام فرع آخر هو علم الاجتماع الريفى، وهو علم يختص بدراسة الحياة الاجتماعية فى الريف / القرية. وفى مقابل علم الاجتماع الريفى ظهر علم الاجتماع الحضرى، وهو ما سوف نتناوله فى هذا الكتاب.

الفصل الثانى

علم الاجتماع الحضرى

يهتم علم الاجتماع الحضرى بدراسة الجماعات التى تعيش فى نموذج معين من الجماعات يطلق عليه المجتمع المحلى الحضرى، ويستدعى ذلك توضيح مفهوم مصطلح "المجتمع المحلى".

المجتمع المحلى

استخدمت كلمة مجتمع محلى استخدامات مختلفة وتعددت تعريفاتها. ومع ذلك فمازال معناها يكتنفه الغموض. وهى كلمة تشير إلى جماعة من الناس يصنفون طبقا لمعيار معين. فالمجتمع المحلى فى رأى خبراء الشئون الاجتماعية للدول العربية الذين عقدوا مؤتمرا ى القاهرة عام ١٩٥٥ هو مجموعة من الأفراد تتميز حياتهم بطابع ثقافى مشترك، ويتميز بكل أو بعض الخصائص الآتية:

١- بقعة جغرافية محددة ثابتة إلى حد كبير.

٢- مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة.

٣- مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية تستثير فيهم الشعور والإحساس بالإنتماء لمجتمعهم.

ويؤخذ على هذا التعريف أنه أغفل أهمية وجود مؤسسة أو بناء تنظيمى يمكن عن طريقه أن يحقق أفراد المجتمع أهدافهم ... كما أنه وإن كان قد

عرض لبعض خصائص المجتمع المحلى، فإنه جانبه الصواب فى تحديد جوانب أخرى تشكل فى مجموعها محور المضمون فى عملية المجتمع كلها(١).

ويميز المجتمع المحلى التفاعل بين أعضائه، ويحدث هذا التفاعل بدرجات متفاوتة بين الجماعات المختلفة. ويعتبر جورج لندبرج و ر.م ماكيفر من أنصار هذا الاتجاه. فقد عرف جورج لندبرج(٢) المجتمع المحلى بأنه تجمع من الناس يتوفر فيه أدنى درجة من التجانس الجغرافى والتفاعل. أما ماكيفر(٣) فقد عرف هذا المصطلح فى كتابه "المجتمع المحلى Community" بأنه منطقة للحياة العامة تتمثل فى القرية أو المركز town، أو مقاطعة district أو الريف country أو منطقة أكثر اتساعاً. وهى تتميز عن المناطق البعيدة عنها، حيث تتسم الحياة العامة بسمات تميزها عن غيرها، كحدود المنطقة، وأنماط الأخلاق والتقاليد وأسلوب الحديث. وتلك هى مظاهر الحياة العامة. كما ينظر إلى المجتمع المحلى باعتباره جزءاً من مجتمع أكبر.

ويتبين من ذلك أن كلا من لندبرج وماكيفر قد تناول مصطلح المجتمع المحلى من منظور مختلف، ومع ذلك فقد اتفقا على الأسس الآتية:

١- أن المجتمع المحلى يرتبط بمنطقة جغرافية.

١- محمد كامل البطريق / محمد جمال شديد: تنمية المجتمع المحلى - دراسة تحليلية للأساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفاعلية فى المجتمعات الريفية، ص٢٩.

2- Mann, Peter, An Approach to Urban Sociology, P. 186.

3- Ibid., PP. 186- 187.

٢- تشير كلمة مجتمع محلى إلى تجمع من الناس يتميزون بطابعهم الخاص فـى حيـاتهم العامـة، أو أشـكال التفاعـل التـى تميـزهم عـن غيـرهم مـن التجمعات الإنسانية الأخرى.

٣- أن المجتمع المحلى مصطلح نسبى، إذ ينظر إليهه باعتباره مجتمع يتميز عن المجتمعات الأخرى، وهكذا فالمجتمع المحلى يعتبر مسألة درجة.

كما ينظر إلى المجتمع المحلى باعتبار بناء وديناميكية. ويشير البناء إلى تنظـيم المجتمعـات المحليـة واخـتلاف بعضـها عـن بعـض مـن حيـث الشـكل والحجـم. وتعتبـر التربـة الأسـاس البنـائى للمجتمـع المحلـى، فهـى تمـد الإنسـان بالغذاء والمياه[١].

ويرى كـونينج Koning أن المجتمـع المحلـى لـم يختـف أو ينهـار كليـة بظهور الثورة الصناعية والحضرية. واعتبر شنور tchnore المجتمع المحلى وحـدة أساسـية للبنـاء الاجتمـاعى. وتتمثـل عناصـره فـى المظهـر الـديموجرافى والايكولوجى والبنـائى. ويؤخـذ علـى هذا التعريـف أنـه استخدم ألفاظاً غامضـة مثل "الوحدة" و "الكيان"[٢].

وذكر ردفيلد[٣] فى كتابه "المجتمع المحلى الصـغير" أن المجتمع المحلى يتكون من كيانات متكاملة يكون المجتمع المحلى الصغير واحدا منها. ويتكون المجتمع الصغير من عناصر هى الأفراد والقومية والحضـارة. ويؤخذ علـى هذا التعريـف أنـه تصـور المجتمـع المحلـى فـى ضـوء عدد مـن الصـفات كالتبـاين

1- Southwick, Charles H., Ecology and the Quality of Our Environment, P. P. 321- 322.

2- Worseley, Peter and others, Introducing Sociology, P. 249.

3- Ibid., P. 250.

والحجم الصغير والاكتفاء الذاتى، وتجانس السكان. كذلك فإن التجانس والاكتفاء الذاتى هى مسائل نسبية تضم عدداً من الخصائص. فالقرية تشمل العديد من المهن والطبقات الاجتماعية، وفيها يتنوع الإنتساب الدينى والسياسى.

كما يستخدم مصطلح "المجتمع المحلى" لوصف ثقافة فرعية أو فئة من الناس سواء من الناحية الجغرافية كما فعل هيكورى كورنرز Hickory Korners فى كتابه "مدينة نيويورك"، أو من الناحية السسيولوجية كدراسة مجتمع Scholars ومجتمع الزنوج(١).

وجملة القول فإن كلمة "مجتمع محلى" تشير من وجهة النظر السسيولوجية إلى جماعات من الناس تعيش فى مساحة صغيرة من الأرض تجعلهم فى اتصال مستمر، وينتج عنه التفاعل بين أعضائها، ويعدهم هذا التفاعل للعمل على وحدة المجتمع الذى يعيشون فيه وعلى تماسكه، ويتميزون بثقافة عامة ونسق اجتماعى ينظم نشاطاتهم، وخبرات مشتركة ومؤسسات خاصة تنظم العلاقات بينهم. وكلما نمى هذا المجتمع وكبر حجمه، كلما يزداد عدد أفراده وتعقدت نظمه الاجتماعية. وهكذا فالمجتمع المحلى هو جماعة إقليمية محلية.

ويستبين من ذلك أن وجود عدد قليل من المساكن مثل كفر أو مزرعة لا يشكل مجتمعاً محلياً. فالأفراد فى هذه الكفور أو المزارع ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء سد حاجاتهم.

ويتضح من هذا التعريف أن المجتمعات المحلية تنتج عن التجارب الإنسانية وهى تتضمن:

1- Paul B. Horton, and L., Hunt, Sociology, P. 416.

١- الخصائص السكانية مثل عدد السكان، والكثافة، والجنس، والعمر ... الخ.

٢- طبيعة ومدى المنطقة (الحجم وخصوبة التربة والمناخ والمصادر والطبوغرافيا) التى يشغلها السكان.

٣- الاحتياجات البيولوجية، على أن يوضع فى الاعتبار الاختلافات العمرية والجنسية، والاحتياجات المكتسبة كالقيم والرموز والأهداف - أى الثقافة التى تستخدم لتعديل الدوافع البيولوجية والسيطرة عليها.

٤- توزيع المهارات التكنيكية النوعية: جرى العرف على تصنيف المجتمعات المحلية إلى ريفية وحضرية. ويقوم هذا التقسيم على أساس حجم وكثافة السكان، والمهنة سواء كامنت زراعية أو تجارية أو صناعية.

ويؤخذ على هذا التقسيم أنه أغفل أموراً أخرى كقرية الصيد، ومنجم التعدين، والتجارة. كما أننه لم يضع فى اعتباره أن وسائل النقل الحديثة قللت المسافات بين الريف والمدينة، وخضع المجتمعان الريفى والحضرى لنفس الظروف، مما ينتج عنه مجتمعا واحدا - لا مجتمعان منفصلان[1].

ماهية علم الاجتماع الحضرى

ينتمى علم الاجتماع الحضرى إلى علم الاجتماع العام وهو يعتبر دراسة جديدة بحكم ظروف موضوعها، وهو المدينة. فالمدينة لم تصبح بعد ظاهرة طاغية مؤثرة تفرض نفسها على دارسى المجتمع إلا فى وقت حديث نسبياً. ولا نقصد من ذلك اطلاقاً أن المدينة ظاهرة حديثة أو جديدة، وإنما نقصد أن هذا النمو أصبح يفرض نفسه، وهذا هو الجديد فى الأمر، إذ تمتاز ظاهرة التحضر

1- Ibid, P. 417.

الاجتماعى - وهى التى يقصد بها اتساع حجم ونطاق المدن وتزايد أعداد ونسب السكان بها إلى مجموع سكان المجتمع - بديناميكيتها التى تحمل فى مضمونها عناصر التغير السريع مما يؤدى إلى تغيير اجتماعى، بنائى ووظيفى عميق، قد يأخذ المجتمع من حالة الريف إلى حالة التحضر، وينعكس هذا التغير البنائى على النواحى الوظيفية مثل التطور الحاد الذى يتصل بالأسرة وامتدادها والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها وتطور النظام الأبوى ليتلاءم مع الحاجات الحضرية والصناعية. كما يختلف مفهوم دور النظام السياسى فى المجتمع الحضرى عنه فى المجتمع الريفى.

ومن ناحية أخرى: ففى عصرنا الحالى انتاب المدينة والمناطق المحيطة بها فى كل أنحاء العالم تحضراوأزمات هائلة. فبريطانيا، وهى من أعظم دول العالم تحضراً، صاحب التحضر فيها وجود الأحياء المتخلفة والمزدحمة بالسكان. وتتسم حركة المرور فيها بالضوضاء. ولهذا يعنى علم الاجتماع الحضرى فى بريطانيا بدراسة المشاكل الناجمة عن التنمية الحضرية. ومن ثم فهو لا ينفصل عن السياسة الاجتماعية[1].

وعموماً، يتناول علم الاجتماع الحضرى الحياة الحضرية أو المدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات اجتماعية بالدراسة والتحليل. كما يقوم بتفسير المظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعى فى مناطق الإقامة الحضرية، وتأثير الحياة الحضرية على الأفعال الاجتماعية. ويتناول الحياة الحضرية أو المدينة فى نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقى والحقائق ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها. ويهتم كذلك بالمصالح والحقائق

1- Mann, Peter, Op. Cit., P. 2.

التى تواجه إنسان المدينة مدفوعاً بعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وإدارية وتكنيكية وفن وتكنولوجيا. ويربط التنمية والوظائف الحضرية بالإطار الفيزيقى.

ويدرس علم الاجتماع الحضرى هذه الظواهر دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هو كائن، وليس لبيان ما ينبغى أن يكون، مستهدفا بذلك الوصول إلى القوانين التى تحكمها. وهو يماثل فى ذلك علم الاجتماع السياسى وعلم الاجتماع الاقتصادى وعلم الاجتماع الدينى والعائلى .. وهكذا.

ويقابل علم الاجتماع الحضرى علم الاجتماع الريفىRural Sociology وظهر علم الاجتماع الريفى قبل ظهور علم الاجتماع الحضرى. فقد كرس مؤتمر علم الاجتماع الأمريكى الذى انعقد عام ١٩١٦ جهده لموضوعات علم الاجتماع الريفى. بينما كرس مؤتمر علم الاجتماع الأمريكى الذى انعقد عام ١٩٥٢ نشاطه لعلم الاجتماع الحضرى[١].

وقد جذبت ظاهرة التحضر أنظار علماء الاجتماع لأربعة أسباب هى:

١- تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة نسبياً، إذا ما قورنت بالظواهر الاجتماعية الأخرى كاللغة والدين والتدرج الاجتماعى والعائلة. فقد نمت عملية التحضر، والتى يقصد بها معيشة نسبة كبيرة من السكان فى المدن، فهى مرحلة متأخرة من التاريخ الإنسانى.

٢- يؤدى التحضر إلى تغيير فى نمط الحياة الاجتماعية، وهو ينتج عن التنمية الاقتصادية، ويؤثر فى كل مظاهر الوجود. ويمتد أثره إلى الحياة الريفية.

٣- تتركز السلطة والنفوذ فى المدن. وتمتد هذه السلطة إلى أجزاء المجتمع - ريفه وحضره.

1- Benton, William (Publisher), Encyclopaedia Briannica. A Survey of University Knowledge, Vol. 22, P. 894.

٤- أن عملية التحضر مستمرة. وهى مازالت حتى الآن، كما لم تحل الكثير من مشاكلها.

وتبدو أهمية هذا العلم فى أن علماء علم الاجتماع الحضرى ومخططى المدن يواصلون توجهاتهم المهنية، ويتبادلون دراسة المشاكل والمعرفة فيما بينهم، فعلماء الاجتماع يدركون السلوك الإنسانى فى المدينة، الذى لا يدركه مخططو المدن. ويؤدى هذا التعاون فيما بينهم إلى تخطيط المدينة على أحسن وجه[1].

نشأة علم الاجتماع الحضرى

يعتبر التفكير فى المدينة محاولة قديمة إلى حد كبير. فقد تناولها الفلاسفة ووضعوها فى مرتبة أعلى من القرى، واعتبروها مركزاً للعقلانيين ومحوراً للأيديولوجية والثقافة والتكنولوجيا. ومع ذلك نجد فى ثنايا بعض الكتابات تحذيراً من أخطار الحياة فى المدينة، وتأكيداً لفضائل سكان القرى. فقد أقام أفلاطون جمهوريته فى وسط ريفى، وفى رأيه أن مدينته المثالية يجب أن لا تتعدى ٥٠٤٠ نسمة.

واشترط أرسطو وجوب أن يعرف كل فرد الآخر فى المدينة. واعتبر حياة المدينة الحياة الأفضل. ومع ذلك فقد وضع الفلاحين فى مرتبة أعلى من غوغاء المدينة، وإن كان لا يضعهم ضمن الطبقة الحاكمة. فالحكم - كما يقول أرسطو - يتطلب مهارة خاصة لا تتوفر فى الفلاحين ولاشك أن قوة الحكومة وقوة دولة المدينة تقوم على قدرتها فى المحافظة على قوة وحيوية طبقة الفلاحين.

1- Rouceck. Joseph, Op. Cit., P. 321.

ويبدو أن كلا من أفلاطون وأرسطو قد فقدا الثقة فى التجار وأصحاب الحرف، ونظراً إلى حياتهم باعتبارها مثالا للخسة وعدم الفضيلة(١).

وكان أفلاطون وأرسطو خياليين، ونقد أرسطو أفلاطون بقوله أن المدينة التى تتكون من عشرة أفراد تفتقد إلى الاكتفاء الذاتى، ولا تستطيع أن تحكم نفسها حكما صائباً(٢).

ولعل ظهور علم متخصص لمعالجة المدينة له موضوعه ومنهجه ونظرياته لا يزال محاولة حديثة. وأول كتاب نشر هو كتاب العالم الايطالى جيوفانى باتيرو Giovanni Patero سنة ١٥٩٨ بعنوان "عظمة المدن The Greatness of Cities".

ومنذ بداية القرن التاسع عشر أصبحت المدينة موضع اهتمام كثير من الباحثين فى تخصصات مثل علم الإحصاء والسكان والاقتصاد والإدارة والتخطيط والإصلاح الاجتماعى. كما اهتم الأخلاقيون بالمدينة، واعتبروها مجرد مجموعة من القيم تجعلها مكاناً مرغوباً فيه أو مرغوباً عنه، فهى مكان الوجود الإنسانى. واعتبر شبنجلر Spengler(٣) المدينة شراً يحطم كل شىء، فهو القائل بأن "مولد المدينة موقوف على نهايتها".

ونظر علماء السياسة إلى المدينة باعتبارها وحدة من القوانين أو شكلا من أشكال الحكومات. وهم يهتمون بتنمية أشكال الحكومة الحضرية، ومشاكل

1- Jefferey R. Hadden, and Joseph J., Barton, (eds) New Towns and Suburban Dream, Ideology and Utopia in P;anning and Development, P. 33.

2- Paker, Thelmat., (Ed). Urbanization of Man, A Social Science Perspéctive, P. 165.

3- Egon Ernest, Bergel, Urban Sociology, P. 515.

الحكم فى المدينة. ويستهدفون إعادة تشكيلها وتخطيطها من خلال الوسائل التى يمكن الحكومة من القيام بذلك. كما ينظر علم السياسة إلى المدينة من زاوية تعامل الحكومة مع شكل الحياة الحضرية.

واهتم المؤرخون بالمدينة من زاوية تاريخها، وإلقاء الضوء على فترة زمنية من سلسلة تاريخها. أما علم الجغرافيا فيدرس المدينة من زاوية مهن سكانها، واستخدام الإنسان للأرض، وموقعها، وتوزيع المساحة الفيزيقية والتغيرات فى حجم الموقع[١].

وقد أدت هذه الدراسات التى تراكم التراث العلمى حول المدينة مما جعل البعض يقرر أن علم الاجتماع الحضرى يدين بالكثير لهؤلاء المتخصصين.

وبدأ اهتمام السسيولوجيين بظاهرة الحضرية فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. وأجريت عدة دراسات فى الولايات المتحدة وانجلترا، من أهمها دراسة "تشارلس بوث Charles Booth" للحياة والعمل لسكان Life and Labour of the people in London"، وفى عام ١٨٩٩ كتب "أدنافيبر Adna Weber" بحثا سسيولوجيا بعنوان "نمو المدن فى القرن التاسع عشر The Growth of Cities in the Nineteenth Century"، ثم نشر ماكس فيبر كتابه "المدينة Die Stadt".

وقد صاحب هذا التقدم ظهور نظريات واتجاهات فى علم الاجتماع الحضرى، فمن المفكرين من فسر المدينة فى ضوء ثنائيات تقابل بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى. والحق أن الاهتمام بدراسة الفروق الريفية /

1- Wiliam Bonton. (Publisher), Encyclopaedia Britannica. A Survey of Universalc, c, Vol. 22, P. 891.

الحضرية قديم قدم علم الاجتماع، وإن أرجع البعض هذا الاهتمام إلى فترة تسبق ظهور علم الاجتماع إلى حيز الوجود. فقد أدرك الفلاسفة فى العصور القديمة أن المدينة تختلف اختلافاً كبيراً عن الريف المحيط بها فى كثير من وجوه النشاط الاقتصادى. وتناول المفكر العربى عبد الرحمن بن خلدون فصلا فى التمييز بين البدو والحضر، وأرجع هذه الفروق إلى مصادر الإنتاج والمهنة.

ومن المحقق أن دراسة الفروق الريفية / الحضرية اكتسبت طابعاً علمياً مع مطلع هذا القرن نتيجة للتطور الذى طرأ على مناهج البحث فى علم الاجتماع، وقدم علماء الاجتماع ثنائيات تقابل بين نوعين من المجتمعات يختلفان فى الخصائص والسمات المميزة لكل منهما. فقد ميز هنرى مين بين مجتمع يقوم على المكانة Status وآخر يقوم على التعاقد. وطرح تونيز مقابلة بين مجتمع تشيع فيه روابط القرابة والعلاقات الأولية، وآخر تسوده علاقات المصلحة والتعاقد، وأقام هوارد بيكر تفرقة بين مجتمع مقدس Sacred ومجتمع علمانى Secular. وميز أميل دوركايم بين مجتمع يقوم على التضامن العضوى Organic Solidarity وآخر يقوم على التضامن Mechanical Solidarity وحدد ردفيلد خصائص المجتمع الشعبى لكى يقابل به المجتمع الحضرى. والمجتمع الشعبى فى رأيه مجتمع متجانس يربط بين أعضائه إحساس قوى بالتضامن، والسلوك فيه تقليدى وشخصى، وهذا المجتمع يطغى عليه كل ما هو مقدس على كل ما هو علمانى، كما أن الاقتصاد يعتمد على المكانة أكثر من اعتماده على السوق.

وحدد لويس ويرث الخصائص المميزة للمجتمع الحضرى فى مقاله الشهير "الحضرية كأسلوب للحياة Urbanism as a way of life" وذكر أن المجتمع الحضرى يتميز بالحجم والكثافة واللاتجانس. فكلما زاد عدد السكان وعظم

تباينهم، وضعفت الروابط القرابية والجيرة، تظهر المنافسة وميكانيزمات الضبط الرسمي. وأضاف أن الحضرية كأسلوب في الحياة تتميز بالعلمانية Secularization وظهور الجماعات الثانوية، والميل نحو تفتت الأدوار وعدم وضوح المعايير.

أما سوروكن Sorokin وزمرمان Zimmerman[1]، فقد اعتبرا المهنة المعيار الرئيسي للفروق الريفية / الحضرية. وينبثق عن هذا المعيار سلسلة من الاختلافات تتبلور في ثمانية خصائص تستخدم للمقارنة بين الريف والحضر، هي:

١- المهنة Occupation.

٢- البيئة Environment.

٣- حجم المجتمع Size of Community.

٤- كثافة السكان Density of population.

٥- التجانس واللاتجانس السكاني Heterogeneity and Homogeneity of population.

٦- التمايز والتدرج الاجتماعي Social Differenciation and Stratification.

٧- الحراك Mobility.

٨- نسق التفاعل System of Interaction.

١- المهنة:

يعمل غالبية سكان الريف في الزراعة، من زرع وري وحصد وتسويق، وبعض المهن القليلة غير الزراعة كالصيد والتعدين، ويصنع الفلاح جلبابه

1- Peter Mann, Op. Cit., P. 7

وخبزه وجبنه وزبده فى بيته، أى يكون مكتفيا بذاته. بينما يعمل غالبية سكان المدينة فى مهن الصناعة والتجارة ومهن أخرى غير زراعية وفى الوظائف المتخصصة، كوظائف الإدارة والحكم. أو بصفة عامة يعمل الحضريون فى كل الأعمال غير العمل الزراعى.

ويستخدم البعض هذه الخاصية لقياس ما إذا كان المجتمع ريفيا أم حضرياً، فإذا كان أكثر من ٥٠% من سكان منطقة من المناطق يعملون بالزراعة، اعتبرت المنطقة ريفية وصار المجتمع ريفيا. وإذا قل عدد العاملين بالزراعة عن ٥٠% اعتبرت المنطقة حضرية والمجتمع حضريا.

وتكاد تثبت إحصاءات السكان فى ج. م. ع. صحة هذا المقياس، إذ يبين تحليلها أن هناك تناسبا عكسيا بين امتهان الزراعة ودرجة التحضر فى المجتمع، فكلما زادت نسبة العاملين فى الزراعة قلت درجة حضرية المجتمع، والعكس من هذا صحيح تماما. ولقد كان المتوسط التقريبى لنسب العاملين بالزراعة والمهن الأخرى على النحو التالى[١].

- فى القرى الصغيرة: وصل عدد المشتغلين بالزراعة حوالى ٨٠% والمهن الأخرى حوالى ٢٠%.
- فى القرى الكبيرة : وصل عدد المشتغلين بالزراعة حوالى ٧٠% والمهن الأخرى حوالى ٣٠%.
- فى المدن الصغيرة: وصل عدد المشتغلين بالزراعة حوالى ٣٣% والمهن الأخرى حوالى ٦٧%.

١- د. عبد المنعم محمد بدر. مجتمعنا الريفى، ص ص٩٢- ٩٣.

- فى المدن الكبيرة: وصل عدد المشتغلين بالزراعة حوالى ٧% والمهن الأخرى حوالى ٩٣%.

٢- البيئة :

تسيطر البيئة الطبيعية على البيئة الاجتماعية والانثروبولوجية فى الريف، وتقوم علاقة مباشرة بين الإنسان والطبيعة أو الأرض، بينما يسيطر إنسان المدينة على الطبيعة والبيئة التى يعيش فيها، وهو يعدل ويغير فيها.

٣- حجم المجتمع :

يقوم فى الريف المزارع المفتوحة والمجتمعات الزراعية الصغيرة ويرتبط الريف بحجم المجتمع ارتباطاً عكسياً. بينما يكبر حجم المجتمع الريفى، وترتبط الحضرية بحجم المجتمع ارتباطاً ايجابياً.

٤- كثافة السكان :

يقل عدد السكان وكثافتهم فى المجتمع الريفى، إذ تتميز ةالمجتمعات المحلية الريفية بانخفاض كثافتها فى نفس المجتمع وفى نفس الفترة، فعدد السكان الذين يعيشون فى الكيلو متر المربع فى الريف أقل منه فى المدينة، إذ تزداد كثافة السكان فى المدينة، وترتبط الحضرية بكثافة السكان ارتباطاً إيجابياً.

ويرجع هذا إلى أن المدينة تعتبر مركز جذب لكثير من نواحى النشاط التى لا يتمكن أى مجتمع ريفى من اجتذابها مثل مراكز الثقافة (كالجامعات وقصور الثقافة ودور السينما والمسرح ... الخ)، ومراكز التجارة الكبرى (الجملة والقطاعى)، ومراكز الحرف والصناعة (كالورش والمصانع)، ومراكز الإدارة (كالوزارات والمصالح والشركات ... الخ)، ومراكز الترويج (كالأندية ومراكز الشباب وحمامات السباحة والحدائق والمقاهى، ومراكز السياحة (كالفنادق والمتاحف والملاهى).

وقد اختلف معظم الباحثين فى تحديد الحد الأدنى لعدد سكان المدينة. ففى ايرلنده – مثلا يعتبر الحد الأدنى لسكان المدينة ١٥٠٠ شخصا، بينما تصل فى فرنسا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا إلى ٢٠٠٠ شخصا، وفى الولايات المتحدة والمكسيك ٢٥٠٠ شخصا، ووفى هولنده واليونان ٥٠٠٠ شخصا[١].

ووضع لورى نلسون[٢] المقاييس الآتية للتمييز بين المناطق والتجمعات السكانية المختلفة على الوجه التالى:

١- اعتبارالتجمعات التى يقل عدد سكانها عن ٢٥٠ نسمة كفورا.
٢- اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ٢٥٠ - أقل من ١٠٠٠ نسمة قرى صغيرة.
٣- اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها ممن ١٠٠٠ – أقل من ٢٥٠٠ نسمة قرى كبيرة.
٤- اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ٢٥٠٠- أقل من ٥٠٠٠ نسمة مراكز (بنادر).
٥- اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ٥٠٠٠ – أقل من ١٠.٠٠٠ نسمة مدناً صغيرة.
٦- اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ١٠.٠٠٠ فأكثر مدنا.

أما هيئة الأمم المتحدة فقد جعلت الرقم القياسى المميز بين الريف والحضر هو ٢٠.٠٠٠ نسمة لأى مجتمع إنسانى.

١- د. مصطفى الخشاب. مقدمة فى دراسة الاجتماع الحضرى، ص٦٣.

٢- د. عبد المنعم محمد بدر . المرجع السابق. ص٨٩.

٥- التجانس واللاتجانس السكانى :

من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية واللغوية والمعتقدات وأنماط السلوك، فسكان الريف بالمقارنة بسكان الحضر يتميزون بأنهم أكثر تجانسا، ومعنى هذا أن الريفية ترتبط سلبيا باللاتجانس. بينما يتسم سكان الحضر باللاتجانس ويرتبطون به ارتباطاً ايجابيا(١).

٦- شكل التمايز والتدرج الاجتماعى :

تقل درجة التمايز والتدرج فى المجتمع الريفى عن المجتمع الحضرى. ومع ذلك ففى الريف يعرف كل فرد مركزه، وكيف يتعامل مع الأهم أو الأقل منه. وللحسب والنسب أهمية كبرى فى الريف فترتبط أهمية الفرد بأهمية الأسرة التى ينتمى إليها، ومقدار ما تملكه هذه الأسرة من أرض. بينما يرتبطط التمايز والتدرج بالمجتمع الحضرى ارتباطاً قوياً. ومع ذلك تقل التفرقة فى المدينة بين الغنى ووالفقير، وبين الرئيس والمرءوس، وبين العالم والجاهل.

٧- الفروق فى شدة الحراك :

تقل مرونة الحراك فى المجتمع الريفى. بينما ترتبط الحضرية بالحراك ارتباطاً مطرداً، وذلك عدا فترات الانهيار، الذى تزداد فيها الهجرة من المدينة إلى القرية(٢).

٨- انساق التفاعل :

يسود الريف العلاقات الأولية والشخصية والدائمة والوثيقة والعميقة وتتسم هذه العلاقات بالبساطة والإخلاص. ومؤدى هذا اعتماد المجتمع الريفى على التقاليد والعادات والعرف. بينما يتسع فى المدينة مجال العلاقات غير

1- Peter. Mann, Op. Cit., P. 16.

2- Ibid., P. 20.

الشخصية والعابرة والنفعية والمؤقتة والرسمية والسطحية. ومؤدى هذا اعتماد المجتمع الحضرى على القانون والشرطة لحماية المجتمع.

وبالإضافة إلى الفروق السابقة هناك فروق أخرى نجملها فى الآتى:

١- البناء السكانى:

(أ) الجنس:

تزداد نسبة النساء فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية. كما تزداد نسبة الإناث فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية. كما تزداد نسبة الإناث مع زيادة حجم المنطقة الحضرية. ويسود النساء خاصة بعد سن النضوج. ويبين إحصاء عام ١٩٥١ فى انجلترا وويلز التفاصيل الآتية:

المنطقة	١٩٢١	١٩٣١	١٩٥١
انجلترا وويلز	١.٠٩٦	١.٠٨٨	١.٠٨٢
لندن	١.١٢١	١.١١٨	١.١١٢
جميع المناطق الحضرية	١.١١٤	١.١٠٧	١.١٠٧
جميع المناطق الريفية	١.٠٢٥	١.٠١٧	٠.٩٨٣

جدول رقم[١] لإحصاء عام ١٩٥١ يبين مقارنة ريفية / حضرية لنسبة النساء إلى الرجال بالألف

(ب) العمر:

يتشكل البناء العمرى فى المناطق الحضرية تشكيلا رأسياً، حيث تزداد نسبة الشباب، ويرجع هذا إلى هجرة الشباب من القرى إلى المدن، مما يؤدى إلى الإضرار بمصلحة الريف. وهكذا يفتقر سكان الحضر إلى الصغار وكبار السن. وتتراوح نسبة الأعمار فى المناطق الحضرية ما بين ٢٥- ٦٤ عاماً[٢].

1- Ibid, P. 30.

2- Ibis., P. 31.

(جـ) الجنسية :

يسكن المناطق الحضرية نسبة كبيرة من الأجانب، وذلك عكس ما هو موجود فى القرية[١].

(د) الإحصاءات الحيوية :

المواليد: تعتبر نسبة المواليد فى القرية أعلى منها فى المدينة[٢].

الوفيات: يزداد معدل الوفيات فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية. وترتبط زيادة معدل الوفيات فى المدينة مع كبر حجمها ارتباطاً ايجابياً[٣].

الأمراض العقلية: تزداد نسبة الأمراض العقلية فى المدينة عنه فى القرية.

الخدمات الطبية: يزداد عدد المستشفيات والأطباء فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية[٤].

٢- الاسرة :

تمتاز السرة الريفية بالتماسك، بعكس الأسرة الحضرية التى تبدو فيها مظاهر التفكك ومن مظاهر التماسك فى الأسرة الريفية بقاء نظام العائلة المركبة[٥].

٣- الدين :

يختلف المجتمع الريفى عن الحضرى من حيث التمسك بالدين، فالريفى يتمسك بدينه كما شرحه له الأئمة، على أن الحضرى (وخاصة المثقف) قد لا

1- Ibid., P. 36.

2- Ibid., P. 39.

3- Ibid., P. 41.

4- Ibid., P. 35.

٥- د. عبد المنعم شوقى. علم الاجتماع الحضرى - الطبعة الثالثة - مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦١، ص٦٨.

يعترف بذلك أو يأخذه على علاته، فهو يرى فى الدين مفاهيم جديدة ويفهمه على أنه أيضا علاقات وعمل واجتهاد فى الحياة بجانب كونه صلاة وصوما وحجا.

٤- التعاون.

يمتاز أهل الريف عن أهل الحضر بتعاونهم فى الملمات والمشكلات، فإذا شب حريق هب أهل القرية جميعهم لإطفاء الحريق، وإذا ماتت جاموسة فى القرية قام الريفيون بجمع المال لتعويض صاحب الجاموسة عن خسارته، أما فى المدينة فلا يكاد شخص يتحرك إذا نما إليه أن هناك حريق فى الشارع الذى يسكنه، أو إذا علم أن تاجرا يسكن فى نفس العمارة أصابته خسارة فى تجارته.

٥- الدخل.

يختلف المجتمع الحضرى عن المجتمع الريفى من حيث الدخل، فمتوسط الدخل فى المدينة يزيد عنه فى الريف، وذلك لاعتماد أهل الريف على الزراعة. ويؤثر هذا فى كثير من النواحى المعيشية لسكان الريف وسكان الحضر، فى المنزل والعمل وفى طريقة قضاء وقت الفراغ[١].

٦- المظاهر الثقافية.

يمتاز المجتمع الحضرى عن المجتمع الريفى باتصاله بمنابع الثقافة سواء أكانت محلية أو عالمية. فالمدينة هى مركز النشاط الثقافى وملتقى ثقافات العالم. وقد أدى هذا إلى تطورات كثيرة فى المجتمعات الحضرية من حيث استخدام التكنولوجيا الحديثة، ومن حيث تبنى سكانها لأساليب الحياة الحضرية ونظرة واحدة إلى طريقة المعيشة فى الريف وأدوات الزراعة والرعى والحصاد

١- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٦٩.

تكفينا لأن ندرك مدى بطء التغير في الريف. أما في المدينة فيكاد الإنسان يرى تغيراً في كل يوم، فالريفي يستعمل البترول في الإضاءة، والحضري يستعمل الكهرباء، والريفي يستعمل الحمار في الانتقال، والحضري يستعمل السيارة أو الترام، والريفي يستعمل الزير لحفظ الماء وتبريده، والحضري يستعمل الصنبور والثلاجة، والريفي يستعمل الزريبة للتخلص من فضلاته، والحضري يستعمل المرحاض. ويختلف (الاتيكيت) في القرية عنه في المدينة بحكم الأوضاع في كل مجتمع، ففي القرية تأمر الأم أولادها أثناء الطعام بالأكل من الناحية القريبة من الطبق، لأن الجميع يأكلون من صحن واحد، ثم هي تأمر بالتقليل من الطعام وتكبير قطعة الخبز توفيراً للطعام في المجتمع الفقير. أما في المدينة فتكاد تكوين جميع نظم الطعام مستمدة من الغرب لتأثر المجتمعه بالثقافة الغربية.

وتختلف في بلادنا ملابس سكان المدينة عن ملابس سكان القرية، فالرجال يلبسون البدلة بدلا من الجلباب، والنساء تخرجن في الطرقات بملابس ملونة تكشف عن الساعد والأذرع، حتى أولاد البلد يلبسون زيا مختلفا يميز أهل المدينة عن أهل الريف.

وتختلف أيضاً مهارات المدينة عن مهارات الريف، فالمرأة الحضرية أكثر مهارة في تنظيم وأكثر تزينا في لبس (الكعب العالي) مثلا، بينما تفوق المرأة الريفية أختها الحضرية في المهارة والرشاقة في فرد الرغيف على المطرحة وحمل البلاص وهز خضاض اللبن.

٧- التقسيم الإداري:

وهو من أهم الطرق أو المقاييس أو المحكات التي تميز بين الريف والحضر وتأخذ به ج. م. ع والسويد وبولنده ورومانيا.

ويعتمد هذا المقياس على مدى وجود المؤسسات باختلاف أشكالها ونوعيتها فى منطقة من المناطق، فهو يعتبر مدنا المناطق التى تظهر فيها بعض سمات التحضر وتتمتع ببعض المرافق الحيوية وبعض مؤسسات الخدمات كالنوادى والمستشفيات والمدارس والمحاكم ومراكز الشرطة ... وغيرها، فضلا عن المؤسسات التجارية والصناعية. أما المناطق التى لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من الحضر والتطور فهى فى نظر التقسيم الإدارى قرى.

ويعبارة أخرى فإن التقسيم الإدارى (عندنا) يعتبر عواصم المحافظات (المدن)، وعواصم المراكز (البنادر) فقط مناطق حضرية وما عدا هذا مناطق ريفية.

وانطلاقا من هذا التصور جاء تقسيم جمهورية مصر العربية الإدارى إلى ريف وحضر سنة ١٩٦٦ على الوجه التالى[١]:

عدد

٢٥ محافظة - بعواصمها ومدنها الكبرى - وهى القاهرة، والإسكندرية، وبورسعيد، الإسماعيلية، السويس، القليوبية (بنها)، الشرقية (الزقازيق)، الدقهلية (المنصورة)، (دمياط)، المنوفية، (شبين الكوم)، الغربية (طنطا)، كفر الشيخ، البحيرة (دمنهور)، الجيزة، الفيوم، بنى سويف، المنيا، أسيوط، سوهاج، قنا، أسوان، مرسى مطروح، البحر الأحمر، سيناء، الوادى الجديد.

١٠٨- بنادر ومدنها المتوسطة والصغيرة - أهمها : قليوب وطوخ (قليوبية)، فاقوس وأبو كبير (شرقية)، دكرنس والسنبلاوين (دقهلية)، فارسكور ورأس البر (دمياط)، منوف وبركة السبع (منوفية)، كفر الزيات والمحلة الكبرى (غربية)، دسوق وقلين (كفر الشيخ)، كفر الدوار وايتاى البارود (بحيرة)، البدرشين والصف (الجيزة)، الواسطى وسنورس (الفيوم)، الفشن ومغاغة

١- د. عبد المنعم محمد بدر. المرجع السابق، ص ص٨٥- ٨٦.

(بنى سويف)، سمالوط وملوى (المنيا)، أبو تيج ومنفلوط (أسيوط)، نجع حمادى والبلينا (سوهاج)، الأقصر وإسنا (قنا)، أدفو وكوم أمبو (أسوان).

١٣٣ (المجموع) مدينة كبيرة ومتوسطة (بما فيها البنادر).

٢٣٦٩ قرية بالوجه البحرى.

١٦٦٤ قرية بالوجه القبلى.

٤٠٣٣ (المجموع) قرية مختلفة الأحجام.

ويؤخذ على هذا الاتجاه أنه من الصعب تصور علم الاجتماع الريفى وعلم الاجتماع الحضرى على أنهما مجالان منفصلان، طالما أن علم الاجتماع يبحث فى القوانين العامة التى تحكم المجتمعات حيث يتساوى الريف والحضر فى الاستمرار، ويقترب الريف من الحضر. فما تزال بعض المدن تجمع فى خصائصها ووظائفها خصائص ووظائف الحياة الممدنية، ونجد فيها بعض السمات الريفية بجانب الحياة الحضرية. وبالمثل نجد أن ظاهر النشاط العمرانى فى كثير من القرى وبخاصة المجاورة لحدود المدن الكبيرة والداخلة فى نطاقها تقترب إلى حد كبير فى مظاهر النشاط العمرانى من الحضر بحيث يبدو أن التمييز بين الحضر والريف هو تمييز نظرى أو رسمى أكثر منه تمييزا يستند إلى طبيعة الحياة الاجتماعية.

ولا نقصد من ذلك تماثل الريف والحضر بل نعنى أن تأثير المدينة واضح ومستمر، إلى الحد الذى يصعب فيه التمييز بين الريف والحضر، وبالتالى بين علم الاجتماع الريفى وعلم الاجتماع الحضرى، ففى المجتمع الأمريكى خاصة يخضع كل من أهل الريف والحضر لنفس وسائل الاتصال وأساليب السيطرة والخضوع التى تتمثل فى مراكز الشرطة والقانون والمحاكم والسجون. وبالتالى لا تختلف أساليب حياة الناس التى تعيش فى مراكز المدن

الرئيسية والتى يزيد عدد سكانها عن المليون عن حياة الناس الذين يعيشون فى مدن صغيرة towns تقع على تقاطع المواصلات[1]. فهم جميعا يقعون تحت نفس الظروف، وتتوحد سماتهم الشخصية ويستجيبون لرموز واحدة ويتوافق طموحهم وأذواقهم وشكل ملابسهم ويؤدون نفس الأعمال.

وفى فرنسا يكاد التمييز بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة يكون معدوما. حيث يبدو تنقل السكان دائما بين القرية والمدينة. كما أن وسائل الاتصال كالتليفزيون والراديو شكلت طريقة واحدة فى المعيشة لكل من سكان القرية والمدينة[2].

وينطبق نفس الحال على دول أخرى مثل الاتحاد السوفيتى (سابقا) والصين (الشعبية) وبعض الدول الاشتراكية الأخرى، حيث تتبنى تلك الدول لأسباب أيديولوجية قضية مؤداها إلغاء الفوارق بين الريف والحضر، والقرية والمدينة إلغاء تماماً. وبالتالى عدم الفصل بين ما هو ريفى وما هو حضرى فى الدراسات الاجتماعية.

ولاشك فى أن أى مجتمع يقوم فيه حضارتان، حضارة محلية، وحضارة قومية، وتقوم بينهما تأثيرات وعلاقات متبادلة. وكذلك فإن تقسيم أى مجتمع إلى ريفى وحضرى إنما هو تقسيم تعسفى إذ ليس هناك مجتمع ريفى قروى خالص ومجتمع حضرى مدنى خالص، بل أن هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بالخصائص الحضرية والريفية، تبدأ من القرية الصغيرة حتى المدينة الكبيرة[3].

1- Joseph, Rouceck, Contemporary Sociology, Urban Sociology, P. P. 324- 325.

2- Jean - Paul, Trystam, Socilogie et Urbanism Paris Editions se L'Epi, 1970, P. 25.

٣- د. عبد المنعم محمد بدر. المرجع السابق. ص٨١.

وترجع صعوبة إبراز الفروق الريفية / الحضرية إلى أربعة عوامل هى: العامل الريفى، والحضرى، والماضى، والحضر. إذ كيف نقارن بين الريف والحضر دون أن تضع فى اعتبارنا الزمن الذى حدثت فيه المقارنة، حيث يستطيع عالم مقارنة قرية فى العصر الحالى بقرية فى عصر مضى، بينما يستطيع آخر أن يقارن قرية فى عصر مضى بمدينة فى العصر الحالى. وتتضح المقارنة باستخدام هذه المتغيرات الأربعة طالما كان البعد الزمنى واضحا.

وتقع الصعوبة الأخرى فى تحديد المقصود من كلمة مجتمع ريفى. فهذا المصطلح يمكن أن يطلق على قرية بدائية فى أفريقيا، وعلى قرية فى الولايات المتحدة الأمريكية يعيش سكانها فى حالة ثراء[١].

وعلى الرغم من ذلك، فقد اهتم بعض علماء الاجتماع خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ببحث المشاكل الاجتماعية لسكان المدن، بينما اهتم آخرون ببحث مشاكل الريف، خاصة أن الفروق بين الريف والحضر تبدو واضحة فى المجتمعات النامية. فقد تحولت كثير من المجتمعات الريفية إلى مجتمعات حضرية. وترتب على ذلك تحولا وتغييرات جوهرية فى مظاهر الحياة الاجتماعية وأنماط العلاقات والتفاعل والسلوك وطريقة الحياة، مما دفع علماء الاجتماع إلى استخدام منهج المقارنة بين المجتمعات الريفية والحضرية لفهم هذه التغيرات التى لا تزال تحدث حتى الآن.

ويقوم الاتجاه الثانى على المفاهيم الايكولوجية. وكانت معرفة الإنسان بالايكولوجيا من خلال علم البيولوجيا والطب. فقد أطلق البيولوجيون على

1- Peter, Mann, Op. Cit., P.P. 4- 5.

الاعتماد المتبادل بين المكونات البيولوجية والفيزيقية نسقا إيكولوجيا ecosystem[١].

وأشار هيبوقراط[٢] (٤٦٠- ٣٧٧ ق.م) إلى وجود عناصر ايكولوجية فى جينات الصحة والأمراض. وتناول كتابه On Airs, Waters and Places الجوانب البيئية.

أما الايكولوجيا الإنسانية فهى تلك التغيرات التى تحدث فى توزيع السكان والنظم، فهى تتعدل وفق نشاطات الإنسان، وما يبذله من جهود فى السيطرة على المناطق الصحراوية والمائية، وأراضى الغابات[٣]. وتعتبر المدينة نسقا إيكولوجيا غير كامل، فبالرغم من نمو الإنتاج الزراعى، إلا أنه لا يكفى إمداد سكان المدن بالطعام. ويعود نقص الإنتاج الزراعى فى المدن إلى صغر حجم الأرض الزراعية. وهكذا تبدو المدن أنساقاً ايكولوجيا غير كاملة. إذ يظهر اعتمادها فى الطعام على المناطق الزراعية المحيطة بها. وهى لا تقتصر على استيراد الطعام من المناطق الريفية، ولكنها تستورد كذلك الهواء النقى والمياه. ومع ذلك فهى تقوم بتصدير الإنتاج، ويزدهر فيها العمل والإسكان والنقل والتعليم، وتنشأ فيها المجارى وما إلى ذلك. وإذا قطعت المدينة علاقاتها بما يحيط بها من مناطق، فإنما تموت جوعا وعطشا. وهكذا تتبدى أهمية الاعتماد المتبادل بين المدينة والمناطق المحيطة بها[٤].

1- Paul R: Ehrlich and Anne. Ehrlich Population Resources Environment Issues In Human Ecology, P. 157.

2- Charles, H.; Southwick Ecology and the Quality of Our Environment, P. 140.

3- Paul R Ehrlich & Anne Ehrlich, Op. Cit., P. 11.

4- Charles H., South, Op. Cit., P. 167.

ويرجع تأكيد مفهوم المدينة وتفسير الحياة الحضرية فى ضوء المفاهيم الايكولوجية فى العصر الحديث إلى مدرسة شيكاغو. فقد كتب "روبرت بارك Robert Park" مقالاً عن المدينة نشر عام ١٩١٥، ثم ضمنه مع مقالات أخرى كتابه "المدينة" الذى صدر عام ١٩٣٥. ويعتبر هذا الكتاب نقطة البداية فى التأليف العلمى المتخصص فى علم الاجتماع الحضرى.

ويسعى اتجاه آخر نحو تفسير التنظيمات الايكولوجية والاجتماعية الحضرية فى ضوء القيم الثقافية. ومن أنصار هذا الاتجاه فون جرونباوم Von Grunebaum الذى كتب مقالاً عن المدن الإسلامية وأوضح هذا المقال أن المدن الإسلامية التقليدية تتميز على وجه الخصوص بطريقة فريدة فى الحياة، حيث تؤثر القيم الدينية على نشاطات الحياة الحضرية. ففى فترات منتظمة خلال اليوم يؤذن المؤذن لدعوة المؤمنين إلى الصلاة، وهذا إجراء يشغل إلى حد ما مكاناً فى النشاطات اليومية. وخلال شهر رمضان يعدل الناس من نشاطاتهم لكى تتفق مع القيود الدينية التى يفرضها الصوم من شروق الشمس حتى غروبها. وفى هذا أيضاً يتحول إنجاز بعض الأعمال من النهار إلى الليل، كما قد تتوقف بعض المشروعات الاقتصادية.

أما وليم وايت Whyte، فقد ذهب إلى أن القيم الثقافية تعتبر مسئولة عن الحقيقة التى مؤداها أن بعض الناس يفضلون الإقامة فى المناطق الحضرية الأمريكية بعد أن يعيشوا فترة من الزمن فى الضواحى، وهذا بدوره يؤثر على حجم المدن وكثافتها[1].

١- د. محمد الجوهرى وآخرون. دراسات فى علم الاجتماع الريفى والحضرى، ص ص٥٥-٥٦.

تعريف المدينة

فى ضوء ما سبق، يمكن القول أن المدينة City ودولة المدينة City - State كلمتان مترادفتان ويحيط المدينة مناطق ريفية، لكن سكانها منفصلتين عن تلك المناطق(١).

وقد عرفت المدينة تعريفات مختلفة حسب وجهة نظر كل عالم، فمنهم من تصور المدينة امتداداً للقرية على افتراض أن هناك تدرجاً مستمراً بين ما هو ريفى وما هو حضرى.

ومنهم من عرف المدينة فى ضوء عدد السكان، فقد اتفقت الهيئات الدولية على أن أى ممكان يعيش فيه ٢٠٠٠٠ نسمة فأكثر يعتبر مدينة، حيث يتبين تزايد نسبة سكان المدن فى العالم زيادة كبيرة، سواء كان ذلك فى البلاد المصنعة أو الغير مصنعة. وربما كان هذا التحديد العددى ملائماً للأغراض الإحصائية. إلا أنه غير مفيد تماماً من الناحية السسيولوجية هذا والتعريفات التى تبنى على أساس النظر إلى كثافة السكان ينبغى أن تكون مرفوضة، لأن كثيراً من القرى ربما يكون لها نفس كثافة المدن بل تزيد عنها فى بعض الأحيان. فقرية سرس الليان من الصعب أن نطلق عليها مدينة، بالرغم من أن عدد سكانها يبلغ حوالى الثلاثين ألف، إذ أن مظاهر الحياة القروية أصيل فيها.

وعرفت المدينة كذلك فى ضوء اصطلاحات قانونية، وذلك أن مكانا مما قد يطلق عليه اسم مدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن سلطات عليا. إلا أن هذا التعريف غير مرضى. لأن المكان لا يمكن أن يكون مدينة

1- Egon Ersnest Bergel, Op. Cit. P. 1.

لمجرد ظهور إعلان بذلك. كما أن هذا لا ينطبق على كثير ممن المدن الموجودة فى كثير من بلاد العالم التى نشات وتطورت دون إعلان رسمى، أو دون صدور وثيقة بذلك من الجهات المختصة.

وقدم فرع المجتمع الريفى - قسم الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة - جامعة الإسكندرية إلى مصلحة الإحصاء والتعداد بوزارة المالية تعريفاً للمدن بأنها تعتبر من الحضر والمحافظات والعواصم والمراكز، ويعتبر ريفا كل ما عدا ذلك من البلدان(١).

ويتناول ممفورد(٢) المدينة باعتبارها حقيقة تراكمية فى المكان والزمان. ومن هذا المنطلق فإن تاريخها يمكن استقراؤه من خلال مجموعة التراكمات التاريخية، وفى تطورها من حيث تالزمان تأخذ شكلا تتابعياً من حيث الوجوه التى مرت بها، وهى كنتيجة لذلك التتابع الزمنى تعد تراكمية فى المكان.

ومن العلماء من تصور المدينة على أنها مجتمع محلى يتميز بمجموعة مركبة من السمات التى يمكن إدراكها. إذ حاول البعض تعريف المدينة على أنها المكان الذى أصبح من الكبر بحيث لم يعد الناس يعرفون بعضهم بعضا. ولكننا لا نعتقد فى صحة هذا التعريف لأن كثيراً من المدن الصغيرة يعرف سكانها بعضهم بعضا.

وربما كانت خاصية التمايز واللاتجانس الاجتماعيين أبرز ما يميز الطابع الحضرى نظراً لما تتصف به المدينة من اختلافات شديدة من حيث المهن والمراكز الاجتماعية والاقتصادية الأمر الذى يجعلنا نقول أن المدينة هى

١- د. أحمد النكلاوى. المرجع السابق، ص١٨.

٢- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٢٥.

مكان يعمل فيه أغلب سكانه فى مهن متعددة عدا المهنة الزراعية وما يتصل بها من شئون.

وعرف ورث Wirth المدينة بأنها المركز الذى تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهات من الأرض، ومنها أيضاً ينفذ القانون الذى يطبق على جميع الناس.

من جملة ما سبق يمكن أن نعرف المدينة بأنها تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة، تعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً، وتنتشر منها تأثيرات الحياة الحضرية المدنية، ويعمل أهلها فى الصناعة أو التجارة أو كليهما معا، كما تمتاز بالتخصص وتعدد الوظائف السياسية والاجتماعية.

وما دامت المدينة كذلك، فهى اذن ظاهرة اجتماعية، وهذا ما سوف نبينه فى الجزء التالى.

المدينة ظاهرة اجتماعية

تعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية، فهى أكثر من مجرد جزء من أجزاء المجتمع وهى تمثل حقيقة اجتماعية. وتعد تعبيراً عن الممارسات الجمعية للسكان الذين يعيشون ويعملون معاً. ففى المدينة يتجلى ارتباطات الناس بعضهم ببعض، وتتبدى العلاقات الاجتماعية المتبادلة، والإنجازات الحضرية. وفى المدينة تظهر المشاكل الاجتماعية الحضرية[1]، ومن خلال تطبيق شروط الظاهرة الاجتماعية على المدينة نجد أنها:

١- تمتاز المدينة بأنها ذات طبيعة إنسانية :

يتميز الإنسان بثلاث طبائع: حيوية ونفسية واجتماعية. وبمقتضى طبيعته

1- Reinhardt, James M. & Paul Meadoves & Jonn M: Gilletle, Social Problems & Social Policy, P. 172.

الحيوية، فإنه يأكل ويشرب وينتقل فى الزمان والمكان. وبمقتضى طبيعته النفسية فإنه يشعر ويتألم ويلتذ ويتخيل ويفرح. وبمقتضى طبيعته الاجتماعية فإنه يعيش فى مجتمع ويتعامل مع أفراده، ويخضع لما يفرض عليه من معاملات اقتصادية وأوضاع سياسية وتربوية وتشريعات قانونية. والمدينة كمجتمع محلى نجد أنها من الضرورى أن تتعاون مع باقى المدن، وترى المجتمع العام، لكى تنمى بنيانها الاجتماعى وتساهم فى تنمية الأبنية الاجتماعية لباقى المدن والقرى فى المجتمع، ولكى تضمن توفير الحاجات الاجتماعية لسكانها، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق خضوع المدينة لما تخضع له باقى المدن والقرى فى المجتمع من معاملات اقتصادية وأوضاع سياسية وتربوية وتشريعات قانونية وما إلى ذلك.

والمدينة أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنسانى بمعنى أن حياة الأفراد فيها تسبغ عليهم بعض الصفات، فيصدر عنهم ظواهر لا تمت بصلة إلى طبيعتهم الفردية.

٢- المدينة تلقائية النشأة:

حيث تكون فى البداية مجرد مجموعة متناثرة من المنازل التى بنيت لمجرد الإيواء، ثم تتجمع هذه المنازل مع بعضها البعض إلى أن تأخذ شكل القرية، ثم تتسع تلك القرية نتيجة لتزايد السكان وتنوع حرفهم، ثم يزداد الدخل القومى فى تلك القرية فتتحول إلى مدينة صغيرة town وعندما تتوافر فى تلك المدينة الصغيرة كافة العناصر الحضرية المختلفة مثل المصانع ووسائل المواصلات، ووسائل الاتصال الجمعى، والخدمات مثل المياه والنور وما إلى ذلك تتحول إلى مدينة رئيسية City. ويعنى هذا أن المدينة كظاهرة اجتماعية ليست من صنع فرد أو أفراد، ولكنها من صنع المجتمع ومن خلقه، وتظهر

على مسرحه بصورة طبيعية تلقائية، ويوحى من العقل الجمعى الذى ينشأ عن اجتماع الأفراد ومن تبادل آرائهم وتفاعل وجهات نظرهم حول شئون الحياة الاجتماعية وانصهار رغباتهم وإرادتهم الخاصة.

٣- المدينة ظاهرة عامة منتشرة فى كل المجتمعات:

من الميسور دراسة المدينة احصائيا، ومن خلال تلك الدراسة يمكن التعبير عن الظواهر والأنساق الاجتماعية السائدة فى كل مدينة تعبيراً رياضياً. كما أنها تفرض نفسها على الأفراد فى سائر أنحاء المجتمع أو فى بعض قطاعاته.

٤- المدينة تمتاز بموضوعيتها وشيئيتها:

وهذا يعنى أنه يمكن دراسة المدينة بوصفها أشياء خارجة عن ذواتنا وعن تجسد ذواتنا الفردية، ودون التأثر فى دراستنا بميولنا وآرائنا واتجاهاتنا الخاصة. أى دراستها دراسة موضوعية والمقصود بالشىء هنا ما يقابل الفكرة، بمعنى أن معرفتنا بما تستمد من الواقع. فلكل مدينة تراث اجتماعى، وهذا التراث يتضمن كثيرا من السنن الاجتماعية التى يتناقلها الخلف من السلف، ويخضع الأفراد لأحكامها احتراماً لسلطاتها الأدبى وقداستها الزمنية.

٥- المدينة تمتاز بالترابط:

بمعنى أن المدينة تتصل بأجزائها من الناحية المورفولوجية عن طريق المواصلات المختلفة على اعتبار أن النظام السياسى فى المدينة مثلا يرتبط بالأنظمة التعليمية والاقتصادية والدينية والإدارية والتنظيمية. وتتصل جميع هذه الأنظمة بالنظام الأسرى. ومن ثم عند دراسة النظام السياسى فى المدينة، لابد من دراسة الخلق القومى، والوضع الاقتصادى ومدى الترابط فى النظام الطبقى ومبلغ قوة العقيدة، ومدى انتشار المشاركات الوجدانية والتيارات الفكرية.

وهذا يؤكد أن المدينة كظاهرة اجتماعية ترتبط بباقى الظواهر الاجتماعية الأخرى فى المجتمع.

٦- المدينة مزودة بصفة الجبر والإلزام :

فالأفراد ملزمون بالحياة فيها عندما تكون لديهم الرغبة فى الاستمتاع بخدماتها الحضرية المختلفة مثل التعليم والترفيه والعلاج وكل ما يتصل بالحياة الحضرية الراقية.

٧- المدينة تمتاز بصفة الجاذبية :

إن المنطقة التى ولد فيها الإنسان تكون محل زهو لديه غير إن نشأة المدن وما يتوافر فيها من مظاهر حضرية جعلت الإنسان لاسيما الذى ولد فى الريف قبل الذى ولد فى المدينة يفضل الحياة فى المدينة على الحياة فى القرية التى ولد فيها لعدم توافر الوسائل والخدمات الحضرية فى القرية.

وفى ضوء هذا تبين أن المدينة ذات خصائص اجتماعية تتفق مع خصائص الظاهرة الاجتماعية، وبالتالى فإن المدينة ظاهرة اجتماعية[١].

سمات المدن

تمثل كل مدينة ظاهرة فريدة لا تتكرر، وبالتالى فمن الصعوبة إطلاق سمات عامة للمدن، إذ تفسر كل مدينة فى ضوء ظروفها التاريخية وعوامل نموها وما صاحب ذلك من ملابسات. ومع ذلك فقد حدد لويس Louis Worth[٢] خصائص التحضر فى مقالته الشهيرة "التحضر كأسلوب للحياة

١- د. زيدان عبد الباقى. علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية، ص ص٢٢- ٣٠.

2- R. N., Morris, Op. Cit., P. 15.

وانظر: د. نبيل السمالوطى. التنمية والتحديث الحضارى - الجزء الأول - تحليل للأبعاد الاجتماعية والنفسية للتنمية الاقتصادية، ص١٥٩.

"Urbanism as a way of life": الحجم، والكثافة، واللاتجانس. وترتبط هذه العناصر فيما بينهما ارتباطاً وثيقاً، مما يؤدى إلى وجود تجمع من الناس يتسم بكبر الحجم وشدة الكثافة واللاتجانس. ويعمل هؤلاء الناس فى تعاون من أجل انجاز تنظيم معقد فى المدينة. كما تتسم المدينة بالطابع الجزئى للعلاقات الاجتماعية مع الاتجاه إلى استخدام العقل فى التبرير المنطقى. وكذلك الاعتماد على بيئة صناعية يتزايد فيها تحكم افنسان فى حياته ووقته وإنتاجه وعلاقاته.

ونحاول هنا إلقاء الضوء على السمات العامة للمدن.

١- المهنة.

تخصصت المدينة خلال مراحل التاريخ فى واحد أو أكثر من الوظائف الآتية:

- الوظائف الاجتماعية: الدفاع، الدين، الثقافة، الإدارة، الترفيه.
- الوظائف الاقتصادية: التجارة، الصناعة، الإنتاج، الخدمات.

وفى العصور الحديثة نجد أن المدينة ليست مجرد وحدة جغرافية وإيكولوجية فقط، بل هى فى الوقت ذاته وحدة اقتصادية، ويستند التنظيم الاقتصادى فى المدينة على مبدأ تقسيم العمل. وبالتالى لا نجد وظيفة واحدة للمدينة، فنشاطها الرئيسى يحتاج إلى عدد من الخدمات والأنشطة الأخرى. إذ تجذب المراكز التجارية الصناعة. وتحتاج الصناعات الكبرى إلى التجارة. وتجتذب المراكز الحكومية والأنشطة الثقافية. وبذلك تصبح المدينة موطناً متعدد الوظائف يخهدم أغراضاً متعددة. ويترتب على ذلك أن لكل فرد فى المدينة مهنة أو وظيفة معينة. وعلى ذلك يعيش فى المدينة الأخصائيون فى الوظائف القيادية والدينية والتربوية، والعاملون فى المهن الهندسية والفنية،

والزعماء والسياسيون وكبار التجار بالإضافة إلى تركز أغلب صور النشاط الاجتماعى والحياة المدنية.

وينتج عن ذلك أن المدينة تنقسم إلى مواقع ومناطق متميزة يتحدد لكل منها وظيفة معينة أو نشاط خاص. فهناك أقسام للسكن، وأخرى للتجارة، وثالثة للصناعة، ورابعة للنزهة والترويح، كما تنقسم أقسام السكن إلى مناطق للطبقات الفقيرة، وأخرى لسكن الطبقات المتوسطة، وثالثة لسكن الطبقات الغنية.

وتتداخل هذه الأقسام فيما بينها بعض التداخل، فليس هناك أقسام للسكن فقط، وللتجارة فقط، وإنما هناك أقسام يغلب عليها طابع السكن، وأخرى يغلب عليها طابع التجارة، وهلم جرا. ويجذب كل قسم منها نوع خاص من الناس والخدمات، كما يطبع كل منها ثقافة خاصة. ويتغير بعض سكان الأقسام من فئة إلى أخرى عن طريق التعليم، أو ازدياد الدخل، ينتقل هؤلاء من قسم لآخر فى المدينة بما يتمشى مع أوضاعهم الجديدة.

ويرتبط النمو الحضرى ارتباطاً وثيقاً بالتصنيع فى البلاد الصناعية. إذ تتسم المدينة بقيام الإنتاج على المنتجات الصناعية. ويظهر ذلك فى النهضة الصناعية الحالية فى كثير من البلاد الآسيوية والأفريقية. ويزداد النمو الحضرى بازدياد المصانع، بالإضافة إلى ازدياد المنتجات الأدبية والفنية والأعمال الإدارية والتنظيمية.

٢- المظاهر الثقافية :

تمتاز المدينة بأنها كبيرة ومتنوعة ومحلاتها التجارية واسعة تبيع مختلف البضائع كما أنها مزودة بالأضواء وإعلانات ألوانها زاهية، وبها ميادين فسيحة

وتماثيل ونافورات وأندية وحدائق، وبها سينما ومسارح ومعارض ومتاحف وحمامات للسباحة وحدائق للحيوانات ومقاهي.

وفي المدينة ترى العمارة الحديثة إلى جوار المبنى القديم المتآكل، وترى قصر الغني وبجواره عدة أكواخ، وترى السيارات الفخمة وبجوارها السيارة التي عفى عليها الدهر، وترى حي الأغنياء ملاصقا لحي الفقراء. كل هذه الأضداد تتجمع في المدينة. والمدينة بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة. وهي تسمح بل وتشجع تأكيد الفروق الفردية باستمرار. وللناس طبائع متباينة، وهم يتكلمون أشكالاً مختلفة من اللغات أو اللهجات ويلبسون أنماطاً متعددة، ولهم قيم بعضها أقرب إلى قيم الريف وبعضها مستورد من الخارج، وبعض الناس هازل وبعضهم الآخر جاد، وبعضهم هادئ، والبعض الآخر سريع الغضب.

ومن مظاهر المدينة حركتها العمرانية التي لا تكاد تقف، هدم وبناء في كل جوانب من جوانب المدينة. حفر في الأرض ورصف في الطرقات وإصلاح في البيوت وشوارع تشق وطرق تتسع.

ووسائل المواصلات متوافرة في المدينة فهناك سيارات خاصة وسيارات عامة مختلفة الأشكال، وترام أو قطارات تسير تحت الأرض ودراجات عادية ولوريات لحمل البضائع.

وتتسم المدينة بنشاط متدفق يدفع الناس إلى الحركة والسرعة، فالحياة في المدينة سريعة، الناس يهرولون في الشوارع، والسيارات تتسابق في الطرقات، وتحركات الناس في المدينة كثيرة، فهذا يسكن في شمالها، ويعمل في جنوبها، وذلك يسكن في شرقها ويزور أصدقاء في غربها، وثالث يذهب إلى النادي بعد الظهر، وإلى السينما أو المسرح في المساء.

وتتسم المدينة بالازدحام، ازدحام المواصلات، وازدحام أمام دور السينما، ووقت دخول وخروج الموظفين، وأمام شبابيك البريد، وفى المحلات التجارية، وفى محطات القطارات. ومع وجود الازدحام فإن سكان المدن يتصرفون كأفراد قليلا ما يكلم بعضهم بعضا فى الطرقات أو فى سيارة عامة.

والنظافة من مظاهر المدينة. نظافة فى الشوارع وداخل البيوت والملابس والأطفال، إلا أنها نظافة نسبية.

٣- الإنسان الحضرى :

مع نمو حجم المدينة يقل معرفة الفرد بالآخرين معرفة شخصية، وبالتالى تصبح العلاقات الاجتماعية علاقات سطحية ومؤقتة وغير شخصية. ولا يقلق الإنسان الحضرى كثرة الناس الذين يتصل بهم ولا ذهابهم عنه، على الرغم من أنه يعمل باستمرار على اكتساب معارف جدد. كما أن الإنسان الحضرى لا يزعجه أن يسير بين الناس فى الشارع أو أن يجلس معهم فى أى مكان دون أن يعرفهم، لأنه فى الحقيقة لا يهتم بهم.

ولا يتصف إنسان المدينة بالتنقل فحسب، كما أنه لا يقف موقفاً جامداً إزاء التقاليد التى تسد طريق حريته فى الحركة فى نطاق مجتمع المدينة، بل يسلك سلوكاً عقلانياً سفسطائياً. ومن ناحية أخرى قد يفقد ولاءه لعائلته المباشرة، ولكنه يميل فى نفس الوقت إلى أن يفقد علاقاته أو صلاته المباشرة بأقاربه الآخرين.

ومسئولية الفرد فى المدينة أكثر وضوحاً، لأن الفرد يتحمل مباشرة نتيجة أخطائه، ويجنى وحده ثمرات نجاحه، فالمدينة لا تحمى الكسول المتراخى وتشجع دائماً العمل الخلاق، وتتيح الفرص أمام العاملين أن يتنقلوا انتقالاً اجتماعياً بين فئاتها المختلفة.

٤- *البيروقراطية* :

ربط ممفورد بين سمة التركيز الحضرى داخل المدينة وبين امتداد خطوط الطرق البرية واتساع طرق التجارة عبر المحيطات. فكل الطرق تؤدى إلى العاصمة All Roads led to the Capital ويقف خلف ذلك تمركز الإدارة فى العواصم الكبرى وازدياد اعتماد كل مشروع أو نشاط سياسى أو تربوى أو اقتصادى على التنظيم الإدارى القائم فى المدن والعواصم. كذلك يرى أن الاختراعات الآلية وأدوات الكتابة والطبع والنشر والتسجيل وغيرها من أدوات التحكم والتوجيه والإرشاد ساعدت على قيام ظواهر بيروقراطية الحياة الإدارية والتجارية التى تتحكم فى كثير من جوانب الحياة الداخلية والخارجية.

ولقد أدت هذه الظواهر إلى صعوبة أداء الأشياء والمهام عن طريق أدوات العمل المباشر. وأصبحت أبسط الأمور تتطلب وضع قاعدة قانونية تنظيمية وتتطلب اللجوء إلى مجموعة من الأسانيد والوثائق والتبريرات[١].

٥- *التشريعات القانونية* :

تبرز التشريعات القانونية والأساليب الرسمية للضبط الاجتماعى فى المدينة لتحل محل طاعة التقاليد، وذلك بصفتها وسيلة أساسية لتنظيم علاقات سكان المدن وحياتهم الاقتصادية. ذلك أن المدينة هى المركز الرئيسى الذى يحتوى على جميع المؤسسات الاجتماعية المركزية التى تجسم فيها كل أمور الإنسان ذات الأهمية الحيوية.

٦- تمتد المدينة خارج حدودها :

لا تقف المدينة عند حدودها المحلية، بل تمتد خارج حدودها، وتؤثر وتسيطر على المناطق التى تقع خارج هذه الحدود. ويمثل مركز المدينة

١- د. أحمد النكلاوى. القاهرة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى، ص٣٩.

المنطقة الهامة التى تسيطر على باقى الأجزاء، حيث اعتمد عليها المراكز الصغرى[1].

تصنيف المدن

تعتبر المدينة بصفتها نموذج لمجتمع حضرى ظاهرة قديمة يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ٧٠٠٠ سنة، وهى تعتبر كذلك انعكاساً لتزايد التعقد الاجتماعى، واستجابة لظروف اجتماعية وثقافية وجغرافية. وقد انعكس هذا على أساسها الوظيفى الذى يختلف باختلاف الزمان والمكان. فوظائف مدينة عام ١٩٥٠ تختلف عن وظائف مدينة عام ١٩٦٠ على الرغم من احتفاظها بالمكان الذى تقوم عليه وبنفس البناءات الداخلية التى تحتوى عليها. كما تنعكس هذه الظروف على طبيعة وخصائص تنظيم المدينة الاجتماعى والايكولوجى، بحيث تبدو فى النهاية عبارة عن توزيع ايكولوجى للأفراد والأنشطة والخدمات، يتحدد فيه الموقع المكانى لكل وحدة، وعلاقتها مع غيرها من الوحدات الأخرى، خاصة وأن النتيجة النهائية لترابط هذه الوحدات تتمثل فى نوع من التنظيم والبناء له خصائص مميزة. وتؤدى مثل هذه الظروف إلى اختلاف المدن بعضها عن بعض من زوايا عديدة بعضها مظهرى وبعضها أساسى.

ولكل مدينة شخصيتها المستقلة. فمدينة شبين الكوم تختلف عن مدينة المحلة الكبرى، وكلتاهما تختلف عن مدينة السويس.

وفى ضوء هذا يتبين مدى صعوبة تصنيف المدن. ومع ذلك فيمكن تصنيفها فى مجاميع متشابهة مع بعضها، بحيث تبدو هناك خصائص لكل

1- Joseph, Rouceck, Op. Cit., P. 89.

مجموعة منها. واستخدم فى ذلك معايير متعددة. ومن ثم ظهر عدد من تقسيمات المدن يستند بعضها إلى متغير واحد ومن هذه التقسيمات.

أولاً - تقسيم المدن من حيث الحجم:

يعتبر تصنيف المدن من حيث الحجم أبسط هذه التصنيفات، وقلما يستعمل علماء الاجتماع هذا المعيار، فيما عدا استخدامه عند التفرقة بين الريف والحضر. فقد أوضح مان Mann الاختلافات التقليدية بين الريف والحضر فى بريطانيا عام ١٩٥١. وقسم دنكان Duncan وريس Reiss المدن الأمريكية إلى أحد عشر نموذجاً حسب حجمها(١). وقسم فيليب هاوزر Ph. Hauser المدن إلى ما قبل صناعية Pre Industrial وصناعية ومتروبوليتانية.

ومن تلك التقسيمات التى تضع معيار الحجم أساساً لتقسيم المدن تقسيمها إلى:

١- المدينة الصغيرة Town:

وهى تعنى بلدة أو مدينة صغيرة تتميز عن الوحدات الصغرى (القرى)، وعن الوحدات الكبرى (المدينة City). وهى تتمتع بموقع حضرى يسيطر على المنطقة الريفية التى تقع على بعد كبير منه. كما تتمتع بأهمية ثقافية كبيرة، فهى مقر الحكومة، وهى المركز الدينى للبلاد، وتمارس المدينة الصغيرة town نوعاً من التجارة البسيطة الداخلية. إلا أنها تفتقد إلى التقسيم الواضح للعمل على المستوى الإقليمى.

1- R. N., Morris, Urban Sociology, Studies in Sociology, P. 26.

٢- المدينة الصناعية City :

وتتميز بتقسيم العمل، وبتنظيم وجودها حول الإنتاج الذى تنتجه وهى تتمتع بموقع حضرى يسيطر على الإقليم برمته ريفه وحضره.

٣- المدينة Metropolitan :

وهى المدينة العظمى أو المدينة الكبيرة، وتتميز بخصائص المدينة الصناعية بشكل مكثف، وفيها يحل استخدام آلة الاحتراق والكهرباء محل استخدام الآلة التى يسيرها البخار.

ثانيا - تقسيم المدن من حيث عدد السكان .

هو أسهل هذه التقسيمات لارتباطه بتعقد الحياة فى المدينة - وقد طبقته معظم الدول فى تقسيماتها الإدارية. ففى فرنسا - مثلا - كل مجموعة من السكان تعيش فى مركز واحد يبلغ عددها أو يزيد عن ألفين نسمة تعتبر مجموعة حضرية، وكل مركز يقل عدد سكانه عن هذا الرقم يعتبر قرية يدخل فى عداد الريف. وفى ايرلنده كل مجموعة يبلغ عددها ١٥٠٠ نسمة تعتبر مركزا حضريا، وفى الولايات المتحدة يصل الرقم إلى ٢٥٠٠ نسمة، ويرتفع الرقم إلى خمسة آلاف فى بلجيكا وهولنده واليونان والهند[١].

وفى مصر توزع مدنها حسب عدد سكانها طبقا لاحصاء عام ١٩٤٧ إلى الآتى:

---

١ - د. مصطفى الخشاب. مقدمة فى دراسة الاجتماع الحضرى، ص٦٢.

عدد المدن	السعة السكانية
٧٦	مدينة صغيرة (أقل من ٢٥.٠٠٠)
١٣	مدينة متوسطة (من ٢٥.٠٠٠ – ٥٠.٠٠٠)
١١	مدينة كبيرة (من ٥٠.٠٠٠ – ١٠٠.٠٠٠)
٦	مدن كبرى (١٠٠.٠٠٠ فما فوق)
١٠٦	الجملة

جدول رقم (٢)

يبين تقسيم المدن حسب عدد السكان فى مصر عام ١٩٤٧[١]

وفى القاهرة والاسكندرية يزيد عدد السكان عن مليون نسمة، بينما فى مدن صغيرة أخرى يعيش فى كل منها ٢٥.٠٠٠، ومن هذا يتضح أن النسبة الكبرى من سكان الحضر يعيشون فى مجتمعات تمتاز بشدة تعقدها، بينما يعيش الأقلية فى مجتمعات حضرية أخرى أقرب إلى القرى منها إلى المدن. وهكذا أصبح عدد السكان الأساسى المعمول به فى تصنيف المدن فى معظم البلاد.

ثالثا - تقسيم المدن من حيث تطورها التاريخي :

تركت المراحل التاريخية المختلفة آثارها على المدن من حيث طرق البناء وطرق حياتها المختلفة. ولهذه التقسيمات أهميتها العظمى فى تتبع الحضارات التى أثرت فى كل مدينة.

١- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٣٠.

رابعا - تقسيم المدن من حيث العوامل الاجتماعية والثقافية :

قام بعض العلماء بتصنيف المدن فى ضوء العوامل الاجتماعية والثقافية. فقد ميز ردفيلد Redfield وسنجر Singer بين المدن التى تسودها العقيدة الأرثونكسية Orthogenetic، والمدن التى تخالف تلك العقيدة heterogenetic، ففى الأولى تتساند وتقوى وتستقر النظم الاجتماعية والثقافية السائدة، بينما تستجيب الثانية للتغير الاجتماعى. وميز فيبر weber بين مدن النبلاء ومدن الدهماء طبقا للطبقة الاجتماعية التى تستحوذ على السلطة السياسية. وميز هاوزر Hauser وشنور Schnore بين مدن البدائيين ومدن الإقطاع. فمدن الإقطاع يتكلم أهلها لغة مكتوبة، ويتوفر فيها صفوة متعلمة، وهى أكثر قدرة على مجابهة صدمة التحضر الصناعى على البناءات الاجتماعية. كما تنقسم المدن فى جنوب أفريقيا إلى مدن نشأت فى ظل الاستعمار الأوروبى، ومدن كانت قائمة قبل دخول الاستعمار الأوروبى أفريقيا. أما مدن العصور الوسطى فهى تنقسم إلى مدن اقتصادية وأخرى سياسية وثالثة يزداد فيها العقلانيون.

خامسا - تصنيف المدن حسب المتغيرات الاقتصادية :

وتصنف المدن كذلك حسب المتغيرات الاقتصادية. فقد قسم بريس Breese المدن إلى مدن صناعية، وأخرى إدارية، وثالثة تجارية. وأكد لامبارد Lampard أن الصناعة السائدة كانت أساس تصنيف المدن فى القرن التاسع عشر، وأن نمو المدن يرتبط بمعدل النمو الاقتصادى. وصنف هاريس Harris وأولمان Ullman المدن حسب موقعها المركزى إلى مدن النقل والمدن ذات الوظائف المتخصصة ويمتد تأثير المدن ذات الموقع المركزى إلى خارج نطاق

المدينة حيث يوجد نوعيات من المدن الأخرى أقل درجة فى تأثيرها. أما مدن النقل ففيها يتم نقل السلع من خط من خطوط المواصلات إلى خط آخر.

وصنف كارل ماركس المدن فى ضوء علاقات الإنتاج، وميز بين مدن العبيد والمدن الاقطاعية والمدن الرأسمالية والاشتراكية، وصنف فانس Vance وسوتكر Sutker ويوجج Bogue المدن فى ضوء التنظيم والاستثمار التجارى، ووضعوا فى اعتبارهم حجم المدينة وسيطرتها على ما حولها من قرى. وأشار هوزليتز إلى وظيفة المدينة فى ضوء نموها الاقتصادى، وصنف المدن إلى مدن منتجة Generative ومدن طفيلية Parasitic. والمدن المنتجة هى المدن التى يعود تأثيرها بالفائدة على نموها الاقتصادى، أى إذا كان تكوينها ووجودها المستمر ونموها من العوامل المسئولة عن النمو الاقتصادى للإقليم أو المنطقة التى توجد فيها المدينة. أما المدن الطفيلية فهى المدن الاستهلاكية. ويرى هوزليتز أنه يمكن أن تتحول

المدينة من نمط إلى آخر[1].

سادسا - تقسيم المدن من حيث درجة تقدمها:

حاول تورنديك[2] تقسيم المدن من حيث كمية ونوع الخدمات التى تؤديها لسكانها، فقسم الخدمات إلى ٣٧ نقطة تقع فى ستة أقسام عامة: الصحة والتعليم والترويج والاقتصاد وتسهيلات عامة ثم نثريات. واكتشف من هذه الدراسة أن هناك ارتباط عام بين التقدم والتأخر فى المدن. فالمدن التى بها

1- R. N.. Morris, Op. Cit., PP. 26- 27.

وانظر: بيريز (جيرالد). مجتمع المدينة فى البلاد النامية -- دراسة فى علم الاجتماع الحضرى، ص١٠٧.

٢- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٣٠.

نسبة تعليم مرتفعة مثلا يكون سكانها أحسن حالاً من الناحية الاقتصادية والصحية والترويحية.

سابعاً - تقسيم المدن من حيث الأعمال التى تؤديها :

تختلف المدن من حيث الأعمال التى تؤديها. وقد وضع جينست هالبرت[١] تقسيماً سداسياً مستخدماً هذا المعيار، وهى:

(أ) مدينة صناعية.

(ب) مدينة تجارية.

(جـ) مدينة سياسية.

(د) مدينة ثقافية.

(هـ) مدينة صحية وترويحية.

(و) مدينة متعددة الأغراض.

أما بيرجل Bergel[٢] فقد صنف المدن فى سبع فئات تشتمل كل فئة منها على عدة أقسام فرعية وهى:

أولاً - المراكز الاقتصادية :

(أ) مراكز الإنتاج الأولى (الاستخراجى) :

١- مدن الصيد.

٢- مدن التعدين.

٣- مدن البترول.

١- نفس المرجع. ص٣٢.

٢- د. كمال سعيد، د. حسن همام، د. سعد جمعة. علم الاجتماع الحضرى، ص ص٥٢-٥٤.

(ب) مراكز الصناعة :

١- مراكز الصناعة الكبيرة.

٢- مراكز الصناعة المتوسطة.

٣- مراكز الصناعة الصغيرة.

(جـ) مراكز التجارة :

١- مراكز التجارة العالمية.

٢- مراكز التجارة القومية.

٣- مراكز التجارة المحلية.

(د) مراكز النقل :

١- الموانى.

٢- مراكز النقل الداخلى.

(هـ) مراكز الخدمات الاقتصادية :

١- خدمات مالية.

٢- التأمين.

٣- خدمات متنوعة.

ثانيا - المراكز السياسية :

(أ) مراكز السياسة المدنية :

١- مراكز عالمية.

٢- مراكز السياسة القومية.

٣- مراكز السياسة الاقليمية.

٤- مراكز الإدارة الاقليمية.

(ب) المراكز الحربية :

١- مدن القلاع.

٢- قواعد حربية ومراكز تدريب.

ثالثا - المراكز الثقافية :

(أ) المراكز الدينية :

١- مراكز الحكم الدينى.

٢- مدن الحج.

٣- مدن تذكارية.

(ب) مراكز ثقافية دينية :

١- مناطق التعليم العالى والبحث.

٢- مراكز اقتصادية للإنتاج الثقافى كالطبع والراديو والتليفزيون والسينما.

٣- مدن المتاحف.

٤- مدن الأضرحة لكبار الأدباء والفنانين وغيرهم.

رابعا - مراكز ترويجية :

١- المدن الصحية.

٢- مدن الأجازات (المشاتى والمصايف).

خامسا - مدن سكنية :

١- الضواحى السكنية.

٢- مدن المحالينن إلى المعاش.

سادسا - مدن رمزية :

وهذه الفئة لا توجد لها أقسام فرعية حيث أنها تضم مجموعة كبيرة من المدن ترمز كل منها إلى فئة معينة كروما وبيت لحم والناصرة وموسكو.

سابعا - مدن متعددة الوظائف:

وهى تشمل ما تبقى من المدن التى تتعدد وظائفها دون أن يكون لها تخصص واضح تشتهر به.

الفصل الثالث

نشأة المدن ونموها

تقديم:

كان الإنسان زميلاً للحيوان، ولم يكن يسكن منطقة محددة يقيم ويعيش فيها، فشعوب العصر الحجرى القديم لم يكن لها مستقر تستقر فيه، بل كانت تتنقل من مكان إلى آخر باحثة عن الطعام والماء. وحتى هذا الزمن لم يكن هناك مدن أو قرى. ومن ثم فإن تاريخ الإنسان أقدم من تاريخ ظهور المدن. وهنا يتشابه عمل الإنسان بأعمال الكائنات الأخرى فى سعى كل منها وراء جمع الطعام. فقد كان ينقصه معرفة إنتاج الطعام لنفسه وكان كل ميل مربع من الأرض يعول عشرة أفراد فى المتوسط. ولذلك كان الإنسان ينتقل فى جماعات صغيرة، ولا تعويه مملكات خاصة. وإذا ما ظهرت مجاعة فى منطقة ما انتقلت المجاعة إلى منطقة أخرى. كذلك كان من المستحيل أن يبقى الإنسان فى مكان ثابت، لأنه لم يكن يملك الوسائل التى تمكنه من ضبط الطبيعة.

لكن الإنسان فاق الحيوان فى ناحية عامة هى أساس كل الحضارة التى ينعم بها فى الوقت الحاضر، وهى قدرته على التعلم واكتساب الخبرة ونقل هذا العلم وهذه الخبرة من جيل إلى جيل. فالدب يملك الفراء الغزير لكى يحميه من البرد، والأسد يملك الأنياب القوية التى تجعله سيد الغابة، والثعلب يملك المخالب الحادة التى تمكنه من حفر الجحور. ولكن الإنسان يأخذ فراء الدب ليحمى نفسه من البرد، ويصنع الحراب والنبال التى تجعله سيد الحيوانات، ويصنع الفأس والجاروف للحفر وهلم جرى، أى أن أدوات الإنسان التى تحميه وتيسر له المعيشة خارجة عنه وليست جزءاً من جسمه، ويمكنه أن يصنعها

كلما احتاج إلى جديد منها، ويمكنه أن يحسِّن فيها ويهذبها حتى تصبح شيئاً جديداً، بل ويمكنه أن يورث خبراته هذه للجيل الذى بعده، فيأخذها الجيل الجديد ويحسنها ويضيف إليها، ثم يسلمها بدوره للجيل الثانى وهلم جرا. فالحيوان إذن يورث صفات جسمية، أما الإنسان فيورث صفات جسمية، وأخرى اجتماعية – أى ثقافة[1].

وهكذا توصل الإنسان إلى استئناس الحيوان، وتحول من مهنة الصيد إلى مهنة الزراعة. وتطلب هذا الاستقرار والمثابرة والتخطيط المنظم. وبحث الإنسان مع أخيه الإنسان أسلوب مواجهة التحديات، لحماية مصالحه، وللتعاون لإنجاز الأهداف العامة، وتحقيق الطموح العام. وتجمعت العائلات وتشكلت العشائر. وكانت هذه هى مرحلة ظهور القرية. وساعد على ذلك اختراع الإنسان للأدوات المساعدة التى كونت مكونات التكنولوجيا كالعجلات والفئوس والمحاريث والمواد المعدنية وحصد المحاصيل.

وبالرغم من أن لكل مدينة تاريخها، إلا أنه يمكن تتبع أصل ونمو وانتشار المدن تاريخيا، ومن خلال مراحل متميزة من التطور والتغير. وقد وجهت الدراسة التاريخية الباحث دائماً نحو الإجابة على أسئلة مثل:

ومتى وأين وتحت الظروف ظهرت هذه المدينة أو تلك؟ أو ما هو تاريخ هذه المدينة وماذا أسهمت به فى تاريخ المنطقة أو العصر؟ وهل هناك نمو تطورى أو دورى فى التاريخ الإنسانى مرتبط بظهور المدن أو نموها؟

إن قيام المدن ونموها مسألة يصعب أن نتتبعها بدرجة ملحوظة لأسباب عديدة. ومن ثم لا نستطيع أن نتابع بتفصيل الإجابة على هذه الأسئلة السابقة،

١- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٣٧.

ذلك لأن كثيراً من الحقائق المتصلة بالمدن القديمة لها جانبها الاركيولوجي، كما أن بعض المدن غير معروف مثل مدن الشرق وكذلك المدن القديمة فى الحضارة الغربية[١]. إلى جانب لها أنها متناثرة وتصور مسائل جزئية، إلى جانب أن كل المدن تقريبا فى كل المراحل التاريخية وكل البلاد لم تدرس بدرجة كافية من الدقة.

ومع ذلك فمما لاشك فيه أن المدن انبثقت تعبيراً عن ظروف روحية ومادية واجتماعية وسياسية. كما تأثرت بمختلف التقاليد والقيم والأفكار المنظمة للعلاقات الاجتماعية، وكذلك بمسائل الإنتاج وأنساق الاتصال، وتطورت المدن والعمارة معها، وانعكست صور هذا التغير الاجتماعى على تغير المدن ونمو العمارة.

وقد أكد بارنس[٢] الكاتب الألمانى هذا المعنى حينما قال: "أن العمارة هى سجل لعقائد المجتمع" كما ذكر اليل سارينين Eliel Saarinen[٣] أن مشاهدة مدينتك تجعلنى أدرك الأهداف الثقافية لسكانها. فالمدينة هى كتاب تقرأ فيه أهداف أهلها وطموحهم ويقوم التخطيط الفيزيقى للمدينة على أهداف اجتماعية واقتصادية. فكل انقلاب سياسى، أو تطور اقتصادى بدأ أثره على مسكن الإنسان الأول.

وتؤكد الشواهد التاريخية أن الجذور المكبرة للحياة الحضرية ظهرت فى العصر القديم فيما قبل الميلاد بحوالى ٤٥٠٠ سنة تقريباً، وبخاصة فى المناطق التى استطاعت أن تنتج فائضاً غذائياً. وتقع هذه المدن القديمة فى

١- د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضرى - مدخل نظرى، ص١٤٤.

٢- توفيق أحمد عبد الجواد. تاريخ العمارة الحديثة - فى القرن العشرين، ص٤.

3- Mohsen, Zahran, Challenges in urban Environment, P. 18.

السهول أو الهضاب أو على ضفاف الأنهار، ففى مصر القديمة ظهرت مدنيات فى الوقت الذى بدأ فيه التقويم المصرى. وقد حدد أدوارد ماير هذا التاريخ بالتاسع عشر من شهر يوليو عام ٤٢٤١ ق.م. تدهورت تلك المدنيات[١]. ويتمثل ذلك فى مدينة ممفيس وطيبة وبابليون.

وكان السماريون القوة الدافعة وراء ظهور التحضر. فقد امتزجوا بسكان وادى العراق القديم، وانتشرت ثقافتهم فى كل الأقاليم. وأصبحت منطقة العراق القديم تعرف بسومر Sumer. وفى ظل هذه الحضارة ظهر علم الحساب الذى يستخدم فى حساب فائض الإنتاج الزراعى[٢].

وكانت مدن العراق القديم بآدابها وتراثها الشعبى، ومن أشهر هذه الأداب ملحمة جلجاموش the Epic of Gilmash. وهى ملحمة تتكون من ٣٥٠٠ بيتا من الشعر نصف حياة التجوال، وشجاعة الإنسان القديم، وما يبذله من أجل الحفاظ على بقائه وحياته[٣].

وكانت قوانين حمورابى Hammurapi الدستور الذى نظم حياة البابليين. فقد نظمت هذه القوانين البناء الاجتماعى الذى صار أكثر تعقيداً. وشملت ثلاثمائة قانون تدافع عن النظام المنلكى، وعن اقطاع الأرض، وتنظم العلاقات القرابية والزواج والطلاق، وعلاقات المراهقة، والهجر، والتبنى، والميراث، وأعمال التجارة والعدل والعقاب والخدمات المهنية، ومعدلات الإيجار وملكية العبيد[٤].

1- Robert Etzra Payk, Human Gommunity, The city and Human, Ecology, P. 128.

2- Barbara, Habenstreit, cities in the March of civilization, P. 20.

3- Ibid., P. 32.

4- Ibid., P. 33.

وعند نهر الأردن ظهرت مدن قديمة مثل مدينة جريشكيو Jerichico(*) فى الصحراء، وهى لا تبتعد كثيراً عن البحر الميت، وتسمى هذه المنطقة بأرض كنعان. وتبلغ مساحة مدينة Jerichico عشرة أفدنة (أربعة هيكتار) ويقطنها ألفان من السكان. وقد مرت المدينة بمرحلة المدينة town ثم المدينة City[(١)].

ومن المدن القديمة مدينة صور Tyre ومدينة صيدا Sidon وهما تقعان بين العالم الشرقى والعالم الغربى. وكان الكعانيون يتجولون فيما بينهما. كما كامنوا يرسون بسفنهم على شواطئ أسبانيا تنتج الفضة، وانجلترا التى تنتج القصدير، وسردينا والالب التى تنتج الحديد. ويعودون بهذه المعادن إلى صور وصيدا[(٢)].

وفى نفس الوقت الذى ظهرت فيه حضارة السوماريين والبابليين فى الشرق الأوسط، ظهرت حضارات ومدن أخرى مثل سوسا فى إيران وتروى Troy فى تركيا، وابنيانج فى الصين، وموهينجو – دارو Mohenio-Daro فى باكستان.

وبالرغم من الاختلافات الثقافية بين مدينة وأخرى، إلا أنها تقاسمت خصائص مشتركة. فقد كانت شوارعها مخططة تخطيطاً جيداً. وأقيم فيها المساكن وصالات عقد المؤتمرات والقصور والأبنية الحكومية. كما أقيم فيها نسق من المجارى. واستخدم الناس البرونز والنحاس والفضة، وصنعوا الفخار والحلى والغزل والنسيج. كما كان يحيط هذه المدن الأراضى الزراعية التى تمد المدن بفائض الإنتاج الزراعى، مما عمل على نموها. وكان سور المدينة سمة

* حل محلها مدينة اريحا بالأردن.

1- Ibid., P. 28.

2- Aubrey, Menen, cities in yhe Sar, d P. 25.

مشتركة بين هذه المدن واشتغل الناس بالتجارة داخل هذه الأسوار. وعاشوا فى ظل أنساق اجتماعية وسياسية واقتصادية معقدة. ويبدو أن هذه المدن كانت صغيرة، وتختلف عن المدن الحالية سواء من حيث عدد السكان أو من حيث الاعتماد على المناطق الأخرى فى الإمداد بالطعام.

أما اليونانيون، فقد تأثروا فى بناء مدنهم ومبانيهم بالنظام الاجتماعى، وكانت المدن اليونانية القديمة تتسم بصغر حجمها وانسانيتها. ولم تكن أثينا المدينة الأوروبية الأولى. فقد انتشرت الملاحة والتحضر شمالا وغربا، ومن الشرق الأوسط ومصر عبر البحر المتوسط، وظهرت مدينة كنوسوس Knossos أولى مدن أوروبا على جزيرة كريت، وأقيم قصر ضخم على تلها يشغل مساحة ست أفدنة (هيكتاران ونصف)، ويتكون القصر من أكثر من أربعمائة حجرة وصالة وغرفة وممرات. وشملت بعض أجزائه أربعة طوابق. ثم بدأ التحضر ينتشر على أرض اليونان، فظهرت سبارتا وكورنثيا Korinth وأثينا. وكانت سبارتا تتميز بالطابع العسكرى، أما أثينا فاشتهرت بخضوعها لقانون صولون Solon.

وكانت المدن الرومانية جزءاً من بناء عظيم - هو الإمبراطورية وبنيت عمائرها حسب احتياجات التنظيم المحلى، ولم تكن مرتبطة بالمقاييس الإنسانية، وكان نمط المدينة فى الإمبراطورية الرومانية تقرره السلطة العسكرية لتعزيز سلطة الحاكم. وهو تنظيم يعلو الارتباطات الاجتماعية، وكانت الاحتفالات والعروض العسكرية تقام فى الشوارع الرئيسية، بينما يتوازى معها شوارع أقل اتساعاً.

وهكذا بينما اهتم اليونانيون بمواقع بناء المدن التى تسمح بالدفاع، وشيدوها على الموانى بحيث يحوطها تربة خصبة، اهتم الرومان بجوانب أهملها اليونان مثل تشييد الطرق، وإقامة القنوات والمجارى. وأنشأوا لكل منزل مستودع ومواسير للمياه، كما اهتموا بجمال مدنهم(١).

ومع ذلك فقد اشتركت المدينة اليونانية والرومانية فى صغر حجمها، واستقلالها السياسى. وكانت المدينة تمثل وحدة إقليمية تستند إلى الانتساب الأبوى الارستقراطى، الذى يقوم على تساوى رؤساء هؤلاء الأقارب من الناحية النظرية. فالأقارب وأتباعهم يمثلون كياناً وحدوياً هو المدينة Polis أو الحضر Urbs وفى روما ظهر نسق من المراكز أساسه الانتخابات، وتكوَّن مجلس الشيوخ من القضاه السابقين(٢).

وقامت مدن العصور الوسطى على أساس العمل والتجارة، وكان يسيطر على هذه المدن قوى روحية خالصة، فالكاتدرائية والقصر والقلعة كانت أسساً جوهرية فى بناء المدن. ونظراً لأن النشاط الدينى والسياسى كان يمثل الصدارة فى الأساس الوظيفى للمدينة فى تلك العصور، فقد تركزت هذه الأنشطة وسط المدينة أو مركزها.

أما المراكز الحضرية فى عصر النهضة فقد شاهدت "عصر الإنسانية". إذ انبثقت اكتشافات جديدة، وظهرت الفنون والعلوم وكان لهذا تأثيره على شكل المدن والمبانى. وكانت المدن الباروكية Baroque أجزاء من كيانات أقليمية

1- Donald, Dudley, The city of Rome in Baker, Thelma s, (el) the urbanization of Man, A Social Science Perspective, P. 184.

2- Talcott, Parsons, Societies, Evolutionary and comparative perspective, P. 87.

فى حالة مستمرة من النمو الصناعى والتغير الاقتصادى والاجتماعى وبداية ظهور عصر الآلة.

وتنمو المدن فى العصر الحديث نتيجة العمل الصناعى ويحكم المدن المعاصرة مستويات مختلفة من التغير السريع فى العوامل القومية والإقليمية ومستويات اقتصادية ومادية ودولية فهناك عمارة الدكتاتورية، وعمارة الشيوعية، وعمارة الرأسمالية، وعمارة النازية، وعمارة الديمقراطية، وعمارة الإشتراكية.

وهكذا ليس هناك معدل ثابت ومحدد للنمو الحضرى فى منطقة ما، بحيث يمكن تناوله كمعيار للنمو فى أية منطقة أخرى، فلكل مجتمع ظروفه الخاصه به التى ينبثق من خلالها معدل خاص للنمو الحضرى بها. كل ما هنالك إذن لا يخرج عن تحديد مجموعة من المتغيرات، أو العناصر الأساسية للنمو الحضرى فى منطقة ما[١].

ويرى ممفورد[٢] أن قيام المدينة أو بمعنى آخر تطور الشكل القروى إلى شكل حضرى يرجع إلى عدة أسباب أو عوامل توضح دراستها أن القرية هى الشكل السابق على قيام المدينة، وأن التحول من الشكل الأول إلى الشكل الثانى لا يرجع إلى مجرد الزيادة فى عدد السكان التى استلزمتها ظروف التحول من مهنة الصيد إلى الزراعة، إذ تعتبر الزيادة السكانية أحد العوامل المساعدة على التحول فقط، وأن هناك عوامل أخرى حولت هدف القرية إلى أبعد من مجرد الرغبة فى الاستمرار والاهتمام بمسائل الغذاء والتناسل فحسب.

١- د. محمود الكردى. النمو الحضرى - دراسة الظاهرة الاستقطاب الحضرى فى مصر، ص١٠٥.

٢- د. أحمد النكلاوى. المرجع السابق، ص١٩.

ومن ثم فلا نستطيع تتبع النمو الحضر ونمو المدن دون أن نلقى ضوءاً على أدوار نمو المدن والعوامل التى أثرت فى طبيعة هذا النمو.

مراحل نمو المدن

من الذين عرضوا لنشأة المدينة المؤرخ الانجليزى (توينبى)، ولويس ممفورد الذى يرى أن المدينة تمر بالمراحل الآتية:

مرحلة النشأة Eopolis :

ويقصد بها المدينة فى فجر قيامها، وتتميز بانضمام بعض القرى إلى بعضها البعض، واستقرار الحياة الاجتماعية إلى حد ما. وقد قامت المدينة فى هذه المرحلة بعد اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان وتربية الطيور، وقيام الصناعات اليدوية والحرفية البسيطة، واكتشاف الإنسان للمعادن، وهكذا ظهرت المدن الأولى فى العصر الحجرى الحديث وعصر اكتشاف المعادن. ونشير هنا إلى أن أولئك الذين استخدموا الأسلحة المعدنية كان لهم التفوق الحربى على أولئك الذين يستخدمون الحجارة. ومن المسلم به أن ماله أهمية حضرية ليس عدد السكان وحده فى مساحة محددة من الأرض، بل العدد الذى يتسنى وضعه تحت سيطرة موحدة، بحيث يتكون مجتمع له طابعه الخاص ويستهدف أغراضاً تتجاوز حاجات الغذاء والبقاء. أما الزراعة فهى تدفع بممارسيها إلى العمل الزراعى دون غيره، وهى مهنة تباعد بين الريفيين وبين الابتكار والاختراع واستخدام أدوات الحرب.

وكانت الجماعات التى تكون المدن فى البدء جماعات مرتبطة برباط الدم والقرابة، كما مارس رجال الدين نشاطا أساسياً فى حياة هذه المدن. وتفتقر هذه المدن إلى التمييز الواضح بين مناطق الإقامة والتجارة والصناعة.

مرحلة المدينة Polis :

وتمتاز بوضوح التنظيم الاجتماعي والإداري والتشريع، وتنتعش فيها التجارة، وتتسع الأسواق المتبادلة، وتتنوع الأعمال والوظائف والاختصاصات، وتتسم بالتمييز الطبقي بين مختلف الفئات في المدينة، واتساع أوقات الفراغ، وظهور الفلسفات ومبادئ العلوم النظرية، والاهتمام بالفلك والرياضيات، وقيام المؤسسات والفنون ونشأة المدارس وحلقات المناظرات والمسجلات.

مرحلة المدينة الكبيرة Metropolis .

وتعرف بالمدينة الأم، ويتكاثف فيها عدد السكان بشكل فوق العادي، وتتوافر فيها الطرق السهلة، وتربطها بالريف شبكة من المواصلات السريعة. وتهتم الحكومة فيها بتحقيق مطالب سكانها. وتتفرد بمميزات خاصة كالتجارة أو الصناعة، ومن الطبيعي أن اتساع نطاق الأعمال التجارية والصناعية يؤدي إلى ظواهر حضرية كثيرة أهمها تنوع الوظائف وتعدد المهن والتخصص ونشأة المعاهد الفنية العليا. وقد تصل بعض هذه المدن إلى عاصمة منطقة أو دولة وتصبح المركز الرئيسي للحكومة، أو الإدارة المحلية، وتتركز فيها كل المظاهر والنشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحيث تصبح بحق "المدينة الأم".

مرحلة المدينة العظمى Megalopolis :

وتتمثل في انبثاق المدن العظمى في القرن التاسع عشر، فلقد تحولت المناطق الريفية إلى أراضي بناء في موجات متتابعة[1]، ويتفوق في هذه المدن التنظيم الآلي والتخصص وتقسيم العمل، وتأخذ الفردية في الظهور، وتنتشر النظم البيروقراطية في الإدارة وأجهزة الحكم، ويبدأ ظهور الانحلال والشقاق بسبب تحكم الرأسمالية، ويتصارع أصحاب الأعمال والعمال، وقد يأخذ هذا الصراع

1- Gordon E. Cherry, The Evolution of British Town Planning, P. 5.

مظاهر إيجابية يؤدى إلى حدوث الإضراب والتخريب والتدمير، ثم قيام الحكومات المحلية بأعمال القمع والتعذيب والتشريد، وتنتشر كذلك الانحرافات فى محيط الأحداث والجرائم.

عوامل نمو المدن

العوامل الجغرافية :

وتشمل الظروف الخارجة عن إرادة الإنسان كالموقع وطبيعة الأرض والخامات المعدنية الموجودة فى باطنها والمناخ، وهى تلعب دوراً هاماً فى وجود المدن. فالموقع الممتاز من الناحية العسكرية يعمل على اختيار مدينة حربية تعيش طول حياتها إما نقطة هجوم توجه منها حملات الاعتداء، أو نقطة ارتكاز دفاعية يصد منها كل هجوم أو اعتداء، والمواقع ذات التربة الخصبة التى تنبت كل الثمرات ويغذيها ماء غزير، وغيرها من المواقع التى بها معادن ذات قيمة صناعية وتجارية ينشأ عادة بجوارها مدن يعيش سكانها على الزراعة والتعدين والصناعة. والمواقع التى فى مفترق طرق هامة تلتقى فيه القوافل التجارية ينشأ عنها كذلك مدن تزدهر وتكبر وتعتمد على التجارة، فقد اختارت المدينة مكان القرية لتقدم حماية طبيعية ومصادر المعيشة، وأحيطت بحواجز وخنادق لحمايتها. وكان هذا بداية التنظيم الفيزيقى الدائم الذى ربط الأرض والإنسان معاً، وأوجد الروابط، وعاش الناس فى كيان اجتماعى متماسك وبزغ طموح الإنسان. وكان الأمن والحماية المؤشرات الأولى للاستقرار الإنسانى.

وكان النهر وفروعه أحد الدعائم الأساسية فى نشأة المدن ونموها، فقد ظهرت المدن الأولى على نهر الدجلة والفرات والهند، وظهرت الحضارة المصرية على ضفاف النيل حيث تتوفر الظروف المناسبة لإقامة التجمعات السكانية مثل توفر مياه الشرب على مدار السنة وإمكان الزراعة حول ضفتى

النيل الذى استغل أيضاً كمجرى كبير للملاحة والنقل وبالتالى خط رئيسى للمواصلات.

وأدى وجود الإسكندرية بين البحر وبحيرة مريوط إلى امتدادها عرضياً إلى شاطئ البحر لمسافات طويلة، واختار عمرو بن العاص منطقة الفسطاط لإقامة أول حضارة إسلامية لوقوعها فى منتصف القطر المصرى تقريباً بالإضافة إلى وجود جبل المقطم شرقها والنيل فى غربها، وكلاهما من الموانع الطبيعية ضد الجيوش المهاجمة.

فضلاً عن أهمية النيل فى نقل احتياجات مدينة الفسطاط من المواد التموينية أو العسكرية مضافاً إلى ذلك إمكانية امتداد المدينة شمالاً وجنوباً، كما تقع المدن على الخلجان وغيرها من المواقع المحمية من هياج البحر ورياحه الشديدة مما يجعلها صالحة لإنشاء الموانى شاسعة، تمكنها من استيعاب التجارة الخارجية، كما كانت سبباً أساسياً من أسباب ازدياد كثافة السكان فيها كما قامت مدينة دلهى لاعتبارين أساسيين الأول أن المدينة تقوم على رأس وادى نهر الكانج Gange والثانى أن هذا الوادى هو السبيل الذى سلكته دائماً الهجرات والغزوات التى اجتاحت القارة الهندية. وتوضح لنا مدينة هونج كونج أهمية خصائص الموقع، وذلك بميزاتها الخاصة كميناء – التى تهيئ أرضاً طبيعية لقيام ونمو منطقة حضرية عليها.

وتقع مدينة كليفيلاند وأهيو على مصب نهر يصب مياهه فى بحيرة أيرى Erie، ويتناسب وجود المدينة فى هذا الموقع مع وجود مصادر الحديد الخام والحجر الجيرى الذى ينقل عبر النهر. كما يوجد الفحم فى الولايات المجاورة لكيفلاند فى بينسلفانيا Pensylvania وغرب فرجينيا ومن السهل نقله بواسطة

السكك الحديدية. وهكذا أصبحت كليفلاند مركزاً صناعياً رئيسياً للحديد والصلب بسبب موقعها[1].

وترتبط وسائل النقل المائية بالموانى، وهى تعتبر أكثر سهولة من وسائل النقل الأخرى مثل الطرق البرية والجوية، وتستخدم وسائل النقل البحرى فيما بين المدن الهامة التى تقع على البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات[2].

كما تختار المدن المواقع الممتازة من الناحية الصحية أو العلاجية لتكون مشاتى أو مصايف ممتازة أو نقط علاجية ذات صفة خاصة.

ولطبيعة الأرض وتضاريسها تأثير مباشر على شكل المبانى وتوزيعها، بل أن وجود بعض العناصر الطبيعية كالجبال أو الوديان أو الأنهار ... وغيرها تفرض على المخطط ضرورة تحقيق الإرتباط العضوى بين المراكز والموقع المقام عليه. ففى بلاد اليونان تأثر تخطيط مدينة أثينا بطبيعة الأرض الجبلية، وقسمت المدينة إلى قسمين: الأول يعرف باسم الاكربوليس Acropolis، وهى عبارة عن تل مرتفع تنتشر عليه المعابد والمبانى الدينية. أما القسم الثانى من المدينة فقد استغل فيه منحدرات التلال فى تشكيل مبانى المسرح وعدد من المبانى العامة والخاصة بوسط المدينة. وانتشرت المبانى السكنية على منحدرات الجبال وفى الوديان.

وفى هيروشيما استغل المخطط مجرى مائى كبير فى عمل البحيرات الصناعية وتوزيع مبانى المركز خلال مسطح أخضر كبير ... فالمركز الثقافى تحيطه بحيرة كبيرة من جوانبه الأربعة مع توفير كبارى علوية للمشاة لربط

1- Harold, William, Urban Interpretation in Sharpe Grant W. (F. d.), Interpreting the Environment, P. 304.

2- Raymend E. Murphy, American city, An Urban Geography, P.219.

المركز بالمباني المجاورة. وفي مدينة سيداد Cidad بريودى جانيرو بالبرازيل توجد هضبة تحد المركز استغلها المخطط في تشكيل مدرجات الاستاد الرياضي الملحق بالمركز. أما بقية عناصر مركز المدينة فهي تمتد على أرض مستوية أمام الهضبة(١).

وكان لطبيعة التربة المصرية أثر واضح في طريقة البناء، إذ استعمل الحجر الجيرى المستورد من تلال المقطم والطوب والرمل لسهولة الحصول عليها. أما الأخشاب فقد استخدمت في تسقيف الغرف والقاعات وعمل الأعتاب. ولعل أحسن الطرق للبناء في عصرنا الحالي هي مادة الخرسانة لوفرة خاماتها، وهي المكونة من الأسمنت والزلط والرمل(٢).

وللمناخ دور هام في تصميم العمائر، فهو يؤثر في تنظيم وتحديد أبعاد الفتحات كالأبواب والشبابيك، وارتفاع الأسقف الجمالونية والمداخن وغير ذلك. وتحتم كثير من المباني وخاصة في المناطق الحارة ضرورة حجب أشعة الشمس في فصل ارتفاع الحرارة حتى لا تتسبب بدخولها للمبنى في ارتفاع درجة الحرارة بما لا يتناسب مع متطلبات صحة الإنسان، وحتى لا تتسبب في الأضرار بحالة الإضاءة الطبيعية أو إتلاف الخيرات وخلافه.

ومن ثم فإن على المهندس المعماري أن يختار مواد البناء المناسبة للظروف المناخية علاوة على دراسة العناصر المعمارية المختلفة من حوائط وفتحات، وأسقف وأرضيات، كما يتعين عليه دراسة اتجاه المبنى بالنسبة للرياح.

١- محمد إبراهيم جمعة. مركز المدينة المعاصرة، ص١٢٢.

٢- د. كمال الدين سامح. العمارة الإسلامية في مصر، ص٢٤.

فبالنسبة للسقف – تنفذ الطاقة الحرارية الناتجة عن الأشعة الشمسية إلى داخل غلافه الخارجي من حوائط وأسقف، وتسبب ضغوطاً على الغلاف الخارجي لكي تتسرب إلى الداخل، وتختلف نسبة نفاذها من خلال السقف إلى الداخل باختلاف المواد المستعملة في إنشائه، وتزداد هذه النسبة كلما كانت المادة المستعملة لها خاصية اكتساب الحرارة بسرعة مثل المواد المعدنية بصفة عامة، وتقل مع استعمال مواد لها خاصية الاكتساب البطئ للحرارة مثل الخرسانة أو الطوب ذات السماكة الكبيرة(١).

ويمكن إيجاز الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الغاية في النقاط الآتية(٢):

١- يغطى السطح العلوى للسقف بمادة عاكسة للتخلص من الأشعة الشمسية وما ينتج عنها من طاقة حرارية ويمكن أن تكون هذه المادة العاكسة إما ألواح معدنية لامعة السطح أو مادة للنهو بلونها الأبيض الناصع.

٢- يمكن ترك فراغ هوائى عازل بين السطح العلوى للسقف المعرض لأشعة الشمس والفراغات الداخلية للمبنى، وذلك لإعاقة نفاذ الحرارة الخارجية نهاراً والبرودة ليلاً إلى الداخل، ويتحقق ذلك بإنشاء السقف من طبقتين بينهما فراغ مع ترك بعض الفتحات المتقابلة بين طبقتى السقف وفى تجاه حركة الهواء السائد بالمنطقة ليتجدد هذا الهواء بصفة مستمرة. ومن هنا نشأت فكرة بناء السقف من بلاطتين منفصلتين كلياً عن بعضهما البعض. ولقد استعملت هذه الطريقة فى بعض المبانى العامة والمبانى السكنية فى بلاد مختلفة لها نفس الخصائص المناخية، ومثال ذلك مبانى

١- د. محمد بدر الدين الخولى. المؤثرات المناخية والعمارة العربية، ص ص٢٨- ٣٠.

٢- نفس المرجع، ص ص٣٢- ٣٤.

المهندس كوزبوزييه le corbusier فى الهند، وكذلك مبنى الرئاسة فى هافانا بكوبا ومبنى السفارة الأمريكية فى بغداد للمهندس سيرت.

٣- يغطى السطح السفلى للسقف الممتد خارج حوائط المبنى بمادة ماصة للأشعة الشمسية قد تنعكس بواسطة الأرض المحيطة بالمبنى حتى لا تنعكس بدورها بواسطة هذا الجزء الممتد من السقف إلى الداخل يمكن تحقيق ذلك باستعمال مواد للنهو ذات ألوان داكنة كما يجب أن توجد فتحات بهذا الجزء الممتد من السقف لتنشيط حركة الهواء المحصور بينه وبين الحائط للتخلص من الهواء الساخن.

٤- يمكن استعمال كلاً من القبة والقبو أساساً للتغطية بالمبانى بسبب عدم تعرض سطحهما المنحنى بالكامل لأشعة الشمس. كذلك فإن حركة الهواء تنشط ما بين الجزء المظلل من سطح القبة أو القبو والجزء المشمس مما يساعد على التخلص من الهواء الساخن الملاصق لهذا الجزء المشمس.

وتتعرض الحوائط الخارجية فى الميانى لأشعة الشمس المباشرة ومن ثم يجب أن يوضع فى الاعتبار أسس اختيار المواد المناسبة، ففى المناطق الحارة الجافة يفضل استخدام المواد مثل الخرسانة والطوب المحروق أو اللبن أو الأحجار[١].

كما يمكن حجب أشعة الشمس بثلاث طرق رئيسية :

أولاً: طرق وعوامل خارجية عن المبنى كالمبانى والمرتفعات المجاورة وكالأشجار.

١- نفس المرجع، ص٣٧.

ثانياً: طرق وعوامل إنشائية كالأسقف الممتدة وبلاطات الأدوار الممتدة، وطريقة إنشاء الواجهة، والبلكونات والشرفات، والحصائر المتحركة، والمظلات الخفيفة والزجاج المانع لأشعة الشمس[١].

ثالثاً: الطرق الداخلية لحجب أشعة الشمس كالستائر الداخلية والارتداء خلف الواجهة[٢].

ففي مصر يتسم مناخها بقلة سقوط الأمطار شتاء وبشدة الحرارة صيفا، مما صرف النظر عن جعل سقوف المنشآت المعمارية مائلاً فبدت أفقية مستوية. كذلك روعي إيجاد مساحات مظللة لتلطيف درجة الحرارة ونظراً لشدة الضوء فقد جعلت الفتحات ضئيلة نسبياً بالنسبة لمساحات الحوائط الخارجية.

وفي القاهرة الفاطمية، أثر المناخ الحار على تشكيل وتكوين المباني تأثيراً واضحاً. فالأحواش الداخلية هي طابع التكوين العام بما فيها السكنية والدينية (المساجد) والاجتماعية (الوكالة والمدرسة)، حيث يقوم الحوش الداخلي بدور وظيفي هام وأساسي في هذه المباني، فبواسطته تزداد سرعة الهواء نتيجة للتيارات الهوائية، مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة. كما يساعد على تلطيف درجة الحرارة أيضاً احتواء هذه الأحواش على أحواض المياه أو النافورات أو الأشجار أو أحواض الزهور.

ومن الناحية التخطيطية نجد في المدينة الإسلامية عروض الشوارع ضيقة تتناسب فيها ارتفاعات المباني مع عروض الشوارع بنسبة متكررة هي ٢: ١ مع بروز الأبراج وكذلك المشربيات مما يقلل من عرض الشارع في الجزء

١- معاذ أحمد محمد عبدالله. المناخ والعمارة - دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة، ص٨٠.

٢- نفس المرجع، ص٨٧.

العلوى، وهذا يساعد على زيادة مناطق الظل بالشارع وبالتالى سرعة الهواء خلاله[١].

ورتب مهندسو العمارة الإسلامية أوضاع التجمعات التخطيطية لتحقيق تظليلا ذاتيا، وذلك باستغلال ظلال المبانى المتجاورة كوسيلة طبيعية لعزل الواجهات الخارجية للمبانى وكذلك الشوارع وممرات المشاة، وقد حتمت تلك الرغبات توجيه المجموعات التخطيطية بالأوضاع التى تحقق ذلك، وذلك بتوجيه المبانى للداخل حول فراغات ضيقة نسبياً يمكن تشغيلها وتهيئتها بصورة طبيعية تحقق بعضا من السيطرة على مختلف الظروف المناخية العامة[٢].

وفى البرازيل لا يمكن تحمل الحرارة وأشعة الشمس القوية فى معظم أوقات النهار، وكذلك البرودة ليلاً والرطوبة، وكانت من المشاكل الكبيرة التى توصل البرازيليون إلى حلها بالتحكم فى الحرارة والضوء المنعكس داخل المشاكن والمكاتب والمسطحات الزجاجية. فقد تغلب المهندس البرازيلى على هذه الصعوبات وأمكنه التحكم فى أشعة الشمس القوية ومنع دخولها داخل الوحدات السكنية والإدارية وغيرها، وذلك باستعمال ستائر على الفتحات إما على شكل أفقى أو رأسى أو محورى أو متحرك، وتعمل هذه الستائر عادة إما من ألواح مصنوعة من الخراسانة المسلحة أو الاستبس أو الخشب بالدرجة المطلوبة ممن التدرج فى فتحها.

وروعى فى إنشاء المساكن عاملان أساسيان، هما الحماية والخصوصية، أى حماية المساكن من أشعة الشمس، وعدم تسرب الحرارة المنعكسة من الأرض عغلى الفتحات، ومنع تسرب المطر الغزير وغيرها من الظواهر

١- محمد إبراهيم جمعة. المرجع السابق، ص١٢٥.

٢- معاذ أحمد عبد الله. المرجع السابق، ص٢١٧.

الطبيعية داخل الوحدات السكنية، وذلك بإنشاء الفرازات المتسعة والبروزات العميقة ذات الأبعاد المحسوبة، وزراعة الحدائق وبناء أحواض الزهور، وغرس الأشجار المختلفة الأطوال والأنواع حتى أمكن القول أن المنزل البرازيلي منزل نموذجي(١).

نسق القرابة:

تعتبر مظاهر التغير الأسرى بمثابة مؤشرات لحجم وعمق المؤثرات الحضارية، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً شكلاً وبناء ووظيفة بخصائص مراحل النمو الحضرى الذى سار فيه المجتمع الإنسانى. فقد كانت المدينة فى مراحلها الأولى تقوم على أساس نسق القرابة. وأتفقت الأسرات والأخويات والقبائل على الاتحاد وعلى أن يكون لها نفس العبادة فتأسست البلدة لكى تكون مقدما لهذه العبادة المشتركة وصاحب ظهور الصراع بين رؤساء العائلات من أجل السلطة والرئاسة نمو الحضر.

وكانت الخصائص التقليدية للأسرة الممتدة والتى تكون عادة من ثلاثة أو أربعة أجيال، وتضم الآباء والأبناء المتزوجين وأحفادهم أكثر اتفاقاً وتكيفاً مع ما أحاط الأسرة والمجتمع فى المرحلة السابقة على التصنيع من ظروف اجتماعية واقتصادية ومستوى متخلف من التكنولوجيا وطريقة معينة للحياة قامت على الاعتماد على الزراعة كوسيلة للعيش والحياة والفكر والعمل. فقد أخذت الأسرة التقليدية على عاتقها مسئولية القيام بكل الخدمات التى تقوم بها نحو أعضائها، سواء أكانت خدمات اقتصادية أو اجتماعية وعاش الناس فى جماعات منظمة مغلقة تقبل عن طيب خاطر الالتزامات المتبادلة. وحقق الأفراد احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية من خلال ارتباط كل فرد بالآخر.

١- توفيق أحمد عبد الجواد. المرجع السابق، ص١٦٣.

ولما قل نفوذ القرابة تقدم تقسيم العمل الذى يميز المدينة عن القرية. ومع نمو عمليات التنمية الاقتصادية، وما يصاحبها من انتشار التعليم والحضرية، وظهور المسئولية الفردية، والعلاقات الرسمية والتعاقدية، واتساع نطاق المنافسة، تغير النمط التقليدى للأسرة، واتجهت تلك النماذج إلى الاختفاء، وحل محلها نموذج الأسرة الزواجية أو الصغيرة التى تتألف من الزوج والزوجة وأبناؤها القصر فقط.

وتحت وطأة البيئة الحضرية الجديدة، قد تنهار الأنماط التقليدية، فمثلاً يمكن أن تتعدل الإجراءات المعتادة لتكوين علاقة الزوج والزوجة فى البيئة الحضرية الجديدة. وقد يكون من نتيجة ذلك أن الفرد بدلاً ممن أن يستعين بالطقوس والممارسات المعتادة المرتبطة باختيار شريك الحياة المقبل، قد يجد نفسه خاصة إذا كان قد جاء إلى المدينة دون أسرته - متورطا فى مجموعة من العلاقات غير الرسمية مع أفراد الجنس الآخر ليست هى علاقات الزواج العادية التى كان يعرفها فى الماضى، وإنما هى مجموعة من المعاشرات(١).

ويؤدى القوام الحضرى إلى ضعف سيطرة الأسرة الحضرية على أفرادها، كما يؤدى إلى تخفيف التزاماتها قبل أقاربها وأصهارها، فانتقال الأسرة من الوسط الريفى الذى تسوده الجماعة إلى الوسط الحضرى الذى تسوده الفردية غالباً ما يؤدى بها إلى الخروج تدريجياً من حكم التقاليد الجامدة إلى حكم القانون. وانفتاح الأسرة فى المدينة على العالم يؤدى بأفرادها إلى أن يستقلوا برأيهم إلى حد ما. فنجد مثلا أنه لم يعد للأب أو الجد الكبير النفوذ المطلق

---

١ - بيرز (جيرالد). المرجع السابق، ص٧٢.

على أفراد عائلته، كما أن ظاهرة احترام السن المتناهى بين أفراد الأسرة الريفية ليس لها نفس الصرامة بين أفراد الأسرة فى المدينة.

وينتج فى الغالب عن انتقال الأسرة من الريف إلى الحضر أن تتغير وظيفة رب الأسرة، فبعد أن كان يعمل فى الزراعة نجده يعمل فى التجارة أو الصناعة أو فى وظائف الخدمات. كما تفتقد الأسرة الحضرية إلى العديد من وظائفها التقليدية نتيجة لظهور مؤسسات متخصصة تؤدى تلك الوظائف التى كانت تقوم بها الأسرة.

ويعطى رب الأسرة فى المدينة أهمية خاصة لقضاء وقت الفراغ وطريقة تمضية هذا الوقت. ويستلزم هذا إنشاء عدد من وسائل تمضية أوقات الفراغ فى المدينة. كما يهتم رب الأسرة فى المدينة بتنظيم أوقات تناوله للطعام والراحة واستقبال الضيوف. كما تتعدل التزامات الضيافة فى الأسرة الحضرية بعض الشىء عن النماذج الريفية. ولدى الأسرة الحضرية قدر أكبر من الثقافة، ويتاح لأفرادها فرصة أكبر فى التعليم.

أما النساء، فقد عدلت البيئة الحضرية تعديلاً كبيراً من وضعهن وأدوارهن، وأوجه النشاط التى يمارسنها، وأبرز هذه التغيرات اتجاه الأسرة نحو الشكل الزواجى الصغير، وتلك التغيرات القانونية والاقتصادية فى علاقتهن مع باقى أفراد أسرهن. فقد تجد الزوجة أن القواعد القانونية المختلفة التى تمس النساء فى المدينمة يكون لها تأثيرها الهام فى مكانتها القانونية، من هذا مثلاً أنها قد تصبح قادرة على حيازة ممتلكات حقيقية باسمها الخاص، وتعمل الزوجة فى غالبية الأحيان، مما قد يؤدى إلى إرهاقها بالأعمال المنزلية.

العوامل السكانية :

تنمو المدن نتيجة زيادة عدد السكان، حيث أن إنتاج المزيد من الطعام يوفر إمكانية الحياة لعدد أكبر من الناس. وقد زاد عدد سكان العالم على مدار التاريخ زيادة كبيرة. ويقدر عدد سكان العالم فى المرحلة التى كان يقوم فيها الإنسان بجمع الثمار وصيد الحيوانات بخمسة ملايين نسمة عام ٨٠٠٠ ق.م[١].

ومنذ قيام الثورة الزراعية حتى أول إحصاء أجرى فى القرن السابع الميلادى، قدر سكان العالم قياساً إلى الآثار الاركيولوجية مثل عدد الحجرات فى القرى الأثرية التى استخدمت فى إحصاء عدد سكان القرية. وبلغ عدد سكان العالم وقت ظهور المسيح حوالى ٢٠٠- ٣٠٠ مليون نسمة. وازداد سكان العالم إلى ٥٠٠ مليون (نصف بليون) عام ١٦٥٠. وتضاعف الرقم إلى ١.٠٠٠ مليون (بليون) عام ١٨٥٠. ثم تضاعف مرة أخرى إلى ٢ بليون عام ١٩٣٠ والجدول الآتى يبين ذلك[٢].

التاريخ	تقرير عدد سكان العالم	زمن تضاعف السكان
٨٠٠٠ ق. م	٥ مليون	
١٦٥٠ م	٥٠٠ مليون	١.٥٠٠ سنة
١٨٥٠ م	١.٠٠٠ مليون (بليون)	٢٠٠ سنة
١٩٣٠ م	٢.٠٠٠ مليون (٢ بليون)	٨٠ سنة
١٩٧٥ م	٤.٠٠٠٠ مليون (٤ بليون)	٤٢ سنة

جدول رقم (٣) يبين زيادة عدد السكان فى العالم

1- Paul R. Ehrich, and Anne, Ehrlich, Population Resources Environment Issues in Human Encology, P. 5.

2- Ibid., P. 6.

وتتم الزيادة السكانية من خلال ثلاث مصادر :

١- زيادة المواليد عن الوفيات.

٢- الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر.

٣- الهجرة الخارجية أى من خارج الدولة.

ومما لاشك فيه، فإن ارتفاع معدل المواليد يسهم فى الزيادة السكانية. كما يؤدى ارتفاع معدل الوفيات إلى انخفاضهم، وإذا ما طرحنا معدل الوفيات من معدل المواليد فإنه يمكن معرفة الزيادة السكانية. ففى أمريكا يقدر النمو السكانى خلال الفترة من أكتوبر ١٩٦٧ إلى سبتمبر ١٩٦٨ بـ ٧.٧ لكل ألف من السكان. وكان معدل المواليد ١٧.٣ ومعدل الوفيات ٩.٦ لكل ألف من السكان. (لم يوضع موضوع الهجرة فى الاعتبار)، وقدر معدل المواليد على المستوى العالمى بـ ٣٤.٠، ومعدل الوفيات بـ ١٤.٠ لكل ألف نسمة عام ١٩٦٨. وبالتالى يكون معدل النمو السكانى ٣٤ = ١٤ = ٢٠ لكل ألف نسمة أو ٢%. وإذا ما أستمرت زيادة السكان فى العالم بنسبة ٢% فإنهم يتضاعفون كل ٣٥ سنة[١].

وقد ازداد سكان العالم بمعدل ٣% كل عام خلال الفترة ما بين ١٦٥٠ - ١٧٥٠، وبمقدار ٥% خلال الفترة من ١٧٥٠- ١٨٥٠، وتضاعف عدد سكان أوروبا خلال هذه الفترة نتيجة عدد من المتغيرات تقدم الميكنة الزراعية، تحسن الصحة، الثورة الصناعية. وفى آسيا قفز للنمو السكانى خلال الفترة من ١٧٥٠- ١٨٥٠ بمقدار ٥٠% والجدول الآتى يبين زيادة عدد السكان فى بلدان العالم خلال الفترة من ١٨٥٠- ١٩٥٠[٢].

1- Ibid., P. 8.

٢- المصدر : الأمم المتحدة عام ١٩٦٣ عن نفس المرجع، ص١٧.

السنة	العالم	أفريقيا	أمريكا الشمالية	أمريكا اللاتينية	آسيا عدا الاتحاد السوفيتى	أوروبا وآسيا عدا الاتحاد السوفيتى	جزر المحيط الهندى الجنوبى Oceania
١٨٥٠	١.١٣١	٩٧	٢٦	٣٣	٧٠٠	٢٧٤	٢
١٩٥٠	٢.٤٩٥	٢٠٠	١٦٧	١٦٣	١.٣٧٦	٥٧٦	٣

جدول رقم (٤) يبين عدد سكان العالم بالمليون

ومن الجدول السابق يتبين تضاعف عدد سكان أوروبا وأفريقيا، وتضاعفهم خمس مرات فى أمريكا اللاتينية، وست مرات فى أمريكا الشمالية.

ففى خلال الفترة من ١٨٥٠- ١٩٠٠ استمر معدل الوفيات فى الهبوط وقد نتج هذا الانخفاض عن الثورة الصناعية، وتقدم الميكنة الزراعية، وتطور وسائل العلاج، وتحسن وسائل النقل مما أدى إلى تقليل المجاعات. ففى أوروبا كان معدل الوفيات يتراوح ما بين ٢٢- ٢٤ حالة لكل ألف نسمة عام ١٨٥٠. وانخفض هذا المعدل إلى ١٨- ٢٠ ثم إلى ١٦ لكل ألف نسمة. وفى الدانمارك والنرويج والسويد انخفض المعدل من ٢٠ عام ١٨٥٠ إلى ١٦ لكل ألف نسمة عام ١٩٠٠[١]. ولاشك أن هبوط معدل الوفيات أدى إلى زيادة عدد السكان.

أما فى أوائل العصور الوسطى، فقد كان يحد من الزيادة السكانية فى المدن الغربية القديمة صعوبات التنقل. ويبدو أن عدد سكان هذه المدن كان يتراوح بين حوالى ألفين وعشرين ألف نسمة. وكان الحجم العادى للمدينة يقترب مما نسميه اليوم وحدة الجوار – أى حوالى خمسة آلاف نسمة أو أقل[٢].

1- Paul Ehrlicj & Ann H Ehrlich, Op. Cit., P.P. 17- 18.

٢- ممفورد (لويس). المدينة على مر العصور – أصلها ونشأتها – الجزء الأول، ص١١٠.

أما الهجرة، فهى ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت توجد فى كل زمان ومكان. وهى تعنى الارتحال عن موطن وتركه إلى غيره مدة قد تقصر أو تطول، وتمتد لتشمل الحياة الباقية للشخص بأكملها. وبمعنى آخر، فهى تعنى انتقال أشخاص من منطقة جغرافية إلى أخرى بقصد تغيير مكان الإقامة الدائم، وهى كذلك كل حركة عبر الحدود - ما عدا الحركات السياحية.

وتضم الهجرة مهاجرين قادمين إلى أنماط جديدة من العلاقات، وهم ليسوا مجرد خدم كما كانت فى العصور القديمة، وإنما كعمال صناعيين. وهم لم يأتوا لإقامة عابرة، وإنما ليبقوا نهائياً.

وتنطوى الهجرة على نوعين:

(أ) **هجرة مؤقتة**: ويقصد بها معدل الإلحاق أو الضم، مثل الهجرة إلى البلاد والأقطار الأخرى لتحقيق غرض معين ثم الرجوع إلى أوطانهم مرة أخرى. ويقيم هؤلاء إما فى نفس المركز الحضرى أو المناطق المحيطة به، ولذلك فهم يلحقون بالركب السكانى للمنطقة، وإن كانوا لا ينتمون إليه.

(ب) **هجرة دائمة**: وهى هجرة بعض الأفراد بصفة نهائية والاستيطان فى البلاد التى هاجروا إليها.

وتنقسم الهجرة الدائمة إلى نوعين: الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية، ومن أنماط الهجرة الخارجية:

١- المهاجرون العاديون، فقد ساعد هؤلاء على بناء المدن أو تغيير معالمها، على أننا يجب أن نميز الهجرات الخارجية الجماعية وبين الهجرات الخارجية الفردية، ففى الحالة الأولى تتخذ الهجرة شكل وحدات منظمة

Organized Units وغالباً ما يقيمون معاً فى الموطن الذى يقصدونه. أما الهجرة الفردية فتنطوى على هجرة أفراد كل فى عزلة عن الآخر.

٢- الغزاة: وكان الغزاة هم الأوائل الذين شيدوا المدن، وكانت هذه المدن بمثابة مدن حصينة ليستخدموها فى الدفاع عن أنفسهم، والسيطرة منها على المناطق الريفية المحيطة بهم[١].

كما تنشأ وتنمو المدن نتيجة الهجرة الداخلية، وهى أنواع: منها ما هو من الحضر إلى الحضر، ومنها ما هو من الحضر إلى الريف، ومنها ما هو من الريف إلى الريف، ومنها ما هو من الريف إلى الحضر، والإقامة فى المنطقة المهاجر إليها مدة لا تقل عن سنة. والنوع الأول من هذه الهجرة هو النمط السائد فى جمهورية مصر العربية (حيث تبلغ نسبة المهاجرين من المدن إلى المدن حوالى ٦٤% سنويا)، بينما النوع الأخير هو أهمها وأخطرها فى نفس الوقت، نظراً لما ينتج عنه من آثار كثيرة ومتباينة فى كل من المجتمعين الريفى (الطارد) والحضرى (الجاذب) - رغم بلوغ نسبة المهاجرين من الريف إلى الحضر حوالى ٢٩.٥% سنوياً فقط[٢]. وما ينبغى الإشارة إليه هو اعتبار الانتقال إلى المدن للتعليم أو لأداء الخدمة العسكرية نوعاً من الهجرة.

ولكن من هو المهاجر؟ وكيف يصبح المهاجر إنساناً حضرياً؟ وهل يصبح الإنسان حضرياً من اليوم الأول لوصوله؟ أم يمكن اعتباره حضرياً إذا ما غادر المدينة بعد أن ادخر قدراً من المال بعد فترة قصيرة فيها إلى غير عودة؟ أم أنه لا يصبح حضرياً إلا بعد أن يولد له أطفال فى المدينة ويستقر

١- د. صمويل باسيليوس. الاجتماع الحضرى، ص ص١٤٢- ١٤٣.

٢- د. عبد المنعم محمد بدر. دراسات فى التنمية الريفية، ص٥١.

فيها نهائياً؟ هل لا تتحضر أسرة الشخص إلا فى الجيل الثانى؟ من هو إذن ساكن المدينة؟ ومن هم السكان المستقرون فى المناطق الحضرية؟ تختلف الأعداد من بلد لآخر، كما تختلف تبعاً لحجم المدن، وعلاوة على ذلك فإن سكان المناطق الحضرية يعيشون فى ظل ظروف معيشية متفاوتة أشد التفاوت وخاصة من حيث الكثافة. فالأوروبيون أو غيرهم من الغربيين عموماً والذين كانت أعدادهم صغيرة نسبياً يعيشون فى المدن أساساً فى البلدان التى استعمروها، ولو أن هناك بعض الحالات التى كان الأوربيون يستقرون فى المزارع وهو ما عرفناه فى فترة ما قبل الاستقلال فى بعض البلاد مثل كينيا وجنوب أفريقيا، غير أن هذا لم يكن النمط الشائع فى العادة إذ اعتاد الزوار الأوربيون الاستقرار فى المناطق الحضرية حيث يزداد احتمال توافر وسائل الراحة التى أعتادوها(١).

ومما لاشك فيه، فإن الهجرة يصاحبها تغيرات تحدث لطبائع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة فى المدن. فهجرة قروى من قنا إلى مدينة القاهرة سوف يصاحبها هزة نفسية وصدمة ثقافية تترك المهاجر قلقاً حائراً مما يؤثر على عمله الجديد وانتاجه بقدر كبير، وذلك للفرق الشاسع بين حياة الريف وحياة المدينة الكبيرة.

أسباب الهجرة:

تتجه الهجرة دائماً إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية مواتية والفرص ملائمة للكسب ورفع مستوى المعيشة ومن الممكن تقسيم أسباب الهجرة إلى نوعين، أسباب طاردة وأخرى جاذبة - أى ما يعرف بالتخلخل deconcentration والتركز concentration وهما يشيران إلى التغيرات التى

---

١ - د. محمد الجوهرى وآخرون. المرجع السابق، ص٨٩.

تحدث فى التوزيع المكانى للسكان، أى تغير الكثافة السكانية، ويعد التخلخل حركة انتقال طاردة بعيداً عن المركز فى اتجاه أطرافه الخارجية. أما التركز فهو عملية انتقال جاذبة إلى مركز النشاط، أى إلى منطقة معينة جعلت الطبيعة والخبرة الإنسانية ظروفها أكثر ملاءمة لإشباع الحاجات الأساسية للمعيشة.

وتنتج هذه التغيرات عن عمليتين هما: إعداد المهاجرين غير المتساوية بين منطق وأخرى، والاختلافات بين معدلات المواليد والوفيات فى منطقة عن أخرى. ففى بلدان العالم الغربى ينتج التركز عادة عن الهجرة الريفية / الحضرية، حيث يكون معدل المواليد فى المدينة أقل منه فى القرية، بينما يميل معدل الوفيات فى المدينة إلى الارتفاع(١).

أولاً - الأسباب الطاردة:

١- التضخم السكانى فى المناطق الريفية الذى تكون له دلالته بالنسبة لكمية الطعام أو العمل المتاح، وتضاؤل الفرص التى تسمح بالحصول على الأرض التى يمكن فلاحتها والتعيش فيها، وكذلك تضاؤل فرص العمل فى الحكومة والمؤسسات التى قد لا تتسع بالمعدل المناسب للزيادة فى عدد سكان الريف.

٢- تنطوى الطبيعة الموسمية للعمل فى الزراعة عادة على فترة فراغ بين زراعة المحصولات وحصدها، مما يتيح تلقائياً فرصة الهجرة إلى المدينة.

٣- انهيار النظام الاقطاعى وتحرر الفلاحين من رق الأرض مما وفر لهم الحرية فى الانتقال والإقامة حيث يريدون.

1- R. N., Morris, Op. Cit., P. 101.

٤- سوء توزيع الملكية الزراعية يؤدى فى الغالب إلى هجرة أهل الريف إلى المدن سعياً وراء رزق أوسع ومستوى مادى أفضل.

٥- تؤدى بعض الكوارث كجفاف الأرض أو الفيضانات أو السيول أو هجوم النمل الأبيض إلى أن يخرج الريفيون من قراهم واستيطانهم مناطق جديدة.

٦- يهاجر بعض شباب الريف إلى المدن هرباً من سيطرة الوالدين ورغبة فى تغير نمط حياتهم.

ثانيا - الاسباب الجاذبة

١- يؤدى ظهور مصادر جديدة للرزق فى بعض المناطق كما هى الحال فى المحلة الكبرى وكفر الدوار إلى جذب الريفيين إلى تلك الجهات.

٢- ارتفاع معدلات الأجور فى المدن عن القرى، ومن ثم فإن الريفى يعمد إلى البحث عن عمل صناعى لكى يتمكن من الحصول على ما يكفى مطالب الحياة.

٣- وجود الجامعات والمدارس الكبرى بالمدن يدفع أهالى لاريفيين إلى إرسال أبنائهم إلى المدينة للدراسة، فيستمرئ هؤلاء حياة المدينة ويبقون فيها.

٤- اتجاه مناهج التعليم إلى إعداد الشباب للعمل فى وظائف حكومية أكثر من العمل فى الزراعة كان عاملاً مساعداً فى تكالب الريفيين على الوظائف الحكومية فى المدن، هذا علاوة على ما فى تلك الوظائف من مظاهر الإدارة والأبهة.

٥- اتخاذ المدن كمراكز إدارية وتجارية واجتماعية وثقافية مما جعلها تتميز بنشاط عمرانى كبير ، وأصبحت مهبط أصحاب الأعمال والمصالح ورجال الأعمال والمهنيين.

٦- قيام الحكومات بتنظيم المدن وتنسيق الخدمات فيها واستئثارها بهذه الخدمات أدى إلى هجرة داخلية متتالية من الريف إلى المدن رغبة فى التمتع بهذه الخدمات.

٧- تمتع المدن بحياة الترف ومظاهر التحضر المختلفة، ففيها دور السينما والمسرح والأندية ودور التسلية والترويح، كما يتوفر فيها الحدائق والعمارات السكنية المريحة ووسائل المواصلات السريعة، ومن هنا كانت محط أنظار أهل الريف.

٨- تتيح الجندية لعدد كبير من الريفيين زيارة المدن، ويؤدى هذا بدوره إلى تعلق أهل الريف بحياة المدينة.

٩- صار أهل الريف أكثر استجابة للقوى التى تدفعهم للذهاب إلى المدينة، نتيجة تحسن وسائل المواصلات بين الريف والمدينة.

وهناك معايير كثيرة يمكن من خلالها أن نتعرف على طبيعة التركز السكانى داخل مركز الاستقطاب، ويمكننا أن نلخص هذه المعايير فى أربعة رئيسية هى(١):

١- حجم السكان Size، وهو العدد الإجمالى للأشخاص فى منطقة ما، وفى وقت معين.

٢- التوزيع *Distribution* والكثافة *Density* ونعنى بهما التعرف على التركز والتشتيت النسبيين للأشخاص فى منطقة ما.

١- د. محمود الكردى. المرجع السابق، ص٢٩.

٣- التركيب composition، ونقصد به التعرف بالخصائص الفيزيقية، والاجتماعية، والثقافية المناسبة والمطابقة لعدد السكان (مثل الجنس والعمر والسلالة والمهنة).

٤- التغيرات الناشئة فى العناصر الثلاثة السابقة. ويمكن أن تقاس من خلال اتجاه التغير ودرجته بالنسبة لسكان المنطقة، وذلك بالاستناد إلى إحصاءات وأرقام تشرح هذه التغيرات.

نتائج الهجرة

وينتج عن الهجرة نتائج بعضها ايجابى وبعضها سلبى.

النتائج الموجبة

تساهم الهجرة فى القضاء على مشكلات البطالة فى الريف، وتسهم مساهمة فعالة فى القضاء على مشكلات تابعة أخرى مثل انخفاض مستوى المعيشة ومستوى التعليم والمستويات الصحية والثقافية والحضارية بوجه عام.

وعلى الجانب القومى فإن هجرة الريفيين كقوة عمل، وسواء كانت هذه الهجرة إلى المدن الصناعية الكبرى (كأسوان وحلوان وشبرا والمحلة الكبرى وكفر الزيات وكفر الدوار وغيرها) أو مراكز الجذب الزراعية (مثل مناطق مديرية التحرير وأبيس وكفر الشيخ والوادى الجديد ... الخ)، إنما يثرى مواقع الإنتاج وينمى مصادر الدخل القومى - فضلاً عن الدخل الفردى ويزيده.

وتؤدى هذه الحركات السكانية إلى زيادة تكوين رأس المال الصناعى والزراعى والتجارى، مما يؤدى إلى زيادة مستويات أجور العمال وبالتالى زيادة الطلب على السلع المنتجة، وهكذا تدور دائرة الرخاء وتزيد الثروة القومية.

وقد حاولت الكثير من الدراسات تتبع حسابات المكسب والخسارة لحركة الريفيين إلى المدن، فمن الناحية المادية (الدخل) وجدLandirg & Morgan (١٩٦٧) أن دخل رب الأسرة الذى نشأ فى الريف ثم هاجر إلى منطقة حضرية قد زاد حوالى ٨٠٠ جنيهاً (٣٠%) عن رب الأسرة الذى بقى غير مهاجر فى الريف. وفى نفس الوقت، فإن wertheime (١٩٧٠- ١٩٧١) وجد أن المهاجرين من ريف الولايات المتحدة الأمريكية الشمالى قد زاد دخلهم عن قرنائهم الذين لم يهاجروا حوالى ٦٠٠ جنيهاً فى المتوسط فى العام الواحد وأن هذا الدخل قد زاد بنسبة أكبر (وصلت إلى ٣٠٠٠٠ جنيها) بالنسبة للمهاجرين من الطلاب الذين هاجروا إلى مدن كبرى[١].

وهكذا فإن تحول جزء من الناس من النشاط الزراعى إلى النشاط الصناعى يؤثر على التنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية مما يحمل من اتجاهات نمو الحضر والتمدن.

النتائج السالبة :

يؤكد بعض العاملين فى حقل الديموجرافيا والعلوم الاجتماعية بوجه عام وكثير من العاملين فى هذا الحقل بالولايات المتحدة الأمريكية وأوربا بوجه خاص أن للهجرة الريفية / الحضرية كثير من الآثار السالبة. وعلى سبيل المثال فهجرة القرويين إلى الحضر تحرم المجتمعات الريفية من الكثير من أبنائها الشباب الناضجين الواعين الطموحين المثقفين المتعلمين والمدربين، وتتسبب فى خلق العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية مثل: فقد الطابع الريفى، وضعف الروابط الأسرية، والطلاق، وانحراف الأحداث، والإنحراف الأخلاقى، واللاتدين Secularization ، كما أن هجرة هؤلاء الريفيين إلى

١- د. عبد المنعم محمد بدر. المرجع السابق، ص ص٢٦- ٢٩.

المدن تخلق الكثير من المشكلات لمجتمع المدينة مثل الزيادة المضطردة فى السكان، زيادة البطالة، خفض الأجور والدخل، ارتفاع تكاليف المعيشة، انخفاض مستويات الخدمات وارتفاع نسبة الجريمة(١).

ومع نمو السكان فى المدن، حدث تغير جذرى، فبعد أن أخضعت المدينة الفلاحين، بدأت فى إخضاع المدن المجاورة. واختفت دول المدينة المستقلة، وفقدت هذه المدن وظيفتها السياسية وحل محلها الدولة الاقليمية ويتمثل ذلك فى اليونان(٢).

ويقرر كثير من العلماء أن الأجناس البشرية فيما مضى كانت تنمو فى عزلة نسبية، وترث خصائصها العرقية عن طريق المولد والتكيف. بينما تدين المدينة فى وجودها إلى توافد وهجرة شعوب من ثقافات مختلفة وأصول عرعقية متباينة ولغات مختلفة، وعادات وتقاليد متنوعة. ومن ثم أصبح سكان المدن غير متجانسين، ويعيشون فى ظل حكومة تسيطر على بقية الإقليم من العاصمة(٣).

ولاشك أن الكثافة السكانية وما ينتج عنها من خصوبة وعمالة المرأة تستخدم كمعيار لقياس تحضر مجتمع عن مجتمع آخر، إذ ينعكس هذا على المظاهر الاقتصادية والاجتماعية فى المدينة، بينما ينخفض عدد السكان فى القرية. فقد ازدادت نسبة سكان المدن فى العالم زيادة كبيرة سواء كان ذلك فى البلاد المصنعة أو غير المصنعة.

١- نفس المرجع، ص٢٩.

2- Robert Ezra, Ezra, the Human Community, the City and Human Ecology, P. 132.

3- Bergel Egon Ernest, Op. Cit., P. 1.

ففى انجلترا وويلز ارتفع عدد سكان المدن خلال الفترة ما بين عامى ١٨٠١، ١٩٠١ من ٨.٩ مليون إلى ٣٢.٩ مليون نسمة بزيادة حوالى ٢٤ مليون – أى أربعة أضعاف. وانعكس هذا على حياة شعب انجلترا وويلز، فأضحى شعب حضرى. وفى إحصاء عام ١٨٥١ كان أكثر من ٥٠% من السكان يسكنون مناطق حضرية، ثم استمرت هذه النسبة فى الزيادة بعد هذا التاريخ وعند نهاية القرن أصبح لانجلترا وويلز خمس وسبعون مدينة town يبلغ عدد سكان كل منها ٥٠.٠٠٠ نسمة، وأربع وسبعون مدينة City يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين وبلغ عدد سكان مدينة لندن ٤.٥ مليون نسمة. وبلغ عدد سكان كلم ن ليفربول ومانشستر وبرمجنهام وليدز Leeds وشفيلد وبريستول وبرافورد ودويست هام ٢٥٠.٠٠٠ نسمة. وانعكست هذه الأعداد على هذه المدن ومنحتها خاصة الحضر. واستمر نمو هذه المدن بنمو عدد السكان خلال الفترة ممن ١٨٩١- ١٩٠١ بنسبة ١٤%، وبالمقارنة بزيادة تقدر بـ ١٢% على المستوى القومى. وعند نهاية القرن التاسع عشر كانت ضواحى المدن تمثل مراكز النمو السريع فخلال العقد الأخير تضاعف سكان ايست هام East Ham شرق لندن ثلاث أضعاف أما المدن المجاورة، وهى Walthamstow وليبتون Leyton وويست هام، فقد ازداد فيها عدد السكان بنسب هى: ١٠٥%، ٥٧%، ٣١% على التوالى. كما ازداد عدد سكان غرب لندن Willesden بمقدرا ٨٧%، وهورسى Hoysey ٦٢%، وتوتينهام Terrenham شمال لندن ٤٤%، وكرويدون Croydon فى الجنوب ٣٠%.

وفى اسكتلنده أربعة مدن وصل عدد سكان كل منها ١٥٠.٠٠٠ نسمة عام ١٩٠١. وكانت جلاسكاو Glascow أكثرها سكانا، إذ بلغ عدد سكانها ٧٦١.٠٠٠ نسمة. واستمر النمو الحضرى فى بعض مناطق من لاناركين

Lanarkine وكليدسيد Clydside وفى بداية القرن العشرين ارتفع عدد سكان أدنبـرة Edingurg إلـى ٣١٧.٠٠٠ نسـمة، ومدينـة دنـدى Dundee ١٦١.٠٠٠، ومدينة أبيردين Aberdeen ١٥٣.٠٠٠ نسمة[١].

وبلغ عدد السكان فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر عشرة ملايين، مما جعلها رائدة النهضة الحضرية. وكانت إدارة البندقية منظمة تنظيما دقيقا، وبلغ عدد سكانها هى وميلان مائة ألف نسمة فى القرن الثالث عشر.

وعند نهاية القرن الثانى عشر، بلغ عدد سكان باريس حوالى ١٠٠.٠٠٠ نسمة، وازداد عددهم عند نهاية القرن الثالث عشر إلى حوالى ٢٤٠.٠٠٠ نسمة. وفى عام ١٢٨٠ كان عدد سكان فلورنسا ٤٥.٠٠٠ وفى عام ١٣٣٩ بلغ عدد سكانها ٩٠.٠٠٠ نسمة[٢].

وقد يظن القارئ أن هذه الزيادة الكبيرة تخص البلاد المصنعة وحدها، إلا الإحصائيات تدل على غير ذلك. ففى أفريقيا – مثلا – زاد عدد السكان فى المدن التى يزيد عدد سكانها عن ١٠٠.٠٠٠ من ١.٤ مليون سنة ١٩٠٠ إلى ١٠.٢ مليون نسمة عام ١٩٥٠. وفى آسيا زاد عدد سكان المدن التى يزيد عدد سكانها عن ١٠٠.٠٠٠ من ١٩.٤ مليون عام ١٩٠٠ إلى ١٠٥.٩ مليون نسمة عام ١٩٥٠– أى أن عدد السكان زاد فى أفريقيا بنسبة ٦٣.٩%، وفى آسيا بنسبة ٤٤٤%[٣].

وتتميز القاهرة بكثافة سكانية شديدة، تصل فى بعض الأحياء إلى درجة ليس لها مثيل فى العالم مثل باب الشعرية حيث يقرب عدد السكان فيه ١٢٦

1- Gordon, Cherry, Op. Cit., P. 9.

٢- ممفورد (لويس). المرجع السابق - الجزء الثانى، ص٤٧٢.

3- Gordon Cherrym, Op. Cit., P. 9.

ألف نسمة لكل كم مربع وفقاً لتعداد ١٩٦٦[١]. وتعرضت منطقة كفر الدوار لتيار من الهجرة الداخلية بشكل ملحوظ بعد أن أخذت فى الانتقال التدريجى من الطابع الريفى إلى أن تكون مدينة صناعية تقوم فيها صناعة هامة من الصناعات المصرية.

ويرتبط التكوين الجنسى والعمرى للسكان بالإقامة فى المدينة فنجد مثلاً أن نسبة الذكور فى وسط المدينة أعلى من نسبة الإناث، بينما العكس صحيح فى الأطراف. وكذلك تزداد نسبة البالغين وتقل نسبة الأحداث والصغار فى قلب المدينة، أو مركز الأعمال فيها، بينما نجد العكس فى الأطراف[٢].

العوامل الاقتصادية :

تقديم :

تشير كلمة العوامل الاقتصادية إلى مجموعة من الظواهر التى تتعلق بالحياة المادية للمجتمع، ووسائل تنمية موارد ثرواته، وإنتاج هذه الثروات وتداولها وتوزيعها واستهلاكها. وهى تضم العناصر التى تنتج السلع والخدمات، مثل الأرض والموارد الطبيعية، والقيم الثقافية، والمعرفة الفنية، ورأس المال والموارد المتاحة، والتنظيم، والعمل الذى يتمثل فى مهارات الأفراد. كما تشتمل الطبيعة الصناعية المحلية وتنظيماتها، والتوزيع المهنى ومستويات المعيشة وظروف الرفاهية.

وقد قسم جولد سميث مراحل النمو الاقتصادى إلى مرحلة الاقتصاد الذى يقوم على التجوال، ويتمثل فى مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات. ويلى ذلك مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات مع الاستقرار النسبى على الأرض، وصاحب هذا الانتقال تنمية المجتمع. وتشمل المرحلة الثالثة نشاطات معقدة

---

١ - د. زيدان عبد الباقى. المرجع السابق، ص٣٤٠.

٢ - د. حسن الساعاتى. التصنيع والعمران - بحث ميدانى للإسكندرية وعمالها، ص٣٤.

تتمثل فى الزراعة والرعى. وتميزت المرحلة الرابعة بنمو الزراعة وظهور فائض زراعى يعول سكان المدن. وفى المرحلة الخامسة ظهر نوع من تقسيم العمل المعقد. وأدى هذا النمو الاقتصادى إلى زيادة عدد السكان، وبالتالى إلى نمو المدن. فقد اعتبر مونتسكيو[١] المدينة جزءاً من النظام الاقتصادى.

ففى العصر الحجرى القديم، كان يجتمع لفيف من الأسرات والقبائل للسكن فى موطن مشترك فى مواسم معينة لتنظيم جمع القوات أو الصيد. وقبل أن تغدو القرى والمدن الزراعية من معالم العصر الحجرى الحديث بزمن طويل، كانت المواقع الصالحة لها قد تم اختبار صلاحيتها من حيث وجود منبع يستمد منه الماء الصافى على مدار السنة، ووجود تل صلب الأديم من السهل تسلقه ويحميه نهر أو مستنقع، وغنى مصب النهر المجاور بالأسماك والمحاريات، ففى أقاليم عديدة كان كل هذا فى الفترة التى فصلت بين العصرين الحجرى القديم والحديث، دعامة الحياة الاقتصادية فى مواقع يشهد أنها كانت مراكز استقرار دائمة، ما وجد فيها من محاريات ممفتوحة كونت أكداسها أكواماً ضخمة.

بيد أنه من الجائز أن تكون حياة الاستقرار أسبق من ظهور هذه القرى، فإن بقايا مبانى العصر الحجرى القديم فى جنوب روسيا، كانت فيما يبدو جزءاً من قرية صغيرة.

التقدم الزراعى:

يمثل انتقال الإنسان فى العصر الحجرى القديم Paleolithic من كهفه إلى مخبئه الذى شيده من أفرع الأشجار أول خطوة نحو التحضر. ثم اكتشف

١- د. محمد الجوهرى وآخرون. المرجع السابق، ص٦.

الإنسان الزراعة وقام بتربية الحيوانات فكانت ثورة اقتصادية واجتماعية. ويعد أن كان الإنسان يجرى وراء الغذاء، ويعيش عيشة بدوية غير مستقرة، وينتقل من مكان إلى آخر، يعيش حينما وجد طعامه سواء كان فى كهف أو فى العراء أصبح الآن منتجاً للغذاء ووجد نفسه مضطراً إلى أن يرتبط بمكان واحد هو الأرض التى يزرعها، وأن يبنى لنفسه مأوى يعيش فيه، ويقيه ممن الحرارة والبرودة والحيوان. وبذلك نشأت القرية.

وكانت القرية مجموعة من أكواخ من الطين المجفف، أو من الطين والبوص تحيط بها بساتين وحقول، وكانت جميعها متواضعة فى مساحتها، إذ أن الحقول الواسعة ذات الحدود الواضحة والشكل المستطيل لم تظهر إلا مع ظهور المحراث. وعلى مقربة من القرية كان يوجد النهر أو المستنقع.

وقد ظهرت هذه المرحلة حوالى ٤٠٠٠ ق. م. ويحدثنا التاريخ أن اكتشاف الإنسان للزراعة وحياة القرية، حدث أول ما حدث فى دلتا النيل فى مصر ووادى الدجلة والفرات فى العراق، ووادى الإندوس فى باكستان وفى الهند - أى حيثما وجد الماء للزراعة.

وكانت المدينة خلال هذه المرحلة أشبه بقرية كبيرة لم تستقر أوضاعها، ولم يتم تخطيطها بعد. كما كان عدد سكانها محدوداً وطبيعة العلاقات بسيطة وغير معقدة. ويقوم الإنسان بقنص الطيور بالفخاخ ويصطاد السمك بالشباك للحصول على طعام إضافى يعين على قلة المحصول، أو يزيد عن الطعام اليومى المعتاد. بيد أنه كما لاحظ جون أ. ويلسون John A. Wilson حتى فى أكثر القرى الصغيرة بداءة، مثل قرية مزمدة بنى سلامة بدلتا النيل فى مصر (كانت تغرس فى باطن الأرض جزء ليتجمع فيها ماء المطر الذى

يخترق السقف، وفضلاً عن ذلك كان للقرية مخزن جماعى للغلال يتألف من سلال مضفورة كانت تنزل فى باطن الأرض. وفى وسط البساتين والحقول كونت القرية نوعاً جديداً من مراكز الاستقرار بوصفها مجتمعاً مستديماً يتألف من الأسرات والجيران، ومن الطيور والحيوانات، ومن البيوت وحفر التخزين ومخازن الغلال.

ولاشك أن المجتمعات الزراعية تحتاج إلى نسق من تقسيم الأرض وملكيتها وتوزيعها، وتخطيط المحصول، وتوزيع مياه الفيضانات. وقد أدى هذا إلى ظهور علم الهندسة وبناء المنازل من الطوب. واستلزم ذلك مساهمة الجيران والأقارب، ووضع فى الاعتبار القوى المتغيرة للطبيعة وفصول السنة. وفى ظل هذه الظروف ظهر الأغنياء ورجال الدين والارتباطات القبلية، واندمج الناس فى شكل تنظيم اجتماعى وسياسى، وظهرت أنماط فيزيقية واجتماعية معقدة.

وأدت ظروف العمل فى الزراعة وتربية الحيوانات الأليفة، واستخدام تكنولوجيا ضبط المياه، واستعمال المحراث، ورى الأراضى الزراعية، وتخصيب الأرض، واختراع العربات ذات العجلات، وقوارب البحر، وصناعة المعادن أدت إلى ظهور فائض زراعى يستخدم فى إطعام العمال اليدوين والتجار وطبقة الصفوة. وإذا كانت الجماعات الحضرية التى لا تعمل بالزراعة تمد بجزء من هذا الفائض، فإنه يتوفر لديها الظروف المناسبة للاستقرار الاجتماعى، إذ يميل الزراع إلى الآتى:

أولاً: يميل الزراع إلى السيطرة على فائض الإنتاج الزراعى، ويتم هذا من خلال السيطرة السياسية والعسكرية، وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان،

واستخدام القتل وجباية الضرائب. ولهذا فإن نمو المدنيات (القديمة) كان يقوم أساساً على الرق والعمل الإجبارى (السخرة). ويواصل الزراع إنتاجهم الزراعى لتبادل منتجاتهم الزراعية بالسلع والخدمات التى تعتبر نافعة لهم.

ثانياً: يحتاج هذا الفائض الذى يستخدم لإمداد الحياة الحضرية إلى وسائل تنقله إلى المدينة.

ثالثاً: يحتاج هذا الفائض إلى مخازن ووسائل للحماية، ويظهر نسق معقد من التبادل، وتوضع معايير للأوزان والمقاييس والحساب لقياس مساحات الأرض.

رابعاً: يحتاج هذا الفائض إلى تسهيلات تخص توزيعه على سكان المدينة town ، ويتم هذا من خلال التبادل المباشر بين القروى وساكن المدينة.

ويظهور فائض الإنتاج الزراعى هاجر الفلاح الذى لا يعمل بالزراعة إلى مناطق أخرى للعمل فى التجارة أو الصناعة؛ مما أدى إلى زيادة نمو المدن. كذلك استطاع الإنسان بظهور الآلات الزراعية الحديثة أن يستخدم أقل مجهود يدوى ممكن فى إنتاج الحاصلات المختلفة، مما أدى إلى وجود أعداد ضخمة من العمال الزراعيين بلا عمل، وهؤلاء تحولوا إلى المدينة وزاولوا نشاطات اقتصادية أخرى. وعليه فكلما زاد استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة فى بلد ما زادت نسبة التحضر، وزاد نمو المدن زياددة ملحوظة.

التقدم التجارى:

أدت التجارة فى العصر السومريانى إلى تحسين فن الكتابة وتقدم علم الحساب والفلك والتنجيم، كما قسمت السنة إلى شهور وأيام وساعات ودقائق، واعتمدت المدن فى فترة ما قبل الثورة الصناعية فى نشأتها على التجارة فقد

اعتبر بيرين Pirene[١] انتعاش التجارة السبب المباشر لما تم فى القرن الحادى عشر من بناء المدن وضروب النشاط التى أدت إلى انتشار المدينة.

ويؤكد هذا المعنى لويس ممفورد[٢]، إذ يرى أن التوسع التجارى كان من العوامل الهامة فى التحول من القرية إلى المدينة، وبخاصة فى القرن السابع عشر. وبدأ الحافز على التوسع الحضرى ينبعث أساساً من التجار وأصحاب الأملاك الذين كانوا يهدفون إلى خدمة مصالحهم الخاصة.

فقد ظهرت مدن ساحلية أساسها حركة التصدير والاستيراد وتجمعت الثروة فى المدن. وانتقل اهتمام أهل المدينة من المحراث واستئناس الحيوان إلى القصور والمعابد الضخمة والأثاث الفاخر والأسلحة للجيش.

وكان السوق هو مركز نشاط المدينة، والتجارة هى حياتها ومصدر ثروتها وبناء على تأثير العامل التجارى زادت قدرة المدينة على الجذب وبخاصة جذب العناصر الجديدة التى لم تكن مقيمة أصلاً فيها، واضمحلت سلطة اللوردات من الاقطاعيين. ولحساب التجارة ظهر الكتبة والمحاسبون، ولحسم مشكلات التجارة ظهر الحكام المركزيون، ولتأمين التجارة ظهرت الجيوش، وانبثقت كذلك سلطة التجار الأغنياء .

واعتمدت المدن الصغيرة على التجارة بين عدد من المدن الصغرى. أما المدن الكبرى فكانت تجارتها دولية أى بين دول مختلفة. ونمت المدن بنمو الأسواق العالمية وطرق التبادل ووسائل النقل، وذلك فى ظل ظروف كانت تمنع فى الماضى ظهورها أو نموها. فالمدن التى تقع فى مناطق تبعد بعداً

١- ممفورد (لويس). المرجع السابق - الجزء الأول، ص٤٥٩.

٢- د. أحمد النكلاوى. القاهرة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى، ص٢٠٠.

سحيقاً عن مناطق العمران، وتتخصص فى نوع دقيق جداً من الصناعة، أصبح من الممكن استمرارها بل وازدياد كثافة السكان فيها عن طريق التجارة ووسائل النقل الحديثة. والنتيجة التى ترتبت على ذلك أن الفكرة القديمة وهى أن المدينة لكى تزدهر يجب اعتمادها على منطقة زراعية حولها أصبحت غير ضرورية إطلاقاً فى العصر الحديث.

وحين أخذت المدن التجارية الأقدم عهداً، مثل بروج وفلورنسا فى التدهور فى القرن السادس عشر، كانت الموانى البحرية والنهرية الواقعة على طرق التجارة الرئيسية تنعم بالازدهار، وتشهد بذلك نابولى وباليرمو ولشبونة وفرانكفورت على نهر الماين وليفربول. ولقد انتشرت انشاء القنوات فى الإقليم الواطئة إلى سائر أرجاء أوربا، وفضلا عن ذلك فإن مهارة الهولنديين فى التحكم فى الماء وفى ضخه، انتفع بها فى استخدام أقدم المواسير الرئيسية للماء من أجل سد حاجة المدن الآخذة فى التوسع. وقد أنشئ فى القرن السابع عشر لأول مرة نظام النقل بالقوارب فى القنوات بصفة منتظمة فى كل ساعة، وكان ذلك بين ديلفت وروتردام[١].

وساعد على نمو المدينة ظهور نقابة التجارة، وهى عبارة عن هيئة عامة تنظم وتشرف على الحياة الاقتصادية بأجمعها، فقد كانت تنظم قواعد البيع، وتحمى المستهلك من الابتزاز، والصانع الأمين من المنافسة غير العادلة. كما تقوم بحماية تجار المدينة من اضطراب أحوال سوقهم بتأثير عوامل خارجية. ومن الناحية الأخرى كانت نقابة الحرفة عبارة عن هيئة تضم أساتذة الحرفة الذين يقومون بصنع منتجاتهم لتنظيم الإنتاج. ومع توالى الزمن أصبح لكل من

١- د. كمال الدين سامح. المرجع السابق، ص ص٧٧٢- ٧٧٣.

هاتين المنظمتين مظهر ينم عنها فى المدينة، الأولى "دار المدينة Town Hall" أو "دار السوق Market Hall"، والثانية "دار النقابة Guild Hall". وفى بعض الأحيان كانت تبنى الدار نقابة واحدة بمفردها، كما هو شأن الدور الصغيرة العديدة فى البندقية. وفى أحيان أخرى كانت الدار مبنى عظيما أقيم بفضل جهود مشتركة. ومن المحتمل أن المبنى الأولى للنقابات كانت عبارة عن منازل متواضعة أو حجرات مستأجرة عفا عليها الزمن منذ عهد طويل، كما كان الشأن فى الرابطات القديمة. بيد أن المبانى التى بقيت قائمة، كثيراً ما تنافس بفخامتها دار المدينة أو الكاتدرائية[١].

والواقع أن النقابات لم تكن إلا عبارة عن المدينة فى مظهرها الاقتصادى، كما أن المدينة كانت عبارة عن النقابات فى مظهريها الاجتماعى والسياسى.

ولا يعنى هذا أن المدن كانت مأوى للتجار فقط، وإنما تعنى أن أساسها الاقتصادى كان تجارياً، وأن أغلب العاملين فى المدينة من كتبة وموظفين ومديرين ومختصين فى الدعاية ومحاسبين كانوا من ملحقات العمليات التجارية، وأن الأطباء والمهندسين والمحامين والمدرسين كانوا فى خدمة التجارة وملحقاتها.

مدن مرحلة ما قبل الصناعة :

يرى "امريزجونز Emrys Jones"[٢] أن مدينة ما قبل الصناعة لا تطلق على أنماط مدن أوروبا الغربية الحالية، وإنما تطلق على مدن أوربا فى العصور الوسطى، وجميع المدن التى كانت قائمة عبر التاريخ ولا تتسم

---

١ - ممفورد (لويس). المرجع السابق - الجزء الثانى، ص٤٩٢.

2- R. N., Morris, Op. Cit., P. 39.

بالصناعة. وكانت هذه المدن كما يقول "لامبارد"[١] - إما مدناً أساسها المحكمة أو الكاتدرائية أو الحصن أو السوق أو الميناء، على أن أغلب المدن كانت تضم هذه العناصر مجتمعه.

واتسمت مدن ما قبل الصناعة بالخصائص التالية:

١- سيادة التكنولوجيا التى تستند إلى قوى الإنسان والحيوان أكثر من استنادها إلى قوى غير حية (الجماد)، وبالتالى كانت الصناعة يدوية، تعتمد أساساً على المواد الخام الأولية الزراعية أو إنتاج المناجم، وكان العمال يعودون إلى قراهم فى أيام الحصاد، ولذا كانت المناجم والمسابك وورش الأكواخ تقفل أبوابها فى فترة الصيف والجزء الأول من الخريف.

٢- انعدم التخصص الوظيفى فى مدينة ما قبل الصناعة، بحيث أنه من النادر أن تتخصص المدينة فى وظيفة واحدة من الوظائف لتستبعد الوظائف الأخرى.

٣- ساد الفكر والأدب بين "صفوة تتمتع بوقت فراغ"، وتعيش أساساً فى المدن، منعزلة عن الطبقات الدنيا، وتسود البناء السياسى والدينى والتعليمى أو توقراطيا.

٤- صغر حجم المدينة: فمدينة ما قبل الصناعة هى بوجه عام صغيرة الحجم، ولئن بلغت بعض هذه المدن حجما كبيرا، إلا أن هذا الحجم يتضاءل بوضوح بالقياس إلى المدن الصناعية الحديثة. ويرجع صغر حجم مدينة ما قبل الصناعة إلى عدة عوامل منها بساطة التكنولوجيا

١- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٨٠.

السائدة التى أثرت بدورها فى عدم توافر فائض الغذاء الذى يسمح بإعاشة الأعداد المتزايدة، وفى عدم تطوير وسائل النقل الملائمة لاتساع حجم المدينة.

٥- نسق العائلة: احتفظت الطبقة العليا فى مدينة ما قبل الصناعة بنسق العائلة الممتدة. وكانت معدلات الخصوبة مرتفعة لانعدام ضوابط النسل ولدواعى التفاخر بين الأسر وبخاصة الغنية بزيادة عدد الأطفال، وقد ارتبط ذلك بالامكانيات الاقتصادية.

٦- التنقل الاجتماعى والفيزيقى المحدود.

التقدم الصناعى

ترتبط معدلات التحضر ببناء العمالة أو البناء المهنى داخل المجتمع. فقد يحدث أن تتحول بعض القرى الكبيرة إلى مدن صغيرة - فى حالات التغير الحضرى السريع - عن طريق إنشاء بعض المصانع وتوفير بعض الخدمات التعليمية والثقافية والحضرية مثل المواصلات والمياه والإنارة وغير ذلك.

إن مبانى القرية التى بناها أصحاب المصانع للعمال حول المناطق الريفية كما حدث فى كينوت Koynete - كانت تتسم بالجمال، وتوفر وسائل الإمداد.

وكانت تجربة روبرت أوين Robert Owen فى لانارك الجديدة New Lanark عام ١٧٨٤، حيث بنى مصنعا عند مساقط كليدfalls of clyde وأقام قرية صناعية طبقا لأفكاره الإصلاحية فى الخدمة الاجتماعية والتعليمية تؤدى إلى تقويم الشخصية. وشجع مشروعه هذا عدداً من أصحاب المصانع على القيام بأعمال متشابهة. فهناك قرية بيس بروك Bessbrook التى بناها

جراب ريتشاردسون Grubb Richardson بالقرب من نيورى Newry، والمنازل الخلوية التى بنتها عائلة سترت Strutt فى بيلبر Belper وديربى Derby[١].

وقد نمت هذه القرى نمواً كبيراً فعند نشأتها كان يسكنها ٤٠% من العمال الذين يعملون فى هذه المصانع، وأنشئت مجالس المدينة والمدارس والمحلات والنوادى والكنائس، وعبدت الطرق[٢].

وكشفت بعض الأبحاث عن أن الدول المتخلفة التى يعمل بها أكثر من ٥٠% من ذكورها بالعمل الزراعى تقدر نسبة سكان المدن بها بحوالى ٩% فقط. أما معدلات التحضر فهى ترتفع داخل الدول الصناعية التى يعمل أغلب سكانها فى مجالات العمل الصناعى والخدمات. ويؤكد ذلك أن نسبة سكان المدن فى البلاد الغير المصنعة تقل عن نسبة سكان المدن فى البلاد المصنعة. والجدول الآتى يبين ذلك:

الجهة	توزيع السكان فى العالم	توزيع سكان المدن فى العالم
آسيا	%٥٣.٢	%٣٣.٨
أوروبا	%١٦.٤	%٢٧.٥
أمريكا الشمالية	%٦.٨	%١٣.٩
الاتحاد السوفيتى	%٨.٢	%١٢.٠٠
أمريكا الجنوبية	%٤.٦	%٥.٨
أفريقيا	%٨.٢	%٣.٧
أمريكا الوسطى	%٢.١	%٢.١
استراليا ونيوزيلنده	%٠.٥	%١.٢
المجموع	%١٠٠	%١٠٠

جدول رقم (٥)[٣] يبين توزيع سكان المدن فى العالم

1- Gordon Cherry, Op. Cit., P. 18.

2- Ibid., P. 23.

٣ - د. عبد المنعم شوقى، المرجع السابق، ص٦١.

ونلاحظ من هذا الجدول أنه رغم أن ١٦.٤% فقط من السكان فى العالم يعيشون فى أوربا، إلا أن ٢٧.٥% من سكان المدن فى العالم يعيشون فيها. وكذلك رغم أن ٥٣.٢% من سكان العالم يعيشون فى آسيا، إلا أن ٣٣.٨% فقط من سكان المدن فى العالم يعيشون فى مدنها. ونستنتج من هذا أن نسبة سكان المدن ترتبط بالتصنيع وتقل بقلته.

ويفسر ذلك أن الصناعة الحديثة تحتاج إلى تجميع عدد كبير من العمال فى مكان واحد داخل عدد من المصانع المتجاورة تعتمد بعضها على بعض، أو التى تعتمد على مصدر واحد للمادة الخام. حيث تتأثر الظواهر الحضرية مباشرة بالتصنيع من حيث: نوعيته، ودرجته، ومجاله، ولا نعنى بالقاعدة الصناعية هنا مجرد توافر صناعة ما، فى نطاق مكان معين، بحيث تؤثر بالضرورة على سكان ذلك المكان اقتصادياً واجتماعياً، وإنما نعنى بتلك القاعدة الصناعية، وجود نظام أو نسق System من الصناعات يكون محوراً أساسياً لحركة السكان من هذه المنطقة وإليها، ومجالاً لممارسة الأنشطة داخل المركز الحضرى وخارجه.

ويختلف هذا عن الصناعة اليدوية التى كانت تقوم فى البيوت وداخل الأكواخ البسيطة، والتى لم تكن تستدعى تركيز عدد كبير من العمال فى منطقة واحدة. وساعد على هذا وجود مصادر الطاقة المحركة كالفحم أو الشلالات فى أمكنة محددة؛ مما استدعى تركيز المصانع فى تلك المناطق وذلك لاعتبارات اقتصادية مختلفة. وبحدوث الانقلاب الصناعى، وفى هذه المرحلة من بناء المدن، أصبح مما لا يطاق بقاء السور الذى بات الآن بلا معنى، وكذلك بقاء الفوضى وسوء النظام، وهو ما اتصفت به المدن فى أواخر العصر الوسطى. وحتى أنه من الناحية العملية أصبحت تساور الناس الظنون بأن الشوارع

المتعرجة، والأزقة المظلمة، تساعد على ارتكاب الجرائم بل أنه فى عام ١٤٧٥ وصف فيرانتى ferrante ملك نابولى الشوارع الضيقة بأنها خطر على الدولة[١].

ومما لاشك فيه فإن نمو الصناعة يؤدى إلى زيادة الحاجة للعمال، وزيادة حجم المدن، وشدة إقبال الناس عليها، ليس للغرض الاقتصادى فحسب، ولكن لما فيها من حرية وفرص ترفيهية وتسهيلات معيشية. ويؤكد هذا المعنى لويس ممفورد[٢] إذ اعتبر المدن الأمريكية تدين فى وجودها إلى حد كبير للثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم صناعى استتبع آثارا واضحة إنسانية ومادية عديدة تمثلت بوضوح فى مدن بترسبورج وسانت لويس وشيكاغو.

ويرتبط التصنيع بالتحضر، من حيث كونه سبباً أساسياً من أسباب عمران المدينة ونموها السريع مساحة وسكانا ووظيفة. فقد ظهرت مبانى جديدة لم تكن معروفة من قبل كالمصانع ومحطات السكك الحديدية. وأدى التصنيع إلى ظهور التباين الوظيفى، ليس فقط فى المنشآت والمبانى، وإنما فى المناطق التى تنقسم إليها المدينة. ويقصد بذلك الفصل بين مناطق سكانية وأخرى صناعية، ويمثل كل منها نوعية وظيفية معينة، وذلك كان نجد مركزاً إدارياً فى منطقة، ومراكز تجارياً فى منطقة أخرى، ومناطق لصناعات خفيفة وأخرى لصناعات ثقيلة، وثالثة للترفيه. وكلما كبرت المدينة حجما زادت هذه الأقسام الفرعية عدداً وتخصصا.

ويؤدى التصنيع إلى رفع الكفاية المالية والإدارية للمناطق الصناعية الحضرية وتتغير الحياة الاجتماعية فيها فتصبح تدريجياً مركبة ذات علاقات

١- لويس ممفورد. المرجع السابق - الجزء الثانى، ص٦٣٨.

٢- د. أحمد النكلاوى. المرجع السابق، ص١٩.

معقدة متشابكة واسعة النطاق، ولكنها غير شخصية وغير متينة، وقائمة فى الأغلب على مبدأ المنفعة الذاتية، ولذلك فهى غير مستديمة، إلا إذا اتخذت شكلاً رسمياً يفرضه القانون[١].

ويعتبر التصنيع من أهم العوامل التى تحدث تغيراً دائباً فى أحوال الناس الاجتماعية التى تتبلور فى شكل مفاهيم وقيم وعادات وأعراف وتقاليد ونظم ومُثُل، تتداخل جميعها فى تكوين الإطار العام الحضرى الكلى الذى يرى فيه الفرد تربية اجتماعية.

وينعكس التصنيع أيضاً بشكل لافت فى ارتفاع مستوى معيشة الفرد فى المدينة، الأمر الذى يجعلها مركز جذب لعدد من المهاجرين الذين يبغون الحصول من الأعمال المنظمة فى مصانعها على أجور محددة توقيتاتها.

العوامل السياسية والحربية:

لعل التنظيمات الإدارية التى صاحبت تطور السيادة الأبوية إلى السيادة القبلية، والعمل على تنسيق العلاقات بين الناس فى المجتمع والسهر على شئون الأمن ووضع مصطلحات للرقابة والضبط الاجتماعى كانت من العوامل الأساسية لظهور المدن. ويؤكد هذا المعنى وليم فورم[٢]: إذ يرى أن بناءات القوة السياسية لعبت دوراً متميزاً فى تشكيل المدن وتحديد بنائها، إذ تختار الحكومات مراكزها عادة فى المدن.

وإذا ما ألقينا نظرة على أى عاصمة من عواصم العالم، فإننا نرى مدى تأثير الحكومة المركزية فيها على نموها. فقد كانت المدينة بمثابة مراكز

١- د. حسن الساعاتى. المرجع السابق، ص ص٦- ٧.

٢- د. السيد عبد العاطى. المرجع السابق، ص١٧٨.

سياسية يناط إليها أداء الوظائف الإدارية والعسكرية، كما كانت الموطن الطبيعي للصفوة الحاكمة، ومن ثم هيمنت على غيرها من المدن الصغرى وبعض المراكز الدينية والتعليمية التي وجدت في ذلك الوقت، واستحوذت بدورها المسيطر على الفائض الاقتصادى للبلاد. وحتى الوظيفة الاقتصادية كانت تعجز من خلال بناء القوة السياسية والعسكرية حيث كان من المتعين على الصفوة الحاكمة أن تستحوذ على القوة العسكرية والاقتصادية والإشراف على المسائل الدينية حتى يمكن أن تحتفظ بالسيطرة والغلبة على عامة الشعب في المجتمع ولتحمى نفسها من أى هجوم خارجى[١].

وفيما مضى كانت هناك مدنا مقرا للسلطة السياسية ومركزا للتجارة. ويتمثل ذلك في مدن امبراطورية نانكنج وبكين في الصين. وكانت مدينة نانكنج تضم داخل أسوارها بقايا مدينة التارتار Tartar الحصينة التي احتلها المغول. وضمت مدينة بكين مدينة الصين ومدينة التارتار Tartar، ولكل منها سورها ودفاعاتها الخاصة[٢] وفي عهد الرومان، كان يحيط المدن أسواراً ضخمة وخنادق وبوابات[٣].

وكان تحديد المدن في العصور الوسطى في أوربا عن طريق مرسوم خاص يصدره الملك، وفي عصر النهضة (١٥م- ١٧م) كانت المدن تقام بأمر من الحاكم، وكنتيجة طبيعية لارتباط المدينة بالحكم الملكى، وليس لتطور طبيعى لها - حيث يتصدر المدينة القصر الملكى الذى يتقدمه ساحة كبيرة تلتقى فيها الطرق الرئيسية للمدينة، وفي الجهة الأخرى من القصر تقع الحدائق

١- نفس المرجع. ص ١٠٠.

2- Park, Robert, Egra, Op. Cit., P. 132.

٣- د. محسن زهران. فلسفة التصميم، ص٤٤٣.

الخاصة به، ومن أشهر المدن التى خططت على هذا الأساس مدينة فرساى بفرنسا، حيث يتصدر القصر الملكى فيها مركز الثقل فى التكوين العام للمدينة باعتباره مركز السلطة السياسية فى ذلك الوقت، ولذلك فهو يتصدر المدينة ويقع على المحور الرئيسى فيها تأكيداً لمكانته - كما أن أبعاد المساحة التى تتقدم القصر نجدها كبيرة إلى الحد الذى يشعر فيه الإنسان بالرهبة وعظمة الحكم فى ذلك الوقت. وتقع خلف القصر الملكى حدائق فرساى الشهيرة بتخطيطها ومسطحاتها الكبيرة.

ولا يخفى علينا مدى تأثير الحكومة فى نمو المدن، ويرجع هذا إلى الأسباب التالية:

١- أن الحكومة تجتذب عدداً كبير من الناس ليعملوا بها.

٢- رغبة الناس فى المعيشة بالقرب من مصادر السلطة، كما يجتذب عواصم الأقاليم والمحافظات عدداً من الناس لنفس الأسباب، ولكن بدرجة أقل، ويزداد تأثير الحكومة على نمو المدن بمرور الوقت، وذلك لازدياد مسئولياتها باستمرار.

٣- يشجع التنظيم السياسى الدراسات العلمية والتخصص الشامل لامكانيات الصناعة، ويزيل الصعوبات التى تعترض سبيلها ويوفر المواد اللازمة للصناعة والأيدى العاملة للصناعات المختلفة. ويدير الاعتمادات المالية اللازمة. كذلك فإن عمليات تأميم الصناعات نقلت الملكية من أقلية متحكمة مستغلة إلى ملكية الشعوب فى إطار القطاع العام، ونشأت مستويات صناعية وتجارية جنباً إلى جنب.

ويمكن الاستعانة بالقوة – السلطة على مستويات مختلفة – المحلى والقومى والعالمى – فقرارات القوة – السلطة لها تأثير واضح على أيكولوجية المدينة وبنائها الاجتماعى. إن الأفراد يستطيعون تحقيق أهدافهم إذا كانوا يمتلكون القوة السياسية الضرورية، فإذا أرادت جماعة ما أن تحول منطقة للمقابر إلى حى تجارى مثلا، أو تحول منطقة سكنية إلى منطقة تجارية ، فلابد وأن تمتلك بادئ ذى بدء القوة الكافية التى تستطيع التغلب بها على أية مقاومة(١).

وتتأثر ايكولوجية المدينة بقرارات القوة على المستوى القومى، ففى مدن جنوب أفريقيا تعددت الأنماط الايكولوجية المحلية نتيجة للقرارات التى أصدرتها الحكومة، حيث أصدرت القوانين التى تحد من حركة السكان الوطنيين داخل المدن وخارجها. وفى اتحاد جنوب أفريقيا أجبرت الحكومة أعداداً كبيرة من السكان الوطنيين فى السنوات الأخيرة على ترك المناطق القريبة من قلب بعض المدن مثل جوهانسبرج، ثم أعيد توطينهم بعد ذلك فى مجتمعات محلية جديدة تبتعد عن أماكن عملهم، وتشير بعض الشواهد إلى أن التخطيط الاجتماعى على المستوى القومى يمكن أن يعكس آثاره على طبيعة المراكز الحضرية ونموها.

ولقرارات القوة / السلطة التى تصدر على مستوى قومى آثار واضحة على البناء الاجتماعى للمجتمعات الحضرية المحلية. وقد يكون حكم المحكمة العليا فى الولايات المتحدة الأمريكية الخاص بالتفرقة العنصرية فى المدارس العامة مثالا على ذلك، فمن الواضح أن مثل هذا الحكم جدير بأن يعدل من

١- د. محمد الجوهرى وآخرون. المرجع السابق، ص٦٢.

البناء الاجتماعى لكثير من المدن. وفى اليابان لجأ كثير من أعضاء الطبقة الحاكمة إلى التحضر باعتباره وسيلة لإظهار اليابان على المسرح الدولى(١).

وتعبر العمارة الحديثة فى العالم الديموقراطى الغربى عن الشخصية الفردية، بينما على العكس من ذلك تقول الديموقراطية الشيوعية أو الروسية "يجب أن يكون أنا فن جماعى، ويتحتم على المثقفين أن يفكروا وينتجوا انتاجاً جماعياً". وكثيراً ما اتبع الروس هذا الأسلوب فى التصميم المعمارى ... يقوم معمارى بعمل تصميم ما، ثم يضيف معمارى آخر إلى التصميم شيئاً، ويجئ ثالث ويمسح جزءاً منه، ويضيف رابع جزءاً آخر. وحينما يعود المشروع إلى المعمارى الأول واضع التصميم بعد هذه الجولة على لوحات الرسم يكون قد فقد المشروع معالمه ويصعب التعرف عليه.

ومما يذكر بخصوص مزاولة مهنة الهندسة المعمارية فى الاتحاد السوفيتى أنه لا توجد مكاتب معمارية حرة لمزاولة المهنة، وكل مهندس معمارى هو موظف فى الدولة. ويعمل المعمارى الروسى مع مجموعة من الفنيين والانشائيين والاقتصاديين كوحدة منظمة تسمى "لواء" تحت رئاسة معمارى أو مهندس مدنى. واللواء هو أصغر وحدة، وكل مجموعة وحدات تشكل "قطاع Sector" ويسند معهد التخطيط الاقتصادى الوطنى Gosplen كل عام إلى كل قطاع جزء من مشروع خطة الإنتاج. ويقوم كل قطاع بتوزيع هذا المشروع على كل "وحدة" للقيام بدراسته، وأحسن تصميم هو الذى يجرى العمل به. وبعد اعتماد المشروع من رئيس القطاع يرفع إلى المجلس الأعلى الفنى السوفيتى ثم إلى المسئولين المحليين فى المنطقة.

١- نفس المرجع، ص ص٦٨- ٦٩.

وتـأثرت بـرامج التحضـر والتصـنيع تـأثراً واضـحاً بـالقوة التـى تمارسـها الحكومـة، فقد سعت القيادات السوفيتية إلـى تحطيم الأسلوب التقليدى للحياة الذى يمارسه الفلاحون، وذلك كوسيلة لاندماجهم فى مجتمع يسوده التصنيع والتحضر. ولقد مكن تجميع المزارع من إدخال التصنيع فى الزراعة مما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من الفلاحين الذين لم تعد المزارع فى حاجة إليهم إلى المراكز الحضرية.

وتخلص الاتحاد السوفيتى من المنـاطق الصناعية التـى كانـت تحيط بالمبانى السكنية فى المدن القديمة ، وجعلوها فى مناطق بعيدة عن مشروعات التعمير والإسكان.

ومـن منطلـق الحكـم الاشـتراكى أنشـئت المراكـز الصـحية، والمصـحات العلاجية للعمال، ومساكن السوفييت، وفيلات أو قصور لطليعة رجال الجيش من الشباب، ونماذج جديدة لوحدات التجمعات السكنية التى تتواءم مع تطور التجمع المقفل أو المحدود، والمراكز الثقافية والتعليمية فـى المدن والقرى - المدرسة والنادى - إلـى غير ذلك مـن المبـانى التـى تخدم الشعب وتحقق احتياجاته، وكان هذا لأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى (سابقاً) يتم إنشاء مثل هذه النماذج من الأبنية العامة.

وأوجدت ثورة أكتوبر الاشتراكية السوفيتية الوسائل والطرق التـى أمكن اتمامها بواسطتها، وهى قومية الأرض، ونهاية الملكية الفردية، وتعميم الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وأسلوب العمل الجماعى، والى غير ذلك من المفاهيم الإشتراكية[١].

١- توفيق أحمد عبد الجواد. المرجع السابق، ص ص٢٢٥- ٢٢٨.

ومن الناحية الحربية والاستراتيجية، فإن النزاع على الحدود وغارات الجماعات البدوية في المراحل الأولى لتكوين المدن كانت من العوامل التي ساعدت على نزوح عدد كبير من السكان إلى المدن وبالتالي أدت إلى نموها وكانت جماعات البدو تُغير أحياناً على المدن مستهدفة بذلك السلب والنهب. وفي أحيان أخرى استقرت الجماعات الغازية في المدينة وفرضت نظامها العسكري على النظام الاجتماعي القائم. ومن المحتمل أن المدن في مراحلها الأولى قد ظهرت على شكل جماعات بدوية قوية استقرت بجوار القرى الزراعية، وقامت بالإغارة عليها والسطو على منتجاتها(١).

كان السومريون في حالة حرب مستمرة. وكانت الأسوار الضخمة أهم ما يميز مدنهم. وأقيمت هذه الأسوار من أجل الدفاع عنها، ومن أجل حمايتها من الفيضانات، ولكنها كانت تمثل عائقاً يحول دون توسع المدن خارج حدودها وإذا ما احتاجت المدينة إلى التوسع، حطم السكان جزءاً من السور، ثم يعاد بناؤه على مسافة أكثر بعداً(٢).

وهكذا ظهرت منذ قديم الزمن الأهمية الحربية لكثير من المدن ولذلك تحاول الدول المختلفة مع تطور فنون القتال وأساليب الحرب أن تجد المناطق الاستراتيجية التي يمكن اتخاذها قواعد عسكرية ومستودعات للذخيرة، وأن توفر وسائل الحماية العسكرية من أدوات تحطيم ودفاع، ونعني بها السور وجيش المواطنين، مما يكفل للمدن أسباباً جديدة للإقبال عليها كأماكن للإقامة والعمل في أمان.

1- Hadden, Jeffrery K. and Barton, Joteph J, (Eds), Op. Cit., P. 27.

2- Barbara Habenstreit, Op. Cit., P. 25.

ففى العهد اليونانى القديم، حطم الإسكندر كثيراً من المدن التى غزاها ومع ذلك فقد اشتهر بوضع خطط لبناء أكثر من سبعين مدينة جديدة فى أوربا وآسيا وأفريقيا. وكانت مدينة الإسكندرية التى بناها عام ٣٣١ق. م أكثرها فخامة. وقد توخى من إنشائها ثلاثة أهداف. أحدهما إنشاء مدينة أفريقية تكون مصدرا لإشعاع الحضارة الإغريقية بين ربوع مصر، وثانيها: أن تخلف هذه المدينة صور فى العالم التجارى. وثالثها: إقامة قاعدة بحرية تدعم سيطرته على بحر ايجه فى شرق البحر المتوسط. وسرعان ما غدت الاسكندرية أكبر مدينة أغريقية فى العالم تفوق فى اتساعها أكبر المدن الإغريقية القديمة.

ويرجح أن بطليموس الأول هو الذى خطى حوالى ٢٩٠ ق.م الخطوة الأولى فى سبيل إنشاء دار العلم والمكتبة. ومن ثم أخذ يدعو إلى الإسكندرية الكثير من فحول الشعراء الإغريق وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم وفنانيهم(١).

وأنشأ الغزاة الرومان فى جهات متعددة من مصر عمائر مدنية متعددة الأنواع. كالبوابات والأقواس والمسارح والجيمنازيا والحمامات العامة. وتبين من بقايا المنشآت التى كشفت عنها أنها كانت وفقاً للطراز الرومانى فى تخطيطها وعمارتها وزخرفتها، وأن الطراز الرومانى فى مصر كان شأنه فى روما وباقى أنحاء العالم الرومانى يميل إلى استخدام الأعمدة الكورنثية. وعلى حين كانت المنازل تبنى عادة من اللبن كانت المنشآت العامة تبنى من الأحجار، وكثيراً ما استخدم فيها ولاسيما فى الإسكندرية الرخام المستورد من الخارج(٢).

١- أمين الخولى وآخرون. تاريخ الحضارة المصرية – العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى – المجلد الثانى، ص٨٢.

٢- نفس المرجع، ص١٩٤.

وهكذا ظهرت من قديم الزمن الأهمية الحربية لكثير من المدن مثل (تروادة) (قرطاجة) (صيدا) (صور) (أنطاكية). وفى العصر الإسلامى وجدنا (حطين) (عين جالوت). وقد أدرك نابليون فى حروبه أهمية جبل طارق واستراتيجية مدينة (عكا).

وحتى بداية القرن العشرين، أقيمت المدن فى ضوء وجهة نظر الدفاعات العسكرية فكانت حدود المدينة محددة وتحيطها الأسوار، وتؤدى الشوارع إلى مركزها[١].

وقد أفضى فن التحصين إلى تحويل الاهتمام فى البناء من فن العمارة إلى فن الهندسة، ومن التصميم المتسم بالصفات الجمالية إلى التقديرات المادية للوزن والعدد والموقع، إذ قد تبين للمهندسين العسكريين نتيجة تجارب قليلة أن نار المدافع ذات القذائف يمكن مقاومتها على وجه أفضل، ليس بالحجر أو الأجر، وإنما بمادة لينة مثل التراب، ومن ثم كان للتحصينات الخارجية شأن أكبر من المتاريس والأبراج والخنادق التقليدية[٢].

وقد أثرت كل من الحربين العالميتين الأولى والثانية أكبر الأثر فى التطور المعمارى والاقتصادى فى جميع أنحاء العالم. وعقدت عدة مؤتمرات عالمية لدراسة الاتجاهات الجديدة لتطوير تصميمات العديد من الأبنية العامة الثقافية والصحية والاجتماعية، والمساكن المجمعة، وعلاقة التكوين الأفقى والرأسى بتخطيط وتنظيم المدن، وكذلك تطوير المبانى لتتمشى مع التطور الإنشائى والتطور الصناعى فى العصر الحديث، وخاصة فى مجال تصنيع مواد البناء وطرق الإنشاء المستحدثة.

1- Le, Corbusier, The city of To - morrow and Its Meaning, P. 97.

٢- توفيق أحمد عبد الجواد. المرجع السابق – الجزء الثانى، ص٧١.

واصطنعت دراسات نسجل منها على سبيل المثال مشروع مدينة المستقبل للمهندس الإيطالى أنطونيو سانت ايليا Antontio Saint Elia عام ١٩١٣، تلك المجموعة السكنية للتدرج الإنشائى للمساكن المجمعة ذات الحدائق المعلقة، ومنها مشروع عمارات باريس الهرمية المدرجة للمهندس المعمارى أدولب لوس Adolb Loos ومشروعات المجموعة السكنية فى برودرو والجزائر للمهندس المعمارى لوكوربوزييه سنة ١٩٣٠. وظهرت العديد من المشروعات للمجموعات السكنية ذات التجميع الأفقى والرأسى والمتراص، تهدف إلى حل مشاكل التعمير بأسلوب علمى صحى يلائم البيئة والطبيعة والمجتمع ووضع ميزفان دوروه مشروع البرج السكنى ذات الحوائط الخارجية الزجاجية فى برلين سنة ١٩٢١، ومشروع مجموعة أبراج سان مارك بشيكاغو سنة ١٩٣٠ تصميم فرانك لويدرايت، ومشروع أبراج الجزائر السكنية سنة ١٩٣١ تصميم لو كوربوزييه.

وفضلا عن أن جميع هذه الدراسات والمشروعات والمحاولات الجزئية كانت تهدف إلى حل مشاكل التعمير والتطور المعمارى فإنها أضافت إلى ذلك نظريات إنشائية جديدة فى الخرسانة المسلحة ونظريات معمارية فى التصميم المعمارى وخاصة فيما يتعلق بالإسقاط الحر ومرونة المساقط والطوابق المفرغة وكاسرات الشمس والحوائط الساترة وغير ذلك من النظريات المعمارية والإنشائية التى تتعلق بمواد البناء وطرق الإنشاء.

العوامل الثقافية :

وتشمل الظروف السائدة للفنون، والاتجاهات الأخلاقية والبعد التاريخى والعقيدة والمحرمات والمقدسات والنمو التكنولوجى الذى يؤثر فى توزيع السكان

والخدمات. وهى تلعب دوراً كبيراً فى ظهور المدن. فقد عملت ثقافة الإنسان على خلق المدن، وتغير الشكل الفيزيقى للمدينة بفضل العامل الثقافى. ونمت المدن بفضل التراكمات الثقافية.

هذا ومن الممكن أن نتعرف على خصائص ثقافة أو حضارة معينة بما تتركه من آثار. لكن هذا لا يفى بالغرض، فالمدينة ليست مجرد قصر أو معبد، أو سجل لموضوعات فنية، إنها كل الناس الذين يسكنونها، ومساكنهم ومحلاتهم وشوارعهم ومتاجرهم. كما لا تقاس الحضارة بما تقدمه من اختراعات فقط، وإنما تقاس كذلك بمدى انتفاع الناس بهذه الخدمات.

فقد انتشرت الحضارات الأولى عبر الأودية فى النيل، والدجلة والفرات وأنهار السند والكنج حيث يتوفر الماء والطعام. وقامت سلسلة من الامبراطوريات أسهمت كل منها فى نمو العالم المتمدن وساد هذه الحضارات سممة عامة مشتركة هى عبادة أفراد الشعب للطبقة الحاكمة. فقد كان أفراد الشعب ينحنون أمام الملك الحاكم بصفته الها. وكانت جميع ممتلكات المملكة، والأرض ومنافعها فى حوزة الملك الحاكم(١).

أما المدن الأغريقية City - State فقد ظهرت فيها طبقة من الأغنياء أصحاب الأرض الذين استحوذوا على السلطة. وتميزت الحياة الاجتماعية فيها بالاهتمام بالنواحى الدنيوية كالرياضة والفلسفة إلى جانب الاهتمام بالنواحى الدينية والسياسية مما أوجب معه أن تكون للمدينة منطقة يجرى فيها النشاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للسكان، هذه المنطقة تسمى الاجورا

1- Arthur B. Gallion & Simons Eisner, the Urban Pattern city. Planning and Design. P. 5.

Agora وهى تمثل مركز المدينة الأغريقية وكانت الأنشطة الرياضية تجرى فى الجيمنازيوم، وفى المسرح تقام حفلات الدراما والأعياد. وخطط حول الأجور والمحلات وأكشاك السوق.

وبلغ عند سكان اثينا فى القرن الرابع والخامس قبل الميلاد ٤٠.٠٠٠ نسمة أما جميع السكان بما فى ذلك العبيد والأجانب فيتراوح عددهم ما بين ١٠٠.٠٠٠- ١٥٠.٠٠٠ نسمة(١).

وأقيم كثير من المدن الأوربية مثل باريس على أساس أنها تطورت داخل أسوار استبدلت بحدائق وأشجار، كما اشتهرت مدن أوربا بنشاط ثقافى ملحوظ، وكان هذا النساط سببا فى تقدم واتساع هذه المدن، مثل اكسفورد وكامبردج. كما أن كثيرا من المدن ازدهرت فى القرون الوسطى لشهرتها الثقافية مثل روما وفلورنسا وجنوه والبندقية والقسطنطينية. وكان السبب الجوهرى لإنشاء المتحف وهو أكبر منظمات الحاضرة دلالة على تاريخ المدينة. فهو علم على حياتها المثالية، شأنه فى ذلك شأن الجيمنازيوم فى المدينة الهيلينية أو المستشفى فى العصور الوسطى.

وأدت الحياة الحضرية إلى قيام كثير من المدن تتحدد وظيفتها الأساسية على أنها مدن للترفيه والترويج، وهى مدن تتمتع فى الغالب بنواحى جمالية معينة، فمنها المشاتى والمصايف والمشافى، ومن أمثلة هذه المدن كابرى فى ايطاليا وحلوان فى مصر(٢).

1- Ibid, P. 18.

٢- د. أحمد كمال، د. كرم حبيب برسوم. علم الاجتماع الحضرى - دراسة بنائية وظيفية المجتمع الحضرى، ص٨١.

ومن الطبيعي أن يتعرض الوافد الجديد إلى النمط الحضري، لمجموعة من الرموز السطحية في شكلها، ذات المضمون في جوهرها والتي تختلف في معظم الأحيان مع نسق القيم الذي كان يتعامل من خلال الفرد في المجتمع الذي نزح منه.

ويرجع تاريخ كثير من المدن إلى جوانب عقائدية ودينية. إذ ما نكاد نعثر على أثر الإنسان سواء في نار مخيماته الأولى، أو في أداة هيأها من الحجر، حتى نجد دلائل على مصالح ومخاوف لا نظير لها في عالم الحيوان، وبخاصة شدة الاهتمام بالموتى، ويتبين ذلك من العناية بدفنهم، عناية تقوم الشواهد على أنها كانت مقرونة بشعور متزايد من الإجلال الناشئ عن الخوف والرهبة.

ففي العصر الحجري القديم كان الموتى أول من ظفر بمأوى ثابت في كهف، أو تحت كوم تميزه مجموعة من الركام، أو في قبر مشترك تحت نشز من الأرض. ولعل الأحياء كانوا يعودون إلى هذه المعالم من حين لآخر لمفاجأة أرواح أسلافهم واسترضائها. وعلى الرغم من أنه لم يكن من شأن الصيد والبحث عن الطعام تشجيع الإقامة الدائمة في مكان واحد، فإن الموتى كانوا أصحاب الفضل في ذلك. والثابت أن مدينة الأموات سبقت مدينة الأحياء في الوجود. وفي الواقع تعتبر مدينة الأموات من ناحية معينة النواة التي نشأت عنها مدينة للأحياء[1].

وفي مرحلة لاحقة، وبظهور الزراعة، وفائض الإنتاج الزراعي، كان رجال الدين أول من انفصل عن العمل الزراعي، وكرسوا كل وقتهم في الممارسات

١- ممفورد (لويس). المرجع السابق - الجزء الأول، ص٩.

الدينية. ويتجلى هذا عند السومارييين الذين كانوا يتسمون بالتدين، وتركزت قراهم حول المعابد الكبرى، واعتقدوا أن آلهتهم فى حاجة إلى أماكن أخرى يستقرون فيها.

وشغلت هذه القبور والمعابد المكان الرئيسى فى القرية. ويبدو ذلك فى العراق القديم، وفى بريطانيا فى العصر الحديث، وكانت هذه المقابر والمعابد مركزا للنشاطات والاحتفالات فى القرية[١]. وهى معابد كانت صغيرة، ثم كبرت واتسعت مع ظهور القرى وعلى مر الزمن صارت مبانى مزخرفة. وتميزت كل قرية بأبراج معابدها. وتوسعت القرى حول المعابد. وانتقل ولاء السومارييين تدريجيا من الولاء للأسرة إلى الولاء للمعبد.

وتركزت جميع النشاطات الدينية والاجتماعية والعقلانية فى المعابد تحت إشراف رجال الدين الذين كانوا يقومون بضبط الشعائر الدينية. ثم أخذ رجال الدين على عاتقهم القيام بأداء أعمال غير دينية كإدارة وتوزيع الطعام. وخزنوا الغلال والطعام فى المعابد، حتى يجد الشعب طعاما وقت الأزمات. وقام رجال الدين بعمل حسابات هذه المخازن، وظهرت الكتابة على ألواح من الطين فى معابد السومارييين.

وعند نهاية الألف سنة الرابعة قبل الميلاد، نمت المدن towns حول المعابد وتحولت إلى ما نطلق عليه مدنا Cities. واتسمت هذه المدن بكبر حجمها. وظهرت فئات أخرى فى المجتمع مثل رجال الدين، وعمال المعابد، وموظفى الحكومة والمهندسين كما ظهر التقسيم الطبقى[٢].

1- Gordon, Chikde, The Urban Revolution in Thelma Baker S. (Ed). The Urbanization of Man, A Social Science Perspective, P. 131.

2- Barbara, Habenstreit, Op. Cit., PP. 20-22.

وكان الأغريق يقولون أن الموقد علَّم الإنسان أن يبنى المنازل. والواقع أن الرجل الذى أثبتته ديانته فى مكان ما يعتقد أنه يتحتم عليه ألا يفارقه قط، وسرعان ما فكر فى إقامة بناء ثابت فى ذلك المكان. فالخيمة توافق البدوى، أما الأسرة التى لها موقد منزلى فلابد لها من مسكن باق. وسرعان ما حل المنزل المبنى من الحجر محل الكوخ المبنى من الطين أو الخشب. أنهم لم يبنوا لحياة رجل فحسب بل للأسرة التى كان لابد أن تتعاقب أجيالها فى نفس المسكن.

وكان المنزل دائما بداخل السور المقدس، فعند الإغريق كانوا يقسمون المربع الذى يحيط به هذا السور إلى قسمين: فالقسم الأول هو الفناء، والمنزل يحتل القسم الثانى. وبذلك يكون الموقد، الموضوع فى وسط الحيز الذى يحيطه السور الشامل للجميع فى نهاية الفناء وبالقرب من مدخل المنزل. وقامت الجدران حول الموقد لتعزله وتحميه. ويمكن القول – كما كان الإغريق يقولون – أن الديانة علَّمت الإنسان بناء المنزل[1].

وبالإضافة إلى موقد المنزل، كان هناك مذبح المدينة. وهو محصور داخل سور مبنى كان يسميه الأغريق برينانيون Prytanee ويطلق عليه الرومان معبد فستا، ولم يكن فى البلدة شىء أقدس من هذا المذبح الذى يعنى فيه بالنار المقدسة دائما. حقا أن هذا التبجيل الكبير قد ضعف فى وقت مبكر فى بلاد الأغريق، إذ أن الخيال الأغريقى قد استمالته معابد أكثر جمالاً، وأساطير أكثر خصباً، وتماثيل أكثر بهاء. لكنه لم يضعف قط فى روما. فإن الرومان لم ينفكوا عن الاعتقاد بأن مصير المدينة مرتبط بهذا الموقد الذى كان يمثل آلهتها[*].

١- (فوستيل دى) كولانج. المدينة العتيقة، ص٨٢.

* نفس المرجع، ص ص١٩٤ - ١٩٥.

ويؤكد هذا أن ما يطالع المسافر، حين يشرف على مدينة أغفريقية أو رومانية، صف من القبور وشواهدها على جانبي الطرق المؤدية إلى المدينة. وكان لعقيدة البعث وتخليد الحكام في مصر - باعتبارهم آلهة أو من نسل الآلهة - أثره الكبير في الحياة الاجتماعية، فانعكس هذا على بناء الأهرامات والمقابر والمعابد الدينية والجنائزية.

وهكذا كانت البذرة الأولى للمدينة في مكان الاجتماع لإقامة الطقوس، فقد كان هذا الاجتماع بمثابة كعبة يحج إليها الناس، أي المكان الذي يجتذب إليه مجموعات من الأسرات والعشائر في فترات موسمية، لتركز قوى روحانية معينة، أو قوى خارقة للعادة لها قدرة أكبر ومدى أطول ودلالة كونية أوسع وأشد مما يحدث في الحياة العادية.

وحين أصبحت المسيحية شرعية في روما تحت حكم قسطنطين لم يكن للمسيحيين كنائس، وكانوا يعقدون مقابلاتهم في المنازل. ولما أصبحوا أحراراً في بناء الكنائس، واجهوا مشكلة عدم جواز إقامة الشعائر الدينية في معابد الأصنام القائمة التي لم تصمم لإقامة الشعائر الدينية المسيحية. ولهذا قاموا بتشييد الكنائس، وأقيم المحراب. وخصص مكان يجلس فيه القاضي، كما خصصت أماكن واسعة يتجمع فيها الناس بين الحوائط. ثم توسعت الكنيسة يمين ويسار المحراب. ومازالت كنائس الحج الأربعة في روما تحمل اسم المحاكم الرومانية[1].

وتبعا لازدياد استجابة الشعوب المتبربرة في شمال ووسط أوربا إلى المسيحية اتسع نطاق الدور الذي كان تقوم به الكنيسة، كذلك فإن ازدياد ما

1- Aubrey, Menen, cities in the Sand, PP. 97– 98.

كان للكنيسة من قوة اقتصادية - بوصفها مالكة للأرض التى فى حوزتها، عن طريق الشراء أو الهبات الدينية أكسب الكنيسة مكانة اضطر الملوك أنفسهم إلى احترامها، وتولت طوائف الرهبان قيادة حركة التقدم الحضرى بأكملها، إذ كانوا يوفرون ملاذا للاجئين، ومأوى مضيافا للمسافر المنهوك القوى، ويشيدون القناطر ويقيمون الأسواق. وهكذا ظهرت مدن أساسها الكهنة ورجال الدين.

وفى عهد أوتو الثانى (٩٥٥- ٩٨٣) رخص للأرملة (إيما Imma)، وكانت تقوم بإنشاء دير فى كيرنتين Karenten، بإقامة سوق ودار لسك النقود، وبأن تجبى الضرائب عنها، وهى شروط مطابقة لما كان يرد بعد ذلك بأمد طويل فى المراسيم الخاصة بالمدن الجديدة.

وفى لومارديا، حينما كانت توجد مدن قائمة من قبل، كانت كل أملاك البلديات القديمة ومتعلقاتها، وكذلك حقوق الحكم والقضاء تنتقل بصفة آلية إلى الأسقفية، وكان أسقفها يباشر فعلا السلطات القديمة لمدير البلدية، وقد تمت مثل هذه المنحة فى مودينا فى سنة ٨٩٢، وفى برجامو سنة ٩٠٤. وأن الكنيسة التى كان لها الأولية فى توفير الأمان والنظام، لم تقبل إلا على مضض أن تنزل بدورها عن مهامها البلدية إلى نقابات التجار وأرباب الحرف.

وقامت طوائف الرهبان باستصلاح الأراضى وإزالة الغابات، كذلك فإن البرنامج الضخم للبناء الذى خلع على أوربا "رداء أبيض من الكنائس" كانت عوامل ساعدت على إنشاء المدن(١).

وكانت الكنائس بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية هى الجماعة القومية العامة الوحيدة التى بقيت فى غرب أوربا. وكان الانتظام فى سلك هذه الجماعة

١- (لويس) ممفورد. المرجع السابق - الجزء الثانى، ص ص٤٦٠- ٤٦٢.

اختياريا من الوجهة النظرية، واجباريا من الوجهة العملية فإن الحرمان من غفرانها كان عقابا بلغ من صرامته أنه فى القرن السادس عشر ، كانت الملوك أنفسهم يرتعدون أمام التهديد بالحرمان من غفران الكنيسة. ولقد كان وجود الكنيسة باديا العيان فى كل مجتمع، من أصغر القرى بكنسيتها المحلية إلى أعظم المدن بكاتدرائيتها وكنائسها العديدة وأديرتها ومزاراتها، وكانت أبراجها أول ما يراه المسافر عند الأفق، وكان صليبها آخر رمز تقع عليه من يفارق الحياة[١].

ومن ناحية أخرى فقد قامت الكنائس ببناء المستشفيات على نطاق واسع للعناية بالمرضى والمعتلين، ولم تعد المصحة تقام بمعزل عن المدينة ويقتصر على خدمة من يملكون وسائل السفر ، بل مكاناً فى قلب المدينة وفى متناول اليد، مفتوح الأبواب لكل من كان فى حاجة إليه، تحت إشراف رجال ونساء على استعداد القيام بكل الخدمات الكريهة مما تتطلبه حالات المرضى والجروح والعمليات الجراحية. وكان المستشفى وجناح العزل كلاهما مستمدين رأساً من الدير ، وقد وفد معهما نوع من كرم الضيافة كان أعم من ذلك، ويلقاه الأصحاء المحتاجون إلى الطعام وقضاء ليلة مريحة.

وكانت تهيئة الملاجئ كذلك من أعمال البلدية فى العصور الوسطى لأن العناية بالفقراء والمعدمين كانت من واجبات الإحسان فى المسيحية. ولأول مرة انتشرت منشآت للعناية بالطاعنين فى السن فى مدينة أواخر العصور الوسطى، وكانت أحياناً كشأنها فى بروج وأمستردام وأوجسبرج، تؤلف وحدات صغيرة متجاورة لها حدائقها المشتركة وكنيستها، وهى مازالت إلى اليوم الحاضر من مراكز المدينة التى تلفت النظر بجمالها[٢].

١- نفس المرجع، ص٤٨٢.

٢- نفس المرجع، ص ص٤٨٥- ٤٨٦.

ومن أظهر المعالم المعمارية فى العصور الوسطى المسيحية استعمال الأقبية للتسقيف مع تغطيتها من الخارج بالقرميد مباشرة ووقايتها من الداخل بسقف خشبى[١].

وكانت مكونات مركز المدينة الأوربية فى العصور الوسطى هى:

١- مبنى الكنيسة الكاتدرائية.

٢- ميدان أو ساحة الكنيسة.

٣- السوق.

٤- مبنى البلدية.

ومن أهم وأشهر أعمال القرن العشرين الكنيسة - كاتدرائية ليفربول، تصميم سيرج سكوت، والتى بدأ فى انشائها سنة ١٩٠٣. وتعتبر المبنى الوحيد الذى أنشئ بطراز قوطى للعقيدة البروتستانتية. ومن الجدير بالذكر أن هذه الكاتدرائية كانت لم تستكمل بعد مبانيها حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩. ورغم سقوط القنابل الألمانية بالقرب منها، ورغم قنبلة مباشرة أصابتها، فاخترقت أحد قبابها، إلا أنها ظلت رابضة كالجبل الشامخ ولم تتأثر مبانيها ولم تصب بسوء[٢].

وظهر الإسلام - وكان منزل سيدنا "محمد عليه الصلاة والسلام" بالمدينة عند هجرته من مكة عبارة عن فناء سماوى مربع ضلعه ٥٥ مترا محاطا بسور ارتفاعه حوالى الثلاثة أمتار، جزؤه الأسفل من الدبش، وباقى ارتفاعه من الآجر، وإلى جنوبه الشرقى حجرات السكن[٣].

١- محمد خليل نايل، محمد أمين عبد القادر. تاريخ فن العمارة - الجزء الثانى. ص ص٩٢- ٩٣.

٢- توفيق أحمد عبد الجواد. المرجع السابق، ص١٣٥.

٣- محمد خليل نايل، ومحمد أمين عبد القادر. المرجع السابق، ص٢٧٧.

واحتل العرب مكانة الإمبراطورية الرومانية فى العلم، ومن حيث قيادة التجارة والصناعة، وامتدت امبراطوريتهم امتداداً كبيراً واتسمت الحضرية الإسلامية العربية بانتقال مركز الثقل الحضرى من الساحل صوب الداخل ويرجع ذلك إلى أن العرب المسلمين كانوا أكثر التصاقا بالصحراء وتجارتها، كما أن اتجاههم صوب البحر فى القرون الأولى من الإسلام يشوبه التردد وعدم الجرأة. ولذلك فضلوا أن تكون مراكزهم الحضرية بعيدة عن البحر وقريبة من الطرق البرية التى تربطها بشبه الجزيرة العربية أو مركز السلطة العربى. ومن ثم ظهر عدد من المدن الكبيرة مثل بغداد والنجف وكربلاء ودمشق والقاهرة. وكانت كلها مركزا للدين والحكم والتجارة والصناعة وللجيش فى نفس الوقت.

فعلى أثر استيلاء العرب على بيت المقدس فى سنة (١٧هـ- ٦٣٨م)، اتجه عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لفتح مصر (١٨هـ- ٦٣٩م)، وفى سنة ٢١هـ بنى عمرو لنفسه منزلا بالفسطاط عاصمة مصر، كما بنى أول مسجد بمصر وهو جامع عمرو بن العاص[١].

وكان موقع الفسطاط يجمع بين مزايا عديدة، فمن جهة يمكن الاتصال منه مباشرة بالمدينة مركز الخلافة الإسلامية فى الحجاز عن طريق الصحراء التى اعتاد العرب سلوكها. وفى موقع بابليون كان فى استطاعة المسلمين أن يؤسسوا مدينة جديدة حسب تقاليدهم الإسلامية على نمط ما سارت عليه جيوشهم قبل ذلك فى العراق حين أسسوا مدينة البصرة ومدينة الكوفة. ومن جهة أخرى كان الموقع الجديد يمتاز بحصانة طبيعية، إذ تحميه التلال من الشرق، ويحميه من الغرب خندق مائى طبيعى هو: نهر النيل الذى كان فى

١- د. كمال الدين سامح. العمارة الإسلامية فى مصر، ص٢٧.

الوقت نفسه يصل بين الشمال والجنوب. ومن المحتمل أن عمرو بن العاص حين سمح لبني وهدان ومن والاهم أن يقيموا على الضفة الغربية من النيل حيث بنى لهم حصنا في الجيزة يعتصمون به عند الخطر كان يهدف من وراء ذلك زيادة تأمين هذا الجانب لمدينة الفسطاط. ولذلك لم يبق للفسطاط غير جانب واحد مفتوح هو الجانب الشمالي. ولم يهتم عمرو بتحصين هذا الجانب وربما كان السبب في ذلك أن عمرو لم يخشى تعرضه للأخطار من هذا الجانب نظرا إلى أن الطريق إليه يمر بأقطار يحكمها العرب، أي أنها كانت مصدر الأمان للفسطاط وطريق الإمدادات إليها، كما أن هذا الجانب كان المجال الطبيعي لامتداد المدينة ونموها فيما بعد.

وكان جامع عمرو بن العاص حين أسس يقع على شاطئ النيل في منطقة بها أشجار وكروم، وكان يشغل مساحة طولها خمسة وعشرون مترا وعرضها خمسة عشر. ومن المرجح ان دور الفسطاط كانت متسعة وكانت مشيدة بالطوب، غير أن بعضها كان مبنية بالحجارة، وربما استخدم اللبن أو الطين أحيانا ولا سيما في الأطراف. وكان للفسطاط ميادين وأسواق، كما أسس بها مصانع مختلفة، وكان بها عدد من المساجد والحمامات، كما كان لها ميناء على النيل زادت أهميته بعد أن حفر عمرو الخليج الذي يصل النيل بالبحر الأحمر عند القلزم أو السويس[١].

واتسعت مدينة الفسطاط في أيام الدولة الأموية، وأخذ العمران في الازدياد، وبقيت مقرا للأمراء الذين بعث بهم الأمويون إلى مصر.

وفي العصر الفاطمي – أسس الفاطميون مدينة المهدية في تونس عام ٩١٥م. وفي عام ٣٥٨هـ (٩٦٩م) أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي جيشا

---

١ د. حسن الباشا وآخرون. القاهرة – تاريخها – فنونها – أثرها، ص ص١٦ - ١٧.

على رأسه قائده جوهر الصقلى من مدينة القيروان لفتح مصر، فوصل الجيزة وعبر النيل وسلمت الفسطاط، ثم اختط جوهر مدينة القاهرة. وكان تخطيطها على شكل مربع تقريبا يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية. وأصبحت القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية التى امتدت من المغرب إلى الشام وحكمت الحجاز يوما ما. وكان بسور القاهرة عدة أبواب لم يبق منها الآن سوى أبواب النصر والفتوح بالشمال، وباب زويلة فى الجنوب، وهى تمثل العمارة الحربية فى العصر الفاطمى، كما تعبر عن الهيبة والعظمة لذلك العصر. ومن أهم الآثار الفاطمية فى مصر الجامع الأزهر، وجامع الحاكم، وأضرحة السبع بنات، وجامع الجيوشى، وجامع الأقمر، ومشهد السيدة رقية، ومسجد الصالح طلائع[١].

وفى نهاية الدول الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية بدأ يظهر الخط النسخ على جدران العمائر، ثم ظهر الخط الكوفى المربع وخطط المسلمون المدن .. وعبَّدوا الطرق وشقوا القنوات وشيدوا القناطر وأقاموا المساكن.

وفى العصر الأيوبى (٥٦٧- ٦٤٨م) (١١٧١- ١٢٥٠م) ازدهرت العمارة الإسلامية. فقد ظهرت المدارس الإسلامية، وازدهرت العمارة الحربية ولاسيما القلاع والأسوار، كما كان هذا العصر بداية لظهور الخط النسخى على العمائر وغيرها من التحف، واتخذ أساساً للنصوص التاريخية واستغل الخط الكوفى بجانبه للآيات القرآنية. ومن مميزات العصر الأيوبى فى العمارة تطور المئذنة التى أخذت شكلاً خاصاً يعرف "بالمنجرة"، كما ظهر بناء الخوانق لإقامة الصوفية.

١- د. كمال الدين سامح. المرجع السابق، ص ص٤٥- ٥٠.

ومن أهم العمائر التى تنسب للعصر الأيوبى مدرسة وضريح الصالح نجم الدين أيوب، وتتكون المدرسة من جزئين رئيسيين يفصلهما ممر وتعلو مدخله مئذنة، كما أن كل جزء يتكون من ايوانين متقابلين بينهما فناء، وملحق بالمدرسة ضريح بجوار الإيوان الغربى، وتعلوه قبه من الطوب وحوائط الضريح من الحجر. وطريقة تحول القبة من المربع إلى الدائرة استخدمت فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات[١].

وكانت واجهات المبانى المطلة على الشارع تمتاز بالزخارف الحجرية الموجودة فى النوافذ وبأعتابها وكذلك فوق المداخل وفى الحنايا المعقودة وفى الصنجات المزررة وفى أشرطة الكتابة التى تمثل دقة صناعة الحفر على الحجر، ومن الداخل تمتاز بتكسية الجدران بالرخام الملون. ويرجع انشاء القبة إلى زوجة الصالح نجم الدين أيوب، وهى ملكة مصر شجرة الدر فى سنة ١٢٤٩م. ومن أمثلة العمارة الأيوبية قبة الإمام الشافعى، وقبة الخلفاء العباسيين خلف المشهد النفيسى وقبة شجرة الدر.

وفى عصر المماليك (١٢٥٠- ١٥١٦م) زادت الرغبة فى تشييد عدد كبير من الأبنية من جوامع ومدارس وأضرحة ووكالات وأسبلة، كما ذاع بناء المدافن الكبيرة فى عصر المماليك، ولعل أبدعتها مدفن وخانقاه برقوق ومدفن قايتباى ومدفن بارسباى بصحراء المماليك (الصحراء الشرقية فى القاهرة).

وزادت العناية فى هذا العصر بواجهات المساجد وذلك بتتابع طبقات أو مداميك أفقية من أحجار صفراء وأخرى حمراء داكنة أو فى عمل تجاويف أو حنايا عمودية قد تفتح فيها نوافذ، وقد تنتهى فى أعلاها بزخارف معمارية من

١- نفس المرجع، ص٧٢.

المقرنصات. وتظهر ذلك فى أشرطة الزخارف والكتابات القرآنية أو التاريخية وفى شرافات مسننة تتوج بها الواجهة.

وامتازت المآذن المملوكية برشاقتها وجمال نسبها ومعظمها ذات قاعدة مكعبة يعلوها بدن مثمن ثم دوره علوية إسطوانية الشكل. أما أبواب المساجد فقد امتازت بزخارفها الفنية ودقة صناعتها، وكثرت فى هذا العصر زخرفة الوزارات والأرضيات بالرخام الملون، وبعض المحاريب قد زخرف بالفسيفساء الرخامية والصدف كما هو الحال فى جامع الماردانى ومدرسة السلطان حسين.

ومن أهم العمائر المدنية مدخل وكالة الأمير قوصون ومدخل وكالة قايتباى بباب النصر ومقعد ماماى المعروف باسم بيت القاضى فى القاهرة، وجامع الظاهر بيبرس، ومدرسة وضريح وبيمارستان قلاوون بالنحاسيين.

ومن أمثلة المدن العربية مدينة مكة بشبه الجزيرة العربية، حيث يتوسطها الكعبة الشريفة والتى تؤدى إليها الطرق الرئيسية فى المدينة. وكذلك مدينة الكوفة بالعراق والتى أنشئت سنة ٦٣٨م حيث يتوسطها المسجد ودار الإمارة، وتصب فى الميدان الذى يقع فى المسجد الطرق الرئيسية فى المدينة. ويتوسط كذلك مدينة بغداد التى أنشأها المنصور سنة ٧٦٢- ٧٦٧م المسجد ومقر الحاكم.

ونظراً لأن المسجد هو المركز الدينى والثقافى والاجتماعى لسكان المدينة، فإن الأنشطة التجارية والحرفية تنتشر حوله وعلى امتداد الشوارع الرئيسية المؤدية إليه حيث يجد التجار والحرفيون مجالاً كبيراً لتسويق بضائعهم ومنتجاتهم.

وقد تميزت بعض المساجد بوجود بعض عناصر معمارية أهمها:

١ - **المقرنصات (الدلايات)**: وهى تشبه خلايا النحل، وهى عبارة عن كسوة خطوط الاتصال بين الأسطح الأفقية والرأسية والزوايا بأشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات أو المحاريب الصغيرة بعضها فوق بعض، وقد تتدلى من أعلاها فى بعض الأحيان دلايات. وقد تصنع هذه المقرنصات أحياناً من الحجر أو الجص أو الطوب أو الخشب أو الخزف.

٢ - **المآذن**: وهى تمتاز برشاقتها وتناسب أجزائها، وتتكون عادة من قاعدة مربعة مرتفعة. أما الأدوار التى تعلو القاعدة فهى على شكل مثمن فتحت فيه شرفات (بلكونات)، ثم يلى ذلك بدن مستدير تحيط به دورة تعتمد على حطات من المقرنصات، ثم يعلو هذا جوسق يرتكز على أعمدة حجرية أو رخامية يحمل الخوذة العلوية للمئذنة.

٣- **القباب**: وهى من العناصر التى اهتم بها المعمار، وأقيمت فوق الأضرحة والمدافن أو أعلى المحراب وعلى جانبى البلاطة التى تلى المحراب مباشرة. وهى ذات أشكال مختلفة منها النصف كروى والبصلى والمدبب. أما سطحها الخارجى فهو إما أملس ذات تضليعات مستقيمة أو منحنية.

٤- **الأعمدة والتيجان.**

٥- **العقود.**

٦- **المداخل.**

وعموما، فقد تفوق المسلمون فى كثير من المجالات الفنية، وربما كان أهم هذه المجالات فن العمارة .. ولقد زاول المسلمون فى الإسلام بناء جميع أنواع العمائر تقريبا .. فخلفوا لنا أنواعاً كثيرة من العمائر الإسلامية - من

مساجد ومدارس وأضرحة وقبور وقلاع وقصور وأبواب مدن ومداخل وأسواق وأسوار، وخانات وخانقاوات وأربطة ومطابخ، وكذلك الحمامات، وهى منشآت ذات نفع عظيم وتأثير كبير على الصحة والحياة العامة، وبيمارستانات وهى أبنية ومنشآت تخدم الأغراض الصحية ومعالجة جميع الأمراض، كما خلفوا لنا المؤسسات الدينية والعسكرية. وأضاف المسلمون عنصراً هاماً فى المعمار الإسلامى عامة، ألا وهو الخط العربى، فاستغل الخط الكوفى، ثم الكوفى الذى تنتهى حروفه بأوراق نباتية أو تكتب حروفه على أرضية نباتية.

وتتكون المنازل العربية عموما من طابقتين، طابق أرضى خاص بالرجال ويعرف (بالسلامليك)، طابق أول خاص بالسيدات ويعرف (بالحراملك) خاص بالاستقبال والمعيشة والنوم – وربما اشتمل السطح على بعض المنافع.

وكانت واجهات المنازل بسيطة للغاية، أبرز ما فيها المشربيات الجميلة. أما داخل المنازل فكان غنيا بالفن العربى البديع. وتأثر نظام المسكن بالعوائد العربية التى كانت نتيجة الدين الإسلامى وأهمها الحجاب، ولذا خصص طابق للرجال وآخر للنساء له مدخل كخاص بعيد عن مدخل الرجال. وقد أمعنوا فى حجاب المرأة بأن غطوا الشبابيك بالمشربيات التى تحجب الناظر من خلفها.

واتبع التصميم الآتى فى المساكن[١]:

١- أن يكون هناك حجرة رئيسية أو أكثر تواجه الشمال وتطل على حوش سماوى.

٢- أن تكون الشبابيك المطلة على الشارع صغيرة وعالية.

٣- أن يكون المدخل متعرجا على نفسه مرة واحدة على الأقل ليمنع المارة من رؤية داخل المنزل.

١- محمد خليل نايل، ومحمد أمين عبد القادر. المرجع السابق، ص٣٤٢.

٤- أن يوصل مدخل الحريم إلى حوش سماوى آخر إذا أمكن، أو يوصل إلى أقصى الحوش الرئيسى للمنزل.

٥- أن يكون بالطابق الأرضى حجرة استقبال للرجال فسيحة ككثيرة الزخرفة تسمى بحجرة العرش، ومقعد أرضى، وحجرة للانتظار، ومساكن للخدم والمطبخ، ودورة المياه.

٦- أن يشتمل الطابق الأرضى جميع قاعات الاستقبال والمعيشة.

ويعتبر التطور الهائل الذى احرزه الإنسان بفضل تراكم المعرفة العلمية والاختراعات التكنولوجية سببا هاما فى سيطرة الإنسان على الطبيعة وتسخيرها للخدمة، وعاملا من أهم العوامل التى أدت إلى النمو الحضرى سواء فى العصور القديمة أو فى العصر الحديث.

ففى العصور القديمة أدى تقدم التكنولوجيا وظهور قدر ضئيل ممن تقسيم العمل إلى زيادة التنظيم، وظهور فائض من الإنتاج. كما أدى تحسين أدوات الصيد كالقوس والسهم إلى أن أصبحت الجماعات القبلية أكثر استقراراً. وكان لاختراع الفأس وزيادة السكان أثر كبير فى المدن. فقد تضاعف عدد السكان خلال الفترة من ٨٠٠٠- ٤٠٠٠ق.م ست مرات[١]. وساعد ظهور علم الحساب على تقدم المدن، وعمل المهندسون فى المدينة[٢].

وفى العصر الحديث، يرجع نمو كثير من المدن وتحضر مناطق عديدة فى كثير من بلاد العالم إلى الاكتشافات العلمية والاختراعات الميكانيكية التى تتابع ظهورها وتقدمها مع بداية القرن التاسع عشر إذ حين تحدث تغيرات تكنولوجية، فإن إيكولوجية المدينة تمر بالتالى بتغيرات مصاحبة. فقد كانت

1- Heer, David, Society and Population, P. 5.

2- Corbuseir (Le), Op. Cit., P. 59.

المصانع فى الأيام الأولى للنهضة الصناعية فى أوروبا مثلا فى المناطق الداخلية من المدينة، بل ربما كانت المدن تميل إلى النمو حول المصانع، ويميل العمال إلى الإقامة بالقرب من مواقع العمل مما يؤدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية. غير أنه مع تغير التكنولوجيا وظهور السيارة كأداة النقل والمواصلات وظهور التليفون كأداة للاتصال اتجه العمال إلى التحرر من الرابط الوثيقة التى كانت تلزمهم العيش بمقربة من مواقع العمل، وظهرت الضواحى حول المدن. فقد أدى ارتفاع الضرائب فى المدن وارتفاع أثمان الأراضى وازدحام المواصلات وقدم المبانى، وخاصة فى المراكز الأساسية فى المدن أدى كل هذا إلى رغبة سكان المدن فى الخروج عن نطاقها والمعيشة خارجها.

وبهذه الطريقة صار للمدن نفوذ خارج نطاقها وأصبحت بعض المدن مراكز اقتصادية وثقافية واجتماعية لمناطق كبيرة حولها، فقد تأثرت مدن أمريكا الشمالية بثورة وسائل النقل فى العشرين سنة الأخيرة، ونمو الملكية الفردية للسيارات مما أدى إلى الاحتياج إلى رؤوس أموال ضخمة لتشييد الطرق، لتسهيل حركة التنقل لهذه العربات، فاتسعت المدن، وظهرت حولها مناطق ذات معدل سكانى منخفض(١).

وقد أكد هذا المعنى أوجبرن Ogburn وهاولى Hawley فقد ذكر أوجبرن(٢): "أن طبيعة سكان المدن ومحال إقامتهم، وأماكن عملهم تمثل انعكاساً لإحدى وظائف النقل المحلى، كما أن المدن ذاتها من خلق النقل البعيد المدى .." ويقول هاولى: أن بعثرة السكان فى المراكز الحضرية إنما هو رد فعل مباشر للسهولة المتزايدة فى الحركة.

---

1 - Brian, R. Chard, Moving in Cities, P. 9.

٢- د. محمد الجوهرى وآخرون. المرجع السابق، ص٥٩.

وتصور ماير R. L. Meier[١] نمو المدينة من خلال التفاعل البشرى، فالنقل، والاتصالات هى وسائل لأحداث هذا التفاعل، فالسبب الرئيسى لنمو المركز الحضرى واتساعه (أو امتداده) يتمثل فى سهولة الاتصالات الدائرة بين الأفراد، وفى يسر الانتقال النسبى من مكان إلى آخر. ويستطرد ماير: أن هيكل وسائل الاتصال هو أفضل الأسس لتقييم ثقافة المدينة. وتنعكس هذه الثقافة على كل مناشط المدينة، فهى تظهر فى مكان العمل، وفى سوق المدينة، وفى المؤسسات التعليمية، وفى أماكن الترويح.

وهكذا يرتبط النمو الحضرى بزيادة وسائل النقل وتقدم المواصلات كالسفن والقطارات والسيارات والطائرات، إذ تعتمد المدن بالضرورة على التجارة وتطوير الأسواق العالمية، وعلى جلب الفائض الزراعى والمواد الخام من المناطق المحيطة. كذلك فإن المدينة الكبيرة تنطوى على أعداد غفيرة من المتخصصين فى المهن المختلفة، ولا يمكن الوصول إلى تكاملهم من حيث حياتهم الدائمة فى المدينة إلا إذا كانت وسائل النقل الداخلى والخارجى مضبوطة إلى أعلى درجة.

ففيما مضى كانت الملاحة النهرية والبحرية هى الأساس فى العصور الأولى لنشأة المدن، ولهذا نشأت على الأنهار وعلى سواحل البحار والمحيطات. وازداد الضغط على المدن الساحلية التى تستخدم كموانى أو كمراكز للمواصلات للداخل والخارج على حد السواء. وبنشأة السكك الحديدية ظهرت مدن بعيدة عن الأنهار والبحار، ولكنها فى طريق السكك الحديدية، وعند تلاقى الخطوط أو تفرعها، وعند بدايتها. وبتحسن وسائل المواصلات بين

١- د. محمود الكردى. المرجع السابق، ص٣٩.

الريف والمدينة صار أهل الريف أكثر استجابة للقوى التى تدفعهم للذهاب إلى المدينة.

الفصل الرابع
المدن فى البلدان النامية

تقديم :

يستهدف هذا الفصل إلقاء الضوء على النمو الحضرى فى البلدان النامية. فظاهرة النمو الحضرى من الظواهر الهامة التى تستهدفها المجتمعات الإنسانية منذ بداية القرن التاسع عشر. وقد بلغت هذه الظاهرة مداها فى البلاد المتقدمة خلال القرن التاسع عشر بحيث وصلت تلك المجتمعات إلى حالة قريبة من التشبع الحضرى. على حين أن المجتمعات النامية لم تبدأ فى النمو الحضرى السريع إلا منذ بداية القرن العشرين.

ومع ذلك، فظاهرة نالنمو الحضرى فى العالم الثالث ليست ظاهرة جديدة نشأت نتيجة الاحتكاك الحضارى مع الغرب، وإنما هى ظاهرة قديمة تضرب بجذورها فى أعماق الماضى البعيد. وتؤكد المصادر التاريخية القديمة أن المراكز الحضرية ظهرت فى منطقة الشرق الأدنى فى غضون الألف الخامسة قبل الميلاد، ونمت وازدهرت فى ظل الحضارات السومرية والآشورية والفينيقية والمصرية القديمة. ومن بين هذه المدن، أور، وأريدو Aridu، وبعلبك، ومنف، وطيبة، وأخناتون. وقد نشأت أغلب المدن القديمة على شواطئ الأنهار والبحار وكان يسكنها التجار والصناع ورجال الدين، غير أنها لم تكن بؤرة للتكتلات الصناعية الكبيرة أو التجارة على نطاق واسع(١).

١- د. عبد الباسط محمد حسن. ملامح النمو الحضرى فى العالم العربى - نقلاً عن مجلة تنمية المجتمع - عدد خاص - التنمية الحضرية، ص٥.

والمدينة فى البلاد النامية هى فى الواقع دراسة فى التناقض بين القديم والجديد: رواسب الحياة الريفية والتجديدات الواردة من الغرب. ذلك أنها لا تمتلك فى الوقت الحاضر الأساس الاقتصادى الذى يضمن لسكانها الحضريين مستوى معيشى مماثل لما هو قائم فى الدول الغربية. فدرجة التحضر فى المجتمعات النامية أقل مما عليه فى البلاد المتقدمة. وبينما بلغت نسبة سكان المدن فى البلاد المتقدمة ٦٧% فى سنة ١٩٧٥، نجد أنها بلغت ٢٨% فقط فى البلاد النامية. وقد قدر أن نصف سكان قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يسكنون مساكن غير صحية شديدة الازدحام. ومن ثم برز موضوع الإسكان فى تلك الدول، وأصبح لزاماً على الحكومات فى تلك الدول التصدى لهذه المشكلة وإيجاد حلول لها.

وفى مدينة البلاد النامية ترى كائنات بشرية تحمل الأثقال على أكتافها وتسير إلى جوارها سيارات النقل الضخمة، وترى إحدى قطع الحاسب الالكترونى أ.ب.م I.B.M الجديدة معروضة فى تألق على المنصة النقالة، وقد نقلت من طوار (رصيف) الميناء إلى ناطحة السحاب بواسطة إحدى عربات الكارو.

وترى الأحياء السكنية المكتظة التى يسكن فيها أفقر الفقراء، وعلى غير بعيد من "الفيلات" الفاخرة، حيث لا تسمع أى ضوضاء سوى تلك المنبعثة من جهاز تكييف الهواء. وترى كذلك كيف تثير الضوضاء العالية الصادرة من الطائرة الأسرع من الصوت، أولئك الجالسين القرفصاء. كما ترى أوضاع ومراسيم الحفلات التقليدية التى تتم أمام الحاضرين الذين شاهدوا بالأمس فيلما أمريكيا بأحداثه التى يدور بعضها فى حجرة النوم الحديثة. وترى أيضا الخطوات المرحة التى تثيرها موسيقى الراديو الترانزستور المنبعثة من تحت

الجلابيـة الفضفاضـة لأحـد المـارة. وتـرى كـذلك الخلـيط المكـون مـن عربـات "الكارو" التـى تجرها الجمـال، وسيارات النقل المرسيدس. وترى البائع الجالس على طوار (رصيف) الشارع فى مواجهة محلات مكيفة الهواء. وترى أيضاً التعقد الرهيب للشوارع الكبيرة، والأزقة فى المدينـة القديمة على مرمى البصر من الشوارع الضخمة[١].

وبالإضافة إلى انخفاض ظاهرة التحضر فى البلاد النامية، فإننا نجد ثنائية إقليمية، وهى وجود هوّة كبيرة ومتزايدة بين المناطق الريفية والحضرية فى داخل المجتمع الواحد. وفى الوقت الذى تضيق فيه هذه الهوة فى المجتمعات المتقدمـة وتتلاشـى بمـرور الوقـت، نجـد أنهـا تتزايـد بصـفة مطـردة فـى الـبلاد النامية.

ولم يرجع ازدياد حجم المدن فى البلدان النامية إلى عوامل اقتصادية أو الزيـادة الطبيعيـة لسـكان المـدن، وإنمـا يرجـع أساسـا إلـى الهجـرة مـن المنـاطق الريفية إلى المناطق الحضرية. ففى سوريا نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٢٨.٣% فى دمشق، و ٥٦.٢ فى الحسكة، و ٤٦.٥% فى الرقة، و ٣٤.٢ فى اللاذقية، و ١٤.٦% فى حمص حسب تعداد ١٩٦٠.

وفى العراق نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٢٨.٩% فى بغداد، و ١٧.٦% فـى كـربلاء، و ١٧.٦% فـى البصـرة، و ٩.١% فـى كركـوك حسـب تعداد عام ١٩٥٧. وفى ليبيا نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٢٩% من سكان محافظـة طرابلس، و ٢٥% من سكان بنغازى، و ١٤% من سكان الجبـل الأخضـر، و ١٢% مـن سـكان درنـة حسـب تعـداد عـام ١٩٦٤. وفـى

١- جيرلد بيرنز. المرجع السابق، ص ص٢٨- ٢٩.

السودان نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٤٦.٥% فى الخرطوم و٦٧.٧% فى بور سودان و٥٠.٢% فى الأبيض حسب تعداد ١٩٦٥[١].

ونظراً لاتساع رقعة العالم الثالث، واختلاف الظروف الايكولوجية والثقافية من منطقة لأخرى، فقد اختلف توزيع المدن باختلاف هذه الظروف ويبدو ذلك واضحا إذا ما قارنا بين مدن المشرق العربى ومدن المغرب الغربى. فقد تميز المشرق العربى – وبخاصة فى العصور الوسطى بكثرة مدنها واتساعها العمرانى، وتباين بنائها الاجتماعى والثقافى بخلاف الحال فى المغرب العربى ويوضح ابن خلدون ذلك فيقول[٢]. أن السبب فى ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كله بدويا. ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها". ويضيف "وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر، لأنهم أعرق فى البدو، والصنائع من توابع الحضارة وإنما تتم المبانى بها، فلابد من الحذق فى تعلمها".

وقد قسم هنرى بيرن Henri Pirenne المدن فى البلاد النامية إلى مجموعتين رئيسيتين هما[٣]:

١- المراكز السياسية والثقافية مثل دلهى وكيتو Quito وباينج Peining.

٢- المراكز الاقتصادية مثل بومباى وجواياكيل Guayaquil وشنغهاى.

المدن فى أسيا

ترتبط المدن فى آسيا بالامبراطوريات الزراعية التى كانت فى العصور الغابرة، ولكنها أخذت تكتسب تدريجيا مزيدا من سمات المدن الغربية. ويرى

١- د. عبد الباسط محمد حسن. المرجع السابق، ص ص١٠- ١٢.

٢- نفس المرجع، ص٧.

٣- جيرالد بيريز. المرجع السابق، ص١٠٧.

تشيسنو Chesneaux أن الأنواع المختلفة من الصراع المدنى فى بعض هذه البلاد مثل الصين والهند، قد دفع بأعداد كبيرة من المهاجرين إلى المدن الرئيسية. ويقول فى هذا الصدد(١): أن سكان شنغهاى، قد زادوا من أربعة ملايين إلى ستة ملايين نسمة فى فترة وجيزة للغاية. كما زاد سكان كراتشى من ٢٠٠.٠٠٠ إلى أكثر من مليون نسمة، وتحولت دلهى من مدينة كبيرة مسلمة هندوسية مختلطة إلى مدينة كبيرة هندوسية سيخية(*).

وفى الصين يقدر عدد الصينيين الذين هاجروا من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية فى الفترة من ١٩٤٩- ١٩٥٦ بعشرين مليون نسمة. وفى الأقاليم الغربية زادت مدينة لانشو Lanchow من ٢٠٠.٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٥٠ إلى ٦٨٠.٠٠٠ فى عام ١٩٥٦، وباوتو Paotow من ١٠٠.٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٤٩ إلى ٤٣٠.٠٠٠ فى عام ١٩٥٧، وكالجان Kalgan من ٢٧٠.٠٠٠ فى عام ١٩٤٩ إلى ٦٣٠.٠٠٠ فى عام ١٩٥٨، وسيان Sian من أقل من نصف مليون نسمة فى عام ١٩٤٩ إلى ١.٠٥٠.٠٠٠ فى عام ١٩٥٧(٢).

المدن فى أفريقيا

تعتبر المدن ظاهرة اجتماعية قديمة فى الحضارات الأفريقية، فقد نشأت المدن الأفريقية منذ مئات السنين قبل أن ينقض الاستعمار الغربى على القارة.

١- نفس المرجع، ص٦٤.

* نسبة إلى السيخ ومعناها اللفظى "التلاميذ أو الحواريون". وهى طائفة دينية تكونت حوالى عام ١٥٠٠م من خليط من التعاليم الدينية الهندوسية والإسلامية فى منطقة البنجاب بالهند.

٢- نفس المرجع، ص٦٦.

وظاهرة المدن قديمة وأصيلة بالنسبة لوسط وجنوب القارة. ونلاحظ أن تركز المدن القديمة كان غرب أفريقيا فى المنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى. ومن التفسيرات المقبولة لهذه الظاهرة أثر الحضارات الأفريقية الشمالية على وسط القارة وجنوبها. ومن أهم تلك الحضارات الحضارة الإسلامية العربية التى لعبت دوراً كبيراً فى نشر الدين الإسلامى والحضارة العربية فى وسط وجنوب القارة. ومن أمثلة ذلك مدينة كانوا فى نيجيريا التى يبلغ عمرها أكثر من ألف عام، وحضارة قبائل اليوروبا. فقد عاش اليوروبا فى مدن ذات حجم كبير حتى قبل أن يصل الأوربيون إلى ذلك الجزء من القارة الأفريقية وكان هناك تسع مدن فى يوروبا عام ١٨٥٦ يزيد تعداد كل منها عن عشرين ألف نسمة، من بينها ثلاث يزيد تعداد الواحدة منها عن ستين ألف نسمة. وفى عام ١٩١١ ارتفع عدد مدن يوروبا حتى وصل إلى إحدى عشرة مدينة، كان تعداد خمس منها يزيد عن ستين ألف نسمة.

إلا أنه لوحظ انعدام وجود المدن فى حوض الكونغو حيث تسود الغابات الاستوائية التى تجعل من أقامة المدن أمراً صعباً يتطلب مجهودات ضخمة من الإنسان. ولم تكن المدن الأفريقية إلا مساحات زراعية شاسعة. هذا بالإضافة إلى كونها مركزاً هاماً للتجارة والإدارة. ورغم وجود الزراعة كأساس اقتصادى للمدينة والقرية على السواء، فإن وظفتى التجارة والإدارة قد ميزتا المدينة عن القرية. وكانت معظم تلك المدن الأفريقية القديمة عواصم لممالك قديمة ولمجموعات قبائلية كبيرة. ومن الممكن اعتبار تلك العواصم كمراكز إشعاعية يمتد سلطانها إلى جميع المدن والقرى الخاضعة لنفس المملكة أو القبيلة.

وإذا نظرنا إلى البناء الاجتماعى لتلك المدن نجد أن العلاقات القرابية

والعائلية هى الدعامة الأساسية للعلاقات الاجتماعية وأصلها. فكان أفراد العائلة يعملون في نفس المهنة، وكان الآباء يدربون أبناءهم على أسرار مهنهم، وكان الحال كذلك بالنسبة للوظائف الإدارية. وبجانب العائلة المالكة كانت هناك عائلات أخرى متخصصة فى وظائف إدارية رئيسية وثانوية[١].

وقد لعب المستعمر الأوربى دوراً كبيراً فى عدد المدن الأفريقية فى تلك المنطقة فى العصر الحديث لأنه كان وما يزال يمثل همزة الوصل بين الحضارات الأفريقية التى يلعب فيها أسلوب حياة الريف والحضارة الغربية الحديثة التى تتميز بزيادة عدد سكان المدن عن سكان الريف. وبالرغم من الاحصائيات التى تبين سرعة نمو المدن الأفريقية وزيادة عدد المدن الأفريقية الجديدة، فإن الغالبية العظمى (أكثر من ٨٠%) من الأفريقيين فى تلك المناطق لا يزالون إلى يومنا هذا يعيشون فى قرى صغيرة الحجم. وهكذا يتضح أن ظاهرة التحضر لا تزال ظاهرة غير منتشرة فى أفريقيا الوسطى والجنوبية. وإذا حللنا ظاهرة التحضر الأفريقية نجد أنفسنا أمام شكلين واضحين لتلك الظاهرة وهما التقليدى القديم والتحضر الحديث. والمقصود بالتحضر القديم أو المدن الأفريقية القديمة تلك المدن التى نشأت ونمت بعيداً عن تأثير المدنية الغربية، فهى تمثل اتجاهات أصيلة فى الحضارات الأفريقية. ورغم أن معظم المدن الأفريقية يحمل اليوم بعض سمات المدينة الغربية، إلا أن المدن القديمة تتميز بأنها كانت بعيدة عن نطاق تأثير المدينة الغربية، وإن كانت قد تأثرت بعد ذلك بتلك المدينة أما المدن الأفريقية الحديثة فهى التى تأثرت عند ظهورها بالمدينة الغربية والاستعمار الأوروبى.

١- د. عاطف وصفى، ود. عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع الحضرى - المجموعة الأفريقية، ص١٢.

وقد أدى التحضر سواء فى المدن القديمة أو الحديثة إلى ظهور مشكلات كمشكلة الإسكان والبطالة والافتقار إلى الأنشطة الترويحية. وتعتبر هذه المشاكل جزء من عملية النمو[1].

وهناك أوجه شبه واختلاف بين المدن القديمة والحديثة تبدو فى الآتى:

تأثرت المدن الحديثة بالمدينة الغربية والاستعمار الأوربى فى مرحلة النشوء، ولا يوجد مثل هذا التأثير فى المدن القديمة، والمدن الحديثة أكبر حجماً وأكثر سكاناً.

وتتميز المدن الحديثة بوجود اتصال بينها وبين العالم الخارجى ويقوم التنظيم المكانى والبناء الاجتماعى للمدن القديمة على أساس العلاقات القرابية بصورة أقوى من الصورة الموجودة حاليا فى المدن الحديثة. أما هجرة العمال إلى المناطق الصناعية فى بعض المدن الحديثة فلم يكن لها مثيل فى المدن القديمة.

أما أوجه التشابه بين المدن القديمة والحديثة فتتمثل فى أن بعض المدن الأفريقية الحديثة ما تزال تقوم على أساس اقتصادى تشبه تلك الخاصة بالمدن القديمة، ومن أمثلة ذلك الأسس الزراعية التجارية. والمدن الإدارية هى الغالبة فى أفريقيا جنوب الصحراء سواء بالنسبة للمدن القديمة أو الحديثة.

ويقوم البناء الاجتماعى للمدن الأفريقية القديمة أو الحديثة على أساس التنظيمات القبائلية والعائلية، ولكن بدرجات متفاوتة. إذ تتأثر التنظيمات الايكولوجية فى داخل المدن القديمة والحديثة بالتقسيمات القبائلية فنجد كل قبيلة تعيش فى منطقة خاصة بها.

1- J. N.. Rawuki in Urbanization. Its problems and Concequences, P.25.

وإذا أردنا أن نصنف المدن الأفريقية على أساس الخدمات والأعمال الغالبة فيها، نجد أن المدن الإدارية التى تعتمد فى حياتها على الزراعة والتجارة أو كليهما هى الصنف الغالب. ويشمل القسم الثانى المدن التجارية. ويظهر قسم ثالث فى جنوب أفريقيا ووسطها، ويتمثل هذا فى المدن الصناعية، وتختلف المدن الصناعية الأفريقية عن المدن الصناعية الأوربية فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية[١].

المدن فى مصر

نشأت المدن فى مصر أول ما نشأت فى الإقليم الجنوبى على ضفاف النيل ممنذ أكثر ممن خمسة آلاف سنة. ولاشك أن وجود نهر النيل كوسيلة للمواصلات وكمصدر للحياة، ووجود السواحل البحرية (الأبيض والأحمر) كوسائل للاتصال الخارجى، قد حددت مواقع المدن فى مصر، كذل فإن مصالح الاحتلال الأجنبى منذ العهد اليونانى والرومانى تدخلت فى تحديد مواقع بعض المدن. كما أن المصالح الاقتصادية المحلية كانت السبب الرئيسى فى وجود أغلب المدن على شاطئ النهر والبحر وعلى قناة السويس.

وقد وضعت مدينة خنت كاوس بالجيزة والتى يرجع تاريخ إنشائها إلى ٢٩٠٠ ق.م النظريات الأولى فى تصميم المسكن، فجمعت بين التماثل والتجمع المتراص والتعمق فى دراسة المسكن وجزئياته وتوجيه حجراته وتوزيع مجموعاته. ويرجع تاريخ إنشاء مدينة اللاهوت إلى ٢٧٠٠ ق.م. وهى تحتوى على مجموعات متماثلة من المساكن الصغيرة تشترك فى مجموعة مشتركة من مخازن التموين والسوق العمومى[٢].

١- د. عاطف وصفى، ود. عبد الهادى الجوهرى. المرجع السابق، ص ص٥٥- ٥٦.

٢- توفيق أحمد عبد الجواد. المرجع السابق، جـ٤، ص١٣.

وانتقلت هذه النظريات بعد ذلك إلى بقاع العالم. على أن النمو الحضرى كان حينئذ بطيئاً جداً إذا قيس بالنمو الحضرى فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية فى العصور الحديثة.

ويرجع بعض المؤرخين بالقاهرة إلى عصر قدماء المصريين – أى إلى ممفيس أولى عواصم القطر المصرى (بعد توحيد مصر السفلى ومصر العليا فى عهد الملك مينا). والواقع أن مدينة ممفيس كانت تقع مكان مركز البدرشين حالياً، أى أنها كانت تبعد حوالى أربعة عشر كيلو مترا من القاهرة الحالية. ثم أصبحت العاصمة أون أو هليوبوليس (عين شمس ومصر الجديدة الآن) ثم بابليون (مصر القديمة).

وتتألف القاهرة الحالية من أربع مدن قديمة كانت كل منها عاصمة لحقبة من الزمن: الفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقاهرة المصرية. أنشأ أولها عمرو بن العاص عقب فتحه لمصر سنة ٢٠هـ (٦٤١م). وهى تقع عند رأس دلتا النيل، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرانية، وبذلك تكون الفسطاط فى مأمن من هجمات العدو، وهى من نفس الوقت قريبة من الأراضى الزراعية الأمر الذى يسهل معه وصول المؤن والأقوات. وتحمى الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم فهو ذراعها الواقى ضد العدو وضد فيضان النيل. ومن أهم الدور التى شيدت منذ الفتح الإسلامى فى مصر دار عمروبن العاص، بمدينة الفسطاط (٢١هـ). وكانت تقع على بعد حوالى أربعة أمتار من الجانب الشمالى الشرقى لجامعة المعروف.

وقد أسهم مؤرخو العصور الوسطى فى وصف مدينة الفسطاط فقد كانت شوارعها مرصوفة ومنازلها فسيحة حسنة التخطيط، تكون ما بين خمسة وسبعة

طوابق. وربما سكن الدار الواحدة المائتان من الناس، كما اشتملت المدينة على المرافق الصحية، وكان بها عدد كبير من الحمامات العامة[١].

أما المدينة الثانية – العسكر – فقد أنشئت عام ٧٥١م. وسميت بالعسكر لإيوائها العسكر العباسى. وهى تقع إلى الشمال من الفسطاط، وأصبحت مقرا لدار الإمارة فى عهد الوالى العباسى "صالح بن على". وبنى بها الفضل بن صالح ١٦٩هـ (٧٨٥م) مسجدا، ثم سمح للناس بالبناء حول العسكر فكثر بها العمارة حتى اتصلت بالفسطاط، وشيدت بها الدور العظيمة، ونمت المدينة نمواً كبيراً.

وأنشأ المدينة الثالثة (القطائع) أحمد بن طولون سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م) فى الطرف الشمالى الشرقى من العسكر. وبدأ ابن طولون بتشييد قصر له تحت موقع القلعة. ثم أنشأ مسجده المعروف، وهو أكبر مساجد العالم الإسلامى حيث تبلغ مساحته ستة أفدنة ونصف فدان، وترك بين المسجد والقصر ميداناً واسعاً. واختطت حاشيته وجنده دورها فى موقع المدينة حتى اتصلت بالعسكر والفسطاط. ويتميز جامع ابن طولون بزخارف جصية من طراز جديد بدأ ظهوره فى عهد ابن طولون، ويعتبر صدى لطراز الزخرفة الجصية التى ازدهرت فى مدينة سامرا عاصمة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت.

وشيد ابن طولون فى الجهة الشرقية من القطائع قناطر فى المياه ومن المظاهر الحضرية الهامة فى ذلك العصر (القرن الثالث الهجرى) إنشاء البيمارستانات حيث أنشأ ابن طولون فى منطقة البساتين (بيمارستانا) أدخل فيه ضروبا من النظم الحديثة جعلته فى مستوى أرقى المستشفيات فى الوقت

---

١ – د. زيدان عبد الباقى. علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية، ص٣٢١.

الحاضر، وكان يشرف بنفسه على إدارة هذا المستشفى ويتولى تنظيم خزائن الأدوية وتوزيع العمل على الأطباء والممرضين ويشرف على المرضى يواسيهم ويدخل السرور عليهم.

وازداد عمار القطائع فى عهد ابنه خمارويه، فأنشأ حديقة للحيوان كان فيها السباع والنمور والفيلة والزرافات والطيور وغيرها، وجهز بيوتها بما يكفل لها الصحة والنظافة. وأطلق على المدن الثلاث (الفسطاط والعسكر والقطائع) اسم مصر أو الفسطاط.

وأنشأ المدينة الرابعة (القاهرة المصرية) جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م). وهو اسم يرتبط بأمل الجند فى قهر أعدائهم والانتصار عليهم. وفى عهد الفاطميين أنشئ الجامع الأزهر وصارت القاهرة فى ذلك الوقت عاصمة البلاد الإسلامية جميعها.

وفى عام ٥٧٢هـ (١١٧٦م) قام صلاح الدين الأيوبى بتجميع هذه المدن الأربع ليتخذ منها عاصمة موحدة، وأحاطها بسور عظيم له ثلاثة أبواب لا تزال باقية إلى الآن، وهى باب الفتوح، وباب النصر، وباب زويلة. وقد بنى صلاح الدين الأيوبى القلعة وبئر يوسف وبعض الحصون من سنة ١١٧٧– ١١٨٢.

وكانت هناك حكمة وراء اختيار مكان القاهرة لتكون عاصمة فى عهد الحكم العربى بدلا من الإسكندرية فى عهد الحكم الرومانى فقد كان ذلك لقربها من بلاد العرب، ولوقوعها عند فرعى ملتقى رشيد ودمياط، ثم لوجودها على الطريق التجارى بين الغرب والشرق فى ذلك الوقت.

وبالطبع لم تبق القاهرة منذ إنشائها على حالها، فقد امتدت شمالاً حتى اتصلت بالقليوبية، وامتدت غربا عبر النيل بعد بناء الكبارى، وامتدت جنوبا حتى اتصلت بالجيزة، ولكنها لم تمتد شرقا لوجود تلال المقطم ويقدر تعدادها

حاليا بنحو ٧.١٦١.٠٠٠ نسمة، وهى من ناحية التعداد السكانى تعتبر ثامن مدينة فى العالم فى عصرنا الحالى، وأول مدينة هى طوكيو عاصمة اليابان، ويقدر بعض الباحثين أن تعداد سكان القاهرة سيصل عام ١٩٩٠ إلى أكثر من ١٤ مليون نسمة.

أما مدينة الإسكندرية – فقد أنشأها الإسكندر الأكبر عندما فتح مصر عام (٣٣١ ق.م). واختار منطقة راقودة التى تفصل البحر المتوسط عن بحيرة مريوط، وتقترب من جزيرة فاروس التى تقع بين طابية قايتباى وقصر رأس التين وهى جزيرة صخرية ذات رمال بيضاء. وكانت طبيعة المنطقة الجغرافية وخلجانها الطبيعية عاملاً حاسماً فى اختيارها لبناء مدينة الإسكندرية التى لم تصبح أعظم مركز تجارى على البحر المتوسط فحسب بل كانت أيضاً ملتقى حضارات الشرق والمغرب ومنطقة الاتصال بينهما.

ولا جدال فى أن الإسكندر الأكبر استهدف من وراء تأسيس الإسكندرية عدة أهداف، منها ما هو حضارى، ومنها ما هو عسكرى، ومنها ما هو تجارى. فأما من الناحية الحضارية، فقد أراد الإسكندر أن تصبح مدينته الجديدة، وقد أقامها على أساس الحضارة الإغريقية – معيناً لهذه الحضارة، ينشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحة وإخضاعه لسلطانه. وأما من الناحية العسكرية فقد رغب فى أن تكون الإسكندرية قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرقى البحر المتوسط. وأما من الناحية التجارية فبعد أن حطم الإسكندر ميناء صور وهو فى طريقة إلى مصر، أصبح فى حاجة إلى بناء ميناء جديد يحتل مكان صور فى عالم التجارة[1].

١- محمد عواد حسين. تخطيط الإسكندرية نقلاً عن: محمد عواد حسين وآخرون. تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، ص١٣.

واهتم البطالمة بعد الاسكندر بالإسكندرية، وصارت ثانى مدن العالم بعد روما. وشيدت منارة الإسكندرية، وقد بنيت من الحجر وزخرفت بلوحات منحوتة من المرمر والبرونز . وتم فى عهد البطالمة تخطيط المدينة فى شوارع متوازية متقاطعة. وتألفت من خمسة أحياء. وكان أهم هذه الأحياء حى القصور الملكية وكان يشغل ربع مساحة المدينة أو ثلثها تقريباً ويطل على الميناء الكبير ويمتد حتى شارع كانوب (أبو قير)، ويحوى أهم معالم المدينة، فقد كانت توجد فيه القصور الملكية ودار العلم والمكتبة والجمنازيوم والمحكمة ومدافن الإسكندر والبطالمة. أما مضمار سباق الخيل وساحة الألعاب فكانا يقعان فى أطراف المدينة اولهما فى الناحية الشرقية وثانيهما فى الناحية الجنوبية الغربية.

واستمرت مدينة الإسكندرية تؤدى وظائفها كمركز التجارة والنقل ابان حكم الرومان الذين أولوا شامل عنايتهم للزراعة فى مصر وجعلوا من المدينة منفذا تصدر منه غلة البلاد الأساسية – وهى القمح – إلى عاصمة الإمبراطورية والمدن الكبرى الأخرى. وكان للمدينة كذلك مركزا إدارياً.

ثم جاء الفتح العربى، وأنشئت القاهرة عام ٩٦٩م، فقل شأن مدينة الإسكندرية، واقتصرت على وظيفة واحدة، فأصبحت قاعدة للجنود المسلمين حتى الحروب الصليبية. ولما استقر حكم المسلمين فى البلاد بدأت الإسكندرية فى الإنتعاش ونمت فيها صناعات كثيرة عرفت بها كصناعة المنسوجات والزجاج والخزف والعطور وصقل الأحجار الكريمة، وذلك بالإضافة إلى الوظيفتين التقليديتين النقل والتجارة[١].

١- د. حسن الساعاتى. المرجع السابق، ص ص١٠٣- ١٠٤.

واستردت الإسكندرية أهميتها في عهد محمد علي بافتتاح قناة المحمودية، وامتدت في المنطقة بين البحر وبحيرة مريوط. وبلغت في القرن العشرين شأنا بعيد المدى في النمو والازدهار، واتجهت في نموها نحو الجنوب والشرق والغرب. فالاتجاه نحو الجنوب أدى إلى شغل الأراضي الفضاء بحي محرم بك ثم عبور المحمودية، وامتداد العمران في حي غيط العنب. كما امتد العمران إلى منطقة سموحة التي كانت تشغلها بحيرة الحضرة وقام بتجفيفها يوسف سموحة عن طريق تصريف مياهها إلى بحيرة مريوط في حوالي عام ١٩٢٥.

وإذا ما تتبعنا نمو السكان بالإسكندرية منذ بداية هذا القرن لوجدنا أنهم يتزايدون باطراد. وترجع هذه الزيادة إلى عاملين اثنين الأول الهجرة والثاني الزيادة الطبيعية في عدد السكان.

اما عن الهجرة إلى الإسكندرية فقد شجع نجاح الصناعة بها عدداً كبيراً من سكان الريف على الهجرة إليها طلباً للرزق. كذلك أدى نشاط حركة البناء إلى هجرة عدد كبير من خارج الإسكندرية للاشتغال بها، بحيث وجدنا أن عدد المهاجرين قد بلغ ٢٣٨.٦٦٠ نسمة حسب تعداد عام ١٩٤٧ اى ما يعادل ٢٦.٥% من مجموع سكان الإسكندرية، فإذا أضفنا إليهم عدد المهاجرين إليها من خارج القطر ارتفعت النسبة إلى ٣٠.٦% من السكان.

وتواجهنا عند التعرض لمسألة السكان بالإسكندرية مشكلة ازدحام المدينة بالسكان إلى الحد الذي ارتفعت فيه الكثافة في بضع الأحيان إلى ما يزيد عن ١٧٠٠ فرد في الفدان وهي نسبة مرتفعة دون شك، وتتطلب منا إعادة توزيع هؤلاء السكان على مختلف الأحياء بحيث لا تزيد عن ٦٠٠ فرد في الفدان. ويكفل لنا هذا عدالة توزيع الخدمات العامة.

وبمدينة الإسكندرية مناطق سكنية دون المستوى اللائق لمعيشة الإنسان من الناحية الصحية والعمرانية السليمة، وتكدس فى هذه المناطق عدد كبير من العائلات الفقيرة المحدودة الدخل فى ظروف صحية سيئة، فتكون عرضة للأمراض والأوبئة.

ولقد استقر رأى المسئولين على إزالة هذه الوحدات السكنية القديمة وبناء وحدات سكنية جديدة أطلق عليها اسم المساكن الشعبية تخصص للعائلات المحدودة الدخل، فأنشئت وحدات سكنية كثيرة فى القبارى ومحرم بك وكوم الشقافة لاستيعاب من أزيلت مساكنهم وممن تنطبق عليهم شروط محدودى الدخل[١].

وترتبط الخدمات العامة بالتخطيط العام لمدينة الإسكندرية، وخصوصاً فى النواحى التعليمية والصحية. فقد وجد أن توزيع المدراس لا يتفق فى بعض الأحيان مع الكثافة السكانية للحى أو المنطقة، بعضها فى حاجة ماسة إلى مزيد من المدارس والبعض الآخر يفيض عن حاجة من هم فى سن الإلزام.

فكان من الضرورى إذن محاولة علاج الأوضاع الراهنة، وفى نفس الوقت إيجاد المدارس اللازمة طبقاً للتخطيط الجديد لتنظيم الكثافة السكانية، وما يستتبع ذلك من إنشاء مدارس إعدادية وثانوية لمواجهة الضغط المتزايد من خريجى المرحلة الأولى.

وأصبحت مدينة دمنهور عاصمة لإقليم البحيرة فى التقسيم الإدارى الذى وضعه محمد على. ومن ثم بدأت تتسع على شاطئ ترعة الخطاطبة القديمة

١- د. محمد محمود السروجى. الإسكندرية فى القرن العشرين نقل عن د. محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ص٤٥٣- ٤٥٧.

والتى كانت تتفرع من الرياح البحيرى (فرع رشيد). وفى ظل الحكم المحلى بدأت دمنهور تأخذ شكل مدينة حديثة، حيث تم ردم الترعة التى كانت تشطر المدينة، مع تحويلها إلى مجرى آخر خارج المدينة. وكذلك تمت إزالة خط سكة حديد قطار الدلتا، الذى كان يسير بسرعة السلحفاة مخترقا المدينة.

وبعد عام ١٩٦٣ بدأت عملية تحديث مدينة دمنهور حيث أقيمت فيها العمارات الضخمة والميادين الفسيحة والفنادق والمطاعم والملاعب الرياضية. كما أنشئت وحدات الخدمات الصحية لاسيما مستشفى دمنهور العام الذى يعتبر من أكبر وأحدث المستشفيات فى مصر، وكذلك أنشئت الوحدات الاجتماعية والثقافية والتعليمية.

وكان عدد سكان دمنهور عام ١٩١٧ حوالى ٤٧٨٦٧ نسمة، وقد بلغ هذا العدد إحصاء ١٩٦٠ عدد ١١٠٥٢١ نسمة(١).

وترجع أهمية رشيد من الوجهة التاريخية إلى العثور على حجر رشيد، مفتاح اللغة المصرية القديمة. كما ترجع شهرتها من ناحية العمارة الإسلامية إلى تلك الدور والمساجد الموجودة بها، ذات الطابع الخاص والذى تنفرد به عن غيرها من ناحيتى الإنشاء والزخرفة.

ولا تزال بعض شوارع رشيد محتفظة بمنازلها القديمة ومساجدها الأثرية. ويعتبر مسجد زغلول أهم مسجد بالمدينة، وهو مسجد قديم طرأت عليه عدة إصلاحات وإضافات فى أزمنة مختلفة. وتمتاز مساجد رشيد بقبابها ذات الأشكال البصلية وبحجمها الصغير (٢).

١- د. زيدان عبد الباقى. المرجع السابق، ص ص٢٤٠- ٢٤١.

٢- د. كمال الدين سامح. المرجع السابق، ص ص٢١٩- ٢٢٠.

اما بورسعيد فهى ميناء مصرى يمتاز بموقعه الجغرافى الفذ بماله من مميزات عالمية بحرية، وتقع المدينة إلى الغرب من الميناء وقد تم إنشاء هذه المدينة بعد إنشاء ميناء بورسعيد الذى تم إنشاؤه عقب توقيع سعيد والى مصر بعقد امتياز حفر قناة السويس مع ديلسبس[١].

وتبدأ نهضة السويس بشق قناة السويس وإنشاء ميناء بورتوفيق وتوسيع الحوض لاستقبال السفن القادمة من الشرق الأقصى. وقد نهضت السويس نهضة جديدة بإنشاء عدد من الصناعات الهامة مثل صناعة تكرير البترول ومشتقاته[٢].

ويتبين من ذلك أن نشأة كل مدينة فى مصر يختلف عن سبب نشاة مدينة أخرى، فلنشاة مدينة دمياط عند مصب نهر النيل سبب يختلف عن سبب وجود كل من مرسى مطروح والعريش على الحدود، وللنمو السريع فى كل من المحلة الكبرى وكفر الدوار سبب يختلف عن النمو السريع فى القاهرة[٣].

وتعانى بعض هذه المراكز من تكدس سكانى فى بقعة محدودة من الأرض، واعتمادا على ذلك فإن اقتراح الامتداد والاتساع بالنسبة لكل مركز حضرى يمكن مناقشته فى ضوء تكوين مناطق جديدة حول المركز الحضرى يمكن أن يتوزع فيها أكبر عدد من السكان، وتستحدث فيها مجموعة من الأنشطة. ويجب أن يوضع فى الاعتبار العائد من هذا الامتداد، والتكلفة التى يحتاجها، والفائدة التى تعود من هذه المشاريع، والعناصر السسيواقتصادية للموقع، فضلاً عن نطاقه المكانى.

١- د. زيدان عبد الباقى. المرجع السابق، ص٣٦٧.

٢- نفس المرجع، ص٣٧٦.

٣- د. عبد المنعم شوقى. المرجع السابق، ص٥٣.

تصنيف المدن فى مصر :

يمكن أن تصنف مراكزنا الحضرية إلى أربعة مجموعات رئيسية هى[١]:

(أ) مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط الصناعى المكثف، وأبرز الأمثلة على هذه المجموعة محافظتا القاهرة والإسكندرية ومدينتا المحلة الكبرى، وكفر الزيات.

(ب) مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط الصناعى التقليدى: والمثال على هذه المجموعة يتضح فى الصناعات القائمة المنتشرة فى عواصم محافظات الجمهورية.

(جـ) مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط التجارى: ومثالها مدن القناة الثلاث حيث يعتمد هيكلها السسيواقتصادى على مصادر التجارة فيها.

(د) مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط السياحى: وتعد الإسكندرية وأسوان من المحافظات الممثلة لهذه المجموعة التى تعتمد على إمكانيات السياحة فيها.

المسكن الحضرى فى مصر :

المسكن وسيط بين الإنسان والمجتمع الذى يعيش فيه، إذ أن شكل المسكن ومستواه تحددها المعايير الاجتماعية السائدة والعادات الثقافية المتأصلة. والمسكن بمفهومه الحديث قالب مادى للتفاعل الإنسانى ... وتتوقف طبيعة هذا التفاعل إلى حد كبير على تشكيلات هذا الإطار، بما يتضمنه من مبانى، وفراغات ومرافق، وخدمات وشوارع، وحدائق ومساحات، وأماكن التسلية، وأسواق وما يتيحه من نماذج بشرية ذات خلفيات ثقافية متعددة.

١- نفس المرجع. ص١٧٨.

فبقدر ما يؤثر الإطار المادى على سلوك وتصرفات وشخصيات الذين يشغلونه، تؤثر الأفراد والجماعات بدورهم على محيطهم السكنى، فيشكلونه، ويطوعونه، ويخضعونه لرغباتهم ومتطلباتهم، ففى داخل البيئة السكنية، ينشأ الأطفال، وتترعرع الصداقات، وتنمو العلاقات، وتزدهر، وتثور الخلافات والصراعات والضغائن وينمو الشعور بالإنتماء والإندماج، وتنمو مكانة الأغراض المرضية من القلق والعزلة والإنطواء، إلى الإنحراف والعدوان والإجرام[1].

والمسكن الحضرى فى مصر – باستثناء مناطق الإزدحام والتكدس، يمتاز بأنه أحسن حالاً من المسكن الريفى. وذلك من حيث طبيعته واتساعه وشموله لكل المرافق لخدمة سكانه. كذلك فهو مزود بالأدوات المنزلية كالثلاجات والغسالات الكهربائية والمياه الساخنة والتليفونات وغير ذلك مما لا توجد صورة له فى الريف.

ومن الملاحظ أن عدد سكان مسكن الحضر أقل من عدد سكان المسكن فى الريف، ويختلف هذا المتوسط من منطقة إلى أخرى، وإن كان متوسط ما يخص الحجرة الواحدة من السكان فى مسكن الحضر يتراوح بين ٣، ٤ أفراد، ومسكن الريف بين ٥، ٨ أفراد ومن الملاحظ كذلك أن مسكن الحضرى فى مصر لا يقوم بكثير من الأعمال الإنتاجية التى يقوم بها المسكن الريفى فى الغالب، كإعداد الخبز فى المنازل عن طريق الأفران المحلية، وإنتاج المسلى وصناعة الجبن، بينما تختفى تلك الظواهر فى المسكن الحضرى. وهناك كثير من أنشطة المناسبات نبتعد بها عن المنزل الحضرى كالأفراح والمآتم حيث تقام

١- د. نهى السيد حامد فهمى. المسائل الاجتماعية فى الإسكان والتخطيط الحضرى، نقلاً عن مجلة تنمية المجتمع – العدد أكتوبر ١٩٧٧، ص٦١.

فى الغالب فى المساجد والكنائس والأندية. ويحرص الحضرى على أن يزود مسكنه بحجرة تناول الطعام وأخرى لاستقبال الضيوف، وثالثة لأبنائه للاستذكار [١].

وفى ضوء هذا يتبين مدى أهمية توفير المسكن الصحى الملائم، والمحيط السكنى المخطط له، والذى يراعى المعايير والعادات فى المجتمعات المحلية الريفية والحضرية.

---

١ – د. أحمد كمال حبيب، د. كرم حبيب برسوم. المرجع السابق، ص ص٢١٩- ٢٢٠.

الفصل الخامس

مشكلات المدن

تمثل المشاكل في ريف أي دولة ضعف ما عليه مشاكل المدن. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر الفقر في الريف أشد وطأة مما عليه في الحضر. كما أن مناطق المدن المتروبوليتانية تحصل على ثلاثة أرباع الرعاية الصحية الفيدرالية والرعاية الاجتماعية. ويضاف إلى ذلك أن حجرات المسكن في الريف تزدحم بالأفراد أكثر من الحضر. وفي معظم المناطق الحضرية في العالم قامت هيئات مختلفة تقدم تسهيلات وخدمات. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يهتم المعهد الحضري The Urban Institute ومركز أبحاث السياسات The Center for Urban policy Research ، بدراسة مساكل الحضر بينما لا مثيل لهذه الهيئات في الريف عدا هيئة البرامج الزراعية The New Deal farm Programs ، وهيئة الأمن الزراعي والمزارع الإدارية The farm Decurity Administrative farm التي أنشئت عام ١٩٤٦. أما معهد منح الأراضي The Land Grant Colleges وهيئة الخدمات الزراعية Agricultural Extension Services فهي تهتم بتحسين الأعمال التجارية وتسويق المنتجات. وتهتم اهتماماً ضئيلاً بمشاكل الفلاح الفقير أو المشاكل الريفية الاجتماعية[١].

ومع ذلك فمن خلال عملية التنمية الحضرية والتصنيع، تظهر في المدن الكثير من المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية الناجمة عن وجود بعض عوامل التخلف الحضاري، وعن تأثيرات نمو حجم التركز في

1- Horton, Paul & Hunt, Chester L., Sociology. P. 422.

الحضر، وقدوم موجات من المهاجرين دون التخطيط لها بالشكل الذى يوفر لهم العمل المناسب والمسكن بدلا من تعطلهم لفترات طويلة واضطرارهم لقبول أى عمل، وإذا لم يجدوا العمل فإنهم يمارسون أعمالاً ضد المجتمع. ففى الولايات المتحدة الأمريكية تظهر الجريمة والصراعات السلالية. وفى مناطق حضرية أخرى يتكدس الناس فى مساكن ضيقة وسيئة التهوية وخالية من الخدمات الضرورية كالمياه والإضاءة والمجارى.

وتترابط هذه المشاكل ومن ثم فإن محاولة حل بعضها يؤدى إلى حل البعض الآخر. ويشعر ساكن المدينة بثقته فى إمكانية حل هذه المشاكل، وليس فى تجاهلها.

وتختلف المناطق الحضرية بعضها عن بعض. فهى تتباين فى معدلات النمو الحضرى، وفى دوافع النمو. وبالتالى تختلف مشكلات المدينة فى علاقتها بالتحضر من مجتمع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى.

- ففى مدن الولايات المتحدة الأمريكية تعود كثير من المشاكل إلى الاختلافات فى السلالة، وهجرة كثير من الأمريكيين الزنوج إلى مراكز المدن.
- وفى نيويورك ازداد معدل الانتحار عام ١٩٦٩ عن ضعف معدل الانتحار على المستوى القومى فى نفس العام. كما تظهر مشكلة السفر جوافى ازدحام المرور والتسهيلات الخاصة بمواقف التاكسيات.
- وفى لندن وضعت خطة لإنشاء نسق من الطرق العامة يتم تنفيذها فى نهاية القرن العشرين.
- ويزدحم المرور ازدحاما شديداً فى روما، ويقضى المواطن ساعات طويلة للوصول إلى شاطئ البحر. أما مجارى الصرف فهى ملوثة.

- وتختنق نابولى بالمجارى، وتتدهور فيها حالة المنازل والشوارع.
- وتظهر أزمة الإسكان فى بوينوس ايريس Buenos Aires فى الارجنتين، وترتفع فيها معدلات البطالة والجريمة.
- وفى مانيللا بالفلبين وضعت الكنيسة الكاثوليكية مشروعاً سكنياً لإقامة الفقراء تكلف ١١ مليون دولار (٤.٥ مليون جنيه استرلينى).

ولا يمنع ذلك من وجود مشكلات عامة تظهر مع نمو التجمعات الإنسانية. وهذه هى أهم مشكلات المدن:

١- مشكلات عمرانية:

وهى تخص مشكلات الاسكان. وتعد من أكثر المشكلات التى تواجهها المدن سريعة النمو، حيث تزداد درجة التزاحم السكانى فى الكيلو متر المربع فى المدن، مما أدى إلى أزمات سكنية، وعواقب اقتصادية واجتماعية خطيرة.

ولاشك أن مشكلة الإسكان مشكلة قديمة تأتى فى المرتبة الثانية بعد مشكلة حصول الإنسان على الطعام. فقد اخترع الإنسان منذ قديم الأزل الكهوف والخنادق والعشش المصنوعة من القش، ولكنها جميعا لم تعط الحماية الكافية. ثم اكتشف الإنسان حلاً تكنولوجيا، وتعلم بناء المساكن من الأخشاب والطوب والأشجار والحديد والخرسانة. وقد أدى هذا الإنجاز العلمى إلى ظهور مشكلات جديدة، إذ استطاع الإنسان بناء المساكن المناسبة، ولكنها لم تكن فى مقدرة الجماهير، فكان الإسكان المناسب حق للأقلية، أما المساكن المتخلفة فتسكنها القاعدة الشعبية. ومن ثم تميزت المناطق المتخلفة بانتشار الأمراض وزيادة معدلات الوفيات(١).

1- Egon Renest. Bergel, Op. Cit., P. 431.

وقد قامت تعاونيات فى كثير من بلدان أوربا لبناء المساكن. وكونت هذه التعاونيات جمعيات توفر الحصول على الأرض، وتقوم ببناء المساكن بنفسها لتخفيض تكاليف البناء ويقدم الإسكان التعاونى مزايا عديدة لأعضائه فهو يقوم بشراء قطعة أرض كبيرة سعرها أقل من سعر القطع الصغيرة. كذلك فإن البناء التعاونى لعدد من المساكن فى آن واحد يقلل من تكاليف البناء ويوفر للأعضاء ما كانوا يدفعونه للسماسرة والمقاولين.

ففى هولنده، تمتلك الجمعيات التعاونية المساكن، وتقوم بإدارتها على أساس من عدم الربح. وهناك ما يزيد عن ١.٠٠٠ جمعية تعاونية. وتمول الحكومة برامج بناء المساكن تمويلاً مركزياً غير مباشر، فتدفع قروض شراء الأرض على أقساط، على مدار خمسة وسبعين عاماً. وتدفع قروض بناء المساكن على خمسين عاماً بفائدة مقدارها ٤%. وفى عام ١٩٤٠ امتلكت الجمعيات ١٠% من المساكن، وقامت بتأجير معظمها للعمال.

وبالإضافة إلى هذا النوع من المساكن، هناك المساكن التى يقوم ببنائها أصحاب الأعمال، ويقومون بتأجيرها لعمالهم بإيجارات رمزية. ويؤخذ على هذا المشروع أن إدارة المصنع قد تستغل مركزها بصفتها مالكة المسكن وتمارس ضغوطاً على العمال. ويتمثل ذلك فى شركة البولمان Pullman Company التى قامت ببناء مساكن لعمالها، وانتهت التجربة بسبب المنازعات القانونية، وشعور العمال بضغط الإدارة عليهم، فهم لا يستطيعون تقديم استقالاتهم، إذ يؤدى هذا إلى طردهم من المسكن الذى يمتلكه صاحب العمل(١).

1- Ibid., PP. 436- 439.

وفى الولايات المتحدة وضعت برامج لإزالة معظم المدن وإعادة تجديدها وصدر قانون الإسكان عام ١٩٤٩، والذى يقضى بإزالة الأحياء القديمة. وساهمت الدولة بثلثى تكاليف الإسكان(١).

وفى بروت ايجو Pruitt - Igoe فى سانت لويس St. Louis أعيد تجديد الإسكان الحضرى فى المناطق المتخلفة. وفى ريودى جانيرو Rio de Janeiro أنشأت الحكومة البرازيلية ضواحى ومساكن جديدة(٢).

٢- حركة المرور :

تعد حركة المرور من أهم مشاكل المدينة فى العصر الحديث، فأنماط الشوارع فى قلب معظم مدن أوروبا قد شيدت منذ العصور الوسطى. وهى لا تتناسب مع حركة مرور السيارات فى عصرنا الحالى. ويتمثل ذلك فى روما وفيينا وفلورنسا. وقد قام الأوربيون بتغيير أنماط الشوارع لتخفيف أزمة المرور، فوسعوا الشوارع والميادين، ووضعوا إشارات المرور. كما شقت شوارع فرعية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى برلين الغربية، وميونخ، وهامبرج، وبراج، وبودابست، وروما، وميلان، ومدريدا، ولندن، وباريس(٣).

٣- مشكلات تخص الخدمات .

يقصد بها عدم كفاية الخدمات اللازمة لمواجهة حاجات الأفراد وهى تتمثل فى عدم كفاية المياه والمجارى والإنارة والبريد والخدمات، أو المدارس

1- Joseph, Rouceck, OP. Cit., P. 328.

2- Charles H., Southwick. Ecology and the Quality of Our Environment, P. 78.

3- Barbara, Habenstreit, Op. Cit., P. 15.

الموجودة لا تتمكن من استيعاب الأولاد والبنات الذين وصلوا إلى سن التعليم، أو المستشفيات لا تكفى المرضى.

وقد تكون هذه الخدمات موجودة فعلا، ولكنها بغير انتظام مما يجعلها لا تقابل حاجات الأفراد. ويتمثل ذلك فى وجود سيارات عمومية كافية فى مدينة، ولكنها لا تراعى مواعيد دخول وخروج الموظفين مثلا، أو أن تكون هناك مكاتب للبريد كافية، ولكنها موزعة توزيعاً غير عادل بين الأحياء المختلفة.

٤- مشكلات تخص العمل :

ظهرت البطالة نتيجة لكثرة العرض من الراغبين فى العمل.

٥- مشكلات تربوية

تختص بالتعليم المدرسى، وتعليم الكبار، وكل برامج الثقافة العامة.

٦- مشكلات ترويحية :

تختص بمشكلات الأندية والساحات والحدائق وأماكن اللهو ... الخ.

٧- مشكلات صحية :

وتخص مشكلات المستشفيات ومشكلات الصحة الوقائية والإرشاد الصحى. وتتمثل فى المدن الأمريكية فى القرن التاسع عشر، حيث كانت الأحياء السكنية متخلفة، والروث مكوم فى الطرق، والحيوانات الميتة العفنة ملقاة عند تقاطع الشوارع. أما فضلات طعام المنازل فكانت تلقى على الأرض. وكانت البالوعات تطفح على الأرض وعلى الشقق الأرضية. ولوثت مخلفات المصانع مياه الشرب. وقد أدت هذه الأمور إلى عدم نظافة المدن، وسوء الحالة الصحية وانتشار الأمراض[١].

1- Lawrence H., Larsen The urban west and the End of the frontier, P.61.

٨- مشكلات مرضية :

وتتمثل فى إدمان العقاقير واحتساء الخمور والدعارة، ولعب الميسر، والإجرام والتسول والبطالة وتشرد الأحداث والسرقة. وهى رذائل تشوه سلوك الأفراد والعائلات فى المجتمع الحضرى. فادمان العقاقير وممارسة الدعارة مظاهر حضرية. وغالباً ما تخلو المناطق الريفية من هذه الرذائل، ويعود هذا إلى تمسك أفراد المجتمع الريفى بالعادات والتقاليد، وقوة مظاهر الضبط الاجتماعى وتعتبر هذه الرذائل أساس الكوارث فى المجتمعات المتقدمة.

ويتمثل ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وايرلنده حيث ينشر لعب الميسر(١). وفى مدن فرنسا وبلجيكا تزداد الجريمة والانحراف. كما تنتشر الجريمة فى مدن اليابان وفى الهند خرج تقرير رسمى لمكتب قياس الذكاء مؤداه أن جرائم الشباب تنتشر فى المدن والمراكز الكبرى(٢).

أما مدن العالم الإسلامى ومدن غرب آسيا فتنخفض أو تكاد تختفى معظم هذه المظاهر(٣).

٩- مشكلات الأحداث :

وهى تختص بالبرامج والمؤسسات التى ترعى الفئات الخاصة مثل الأحداث.

١٠- مشكلات نفسية :

وتتمثل فى سوء العلاقات بين الجماعات فى المجتمع، وعدم اهتمام المواطنين بمشاكلهم المشتركة وترك أمرها للظروف.

1- Egon Ernest, Bergel, Op. Cit., P. 382.

2- Marthall Clinard, B., Urbanism and Deviant Bahavior in Baali, fuad & Vandiver, Jeseph, Op. Cit., P. 310.

3- Egon Ernest, Bergel, Op. Cit., P. 382.

وهنا تقع مسئولية الحكومات والهيئات الطوعية فى معالجة هذه المشاكل، ويتبلور ذلك فى الآتى:

١- هدم المناطق المتخلفة وإعادة بنائها.

٢- بناء مستعمرات سكنية جديدة فى المناطق الحالية حول المدينة.

٣- تدعيم المبانى الموجودة التى تحتاج إلى تدعيم، وهدم المستهلك منها وشق الشوارع الواسعة فى الأحياء المتخلفة.

٤- توزيع الخدمات التربوية والتعليمية والصحية والاجتماعية، والارتفاع بمستوى ظروف المعيشة، وإعداد برامج للشباب، وأنشطة الأندية، وتشجيع الصناعات والمهن اليدوية المحلية.

الفصل السادس

تخطيط المدن

تقديم:

يصعب تحديد مدى تركز السكان فى منطقة ما، كما يصعب تحديد قيمة الأرض فى ظل نسق الملكية الفردية. ومن ثم يترك للمشروع الخاص تحديد حدود المدينة ومواقعها الصناعية ومناطق إقامة السكان، حيث تتباين أذواق الناس، وتختلف مصالحهم الاقتصادية، ويصعب خضوع المدينة للضبط والتخطيط(١).

والتخطيط أسلوب علمي يهدف إلى دراسة جميع أنواع الموارد والإمكانيات المتوفرة فى الدولة أو الإقليم أو المدينة أو القرية، وتقرير كيفية استخدام هذه الموارد فى تحقيق الأهداف وتحسين الأوضاع. والتخطيط بهذا المفهوم عملية تنظر إلى المستقبل وتتنبأ به، وتحاول تحقيق الآمال التى يرجوها الشعب باتباع وسائل معينة(٢).

ويعتقد البعض أن تخطيط المدن عملية تنمية فيزيقية تتمثل فى موقع المدينة وحجمها، وفى الاعتبارات الهندسية التى تبدو فى صيغ كمية مثل عدد الشوارع والمنازل والمنشآت. وفى الحقيقة فإن تخطيط المدن يقوم على استراتيجية مؤداها إدراك أهمية المظاهر الديموجرافية والاجتماعية والثقافية والسلوك والمبادئ الايكولوجية، ولاشك أن المسكن المخطط تخطيطا جيداً فى بيئة مناسبة، يعد هدفاً رئيسياً للتخطيط، حيث تستهدف الأسرة مسكناً يحقق لها

1- Robert , Park, Op. Cit., P. 5.

٢- د. فؤاد محمد الصقار. التخطيط الإقليمي، ص١٠.

الوقاية الصحية وتوفير الخدمات الاجتماعية. ويعتمد هذا على الإمداد والخدمات، وعلى التركيب الاجتماعي في المنطقة، والعلاقات الاجتماعية بين السكان، وعلاقة المناطق بعضها ببعض.

ولهذا تسهم علوم الهندسة المعمارية والهندسة المدنية وعلم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والسياسية مساهمة فعالة في عملية تخطيط المدن. وقد اهتمت بعض كليات الهندسة في جامعات العالم بتدريس هذه العلوم. ويتمثل ذلك في كلية الهندسة المعمارية والتخطيط - جامعة هارفارد، إذ تقوم بتدريس العلوم الاجتماعية.

وقد ينظر كل عضو من الأعضاء - عند تكوين فريق تخطيط المدن - إلى عضو التخصصات الأخرى نظرة خاطئة. فالمعماري يعتبر رجل الاقتصاد ما هو إلا مقدار لتكاليف البناء المادية. وينظر رجل الاقتصاد إلى رجل الاجتماع على أنه يهتم بالبحث عن مصادر القوة Power والتنظيم الاجتماعي وهو يفتقر إلى معرفة احتياجات السوق.

ومن ناحية أخرى، فإن مصطلحات مثل "الهامشية" و "العقلانية" و "الديناميكية" و "الجماعة" تعد مفهومات مختلفة في التخصصات المتباينة. إلا أنه مع قليل من الصبر والتحمل، ومع مرور الوقت، سوف يدرك كل عضو من أعضاء هذه التخصصات دور عضو التخصص الآخر إدراكاً جيداً(١).

ومنذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة مارس الناس تخطيط المدن. إلا أن هذا يختلف عن مفهوم التخطيط في عصرنا الحالي. ففيما مضى نمت المدن الأولى نموا طبيعيا منتيجة نمو القرى. فقد كانت روما وأثينا وباريس ولندن

1- J. B., Cullingworth problems of Urban Society, P. 27.

ونيويورك قرى صغيرة. ويرجع ذلك إلى صغر حجم التجمعات المحلية، وافتقار المدن القديمة إلى التطور التكنولوجي الذى أدى إلى تعقد المدن فى عصرنا الحالى، وبساطة وعدم وتعقيد النشاطات الاقتصادية والصناعية. هذا فضلاً عن سلطة الملوك والحكام التعسفية والتى كانت تحدد مدى التخطيط. وفى ضوء هذه الظروف كان تخطيط المدن فيما مضى يهتم بالموقع والحجم وتنظيم المدينة المغلق(١).

تخطيط المدن فى المراحل الأولى من التاريخ :

خصصت القبائل البدائية قطعا من الأرض تصلح لإنتاج المحاصيل، وقطعا أخرى لتربية ورعى الحيوانات، وثالثة للإنتاج. وأدت هذه التجارب وانتقالها من جيل إلى جيل إلى التحديث. وقد وضع البدائيون خططا لاستخدام الأرض التى كانت كبيرة ويسكنها قلة من السكان يعيشون عيشة ممتواضعة.

وحددت مواسم الزراعة والرعى فى الأزمنة الغابرة عادات استخدام الأرض. وأدت الزراعة وظهور فائض الإنتاج إلى إنشاء مخازن لتخزين المحصول. كما شيدت حظائر للحيوانات. وازداد عدد سكان المدن من الارستقراطيين(٢).

تخطيط المدن فى مصر الفرعونية :

سبق قدماؤنا المصريون العالم كله عندما بدأوا بناء المدن حول المعابد والأهرامات فقد قرأنا فى كتب التاريخ المدنية المسماه بقاهون والتى شيدت سنة ٣٠٠٠ ق.م. لإيواء العمال لبناء هرم اللاهون. وكانت هذه المدينة ذات طرق

1- Melville C. Branch, (Ed.), Urban Planning Theory, P. 2.

2- Alan, Black, The Comprehnsive plan in Branch, Melville (Ed.), Op. Cit., P. 221.

متعددة ومستقيمة، ثم كانت أقدم المدن المصرية التي بنيت على أساس تخطيطي مثل تل العمارنة، التي أنشأها امنحوتب الرابع في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١].

تخطيط المدن في العصر اليوناني :

وفي العصر المقدوني ظهرت المدن الإغريقية مثل أثينا واتسعت هذه المدن وأصبح لبعضها ضواحي وموانى للتجارة مثل بيريه. وخطط الاسكندر الأكبر لبناء عدد من المدن الجديدة، وكان أهمها مدينة الإسكندرية في مصر. وقد بلغ عدد سكانها مليون نسمة[٢].

تخطيط المدن في العصر الروماني :

وفي العهد الروماني أدخلت تحسينات عديدة. فقسمت المدينة إلى أحياء سكنية وأخرى تجارية وصناعية مع تسهيل حركة المرور، وأخذ في الاعتبار تقسيم الشوارع بعروض حسب أهميتها. وكانت الشوارع الرئيسية متوازية والفرعية عمودية عليها[٣].

تخطيط المدن في العصور الوسطى :

كانت مدينة العصور الوسطى تخطط وفقاً لواحد من ثلاثة نماذج أساسية تطابق نشأتها التاريخية، وخواصها الجغرافية، وأسلوب تطورها. ووراء هذه النماذج الحضرية كانت توجد كذلك نماذج ريفية أقدم عهدا، كتلك التي نجدها في قرية الشارع، وقرية الطرق المتقاطعة، وقرية الأرض العامة[*] والقرية المستديرة ويمكن التمثيل لها في الرسم بهذه الأشكال:

١- د. إبراهيم الدميري. دراسات النقل وتخطيط المدن - نقلا عن مجلة الطرق العربية - العدد الثاني ١٩٨٠، ص٢٧.

2- Barbara, Habenstreit, Op. cit., P. 117.

٣- د. إبراهيم الدميري. المرجع السابق، ص٢٧.

* أي التي نشأت على أرض لا تدخل في حيازة أمير الاقطاع أو غيره.

O, و + و =

وقد احتفظت المدن التى بقيت فى أيام الرومان عادة بنظامها من حيث تقسيم الأرض وحدات مستطيلة فى وسط المدينة الأصلى. مع ما طرأ على ذلك فى التعديل بإقامة قلعة أو دير، وهو ما كان جائزاً أن يغير من نظام التقسيم إلى رقع متساوية. والمدن التى نمت على مراحل بطيئة من قرية أو مجموعة قرى فى كنف دير أو قلعة كانت أشد مطابقة لطبيعة تكوين الأرض ولا تتغير إلا ببطء جيل بعد جيل.

والواقع أنه فى أول بداية العصور الوسطى يكشف المرء وجود شيء من الإيثار للتخطيط الهندسى المنتظم، مع اتخاذ المستطيل أساسا للتقسيم الثانوى، وآية ذلك التخطيط المثالى للدور الأرضى بدير سانت جالSt. Gall فى القرن التاسع. ولقد أوضح كنيث كونانت Kenneth Conant أيضاً أن المبانى الأصلية فى كلونى Cluny أقيمت على هيئة مستطيل داخل مربع يبلغ طول ضلعه ثلاثمائة قدم[١].

وكانت الرغبة فى إبراز أهمية قلب المدينة هى مصدر وجود المنحنيات الأساسية فى مدينة العصور الوسطى، حيث كثرت الطرق المنحنية، وتغيرت العروض للطريق الواحد، وأخذت هذه المدن طابعاً مميزاً فى أغلبها حيث يبدأ عمرانها بأن تبنى مساكنها حول القصور والمبانى الهامة. ومع الزيادة السكانية لهذه المدن وفى مراحل الهدوء النسبى من الحروب امتد العمران إلى خارج الأسوار فى اتجاه محاور الطرق الموجودة وحول المدينة القديمة، وأقيمت أسوار دفاعية جديدة، فقد بلغ عدد الأسوار حول باريس ثمانية أسوار دفاعية.

---

١ - لويس ممفورد. المرجع السابق - الجزء الثانى، ص ص٥٤٩- ٥٠٠.

وكان السور والبوابات والحصون من أهم سمات مدينة العصور الوسطى لحماية قاطنيها. أما السور فكان يبث في المدينة إحساساً بالعزلة. وكانت بوابة المدينة مكان اللقاء بين عالمين الحضرى والريفى، الداخلى والخارجى. وكانت البوابة الرئيسية أول ما يقدم التحية للتاجر، أو الحاج، أو عابر السبيل العادى، وكانت فى آن واحد مقرا للجمرك، ومكتبا للجوازات، ومركزا لمراقبة الهجرة، وقوس نصر كثيراً ما كان ينافس بأبراجه كما هو الحال فى لوبيك - أبراج الكاتدرائية أو دار البلدية. وعلى مقربة من البوابات كانت تبنى عادة دور التخزين، كما تكثر الفنادق والحانات، وكذلك كان الصناع والتجار يقيمون حوانيتهم فى الشوارع المجاورة.

ومن حيث الأماكن الفضاء فى مدينة العصور الوسطى - بما فى ذلك الساحات الكبيرة للأسواق والساحات أمام الكاتدرائيات - فهى ميادين بالمعنى المتعارف عليه. وكثيراً ما كانت السوق فى شكل غير منتظم، فهى أحياناً مثلثة، وأحياناً ذات شكل متعدد الجوانب أو بيضاوى، وتارة على هيئة أسنان المنشار، وتارة ذات شكل مقوس. ويبدو أن السوق كانت تتخذ شكلها قسراً لا اختياراً لأن حاجات المبانى المجاورة هى التى لها الاعتبار الأول، وهى التى كانت تحدد توزيع الأرض الفضاء. وعلى الرغم من أن السوق لم تكن أحياناً سوى شارع زيد فى اتساعه، فإن هناك أمثلة أخرى فى بروكسيل أو بريمن، وفى بيروجيا أو سيينا، حيث يبلغ المكان من الاتساع ما لا يكفى لإقامة منصات عديدة للسلع فحسب بل لإقامة اجتماعات ومهرجانات عامة.

وفى ساحة السوق كانت النقابات تقيم مسارحها لتمثيل مسرحيات، وهناك، كان ينزل العقاب الوحشى بالمجرمين أو الخارجين على الدين، فيلقون حتفهم شنقاً أو حرقاً، كما كانت تقام المباريات الكبرى فى المبارزة. وكثيراً ما كانت

ساحة السوق تؤدى إلى ساحة أصغر منها عن طريق ممر ضيق، وكانت سوق بارما مثلاً واحداً من أمثلة عديدة، وكانت سوق الأقمشة والسلع المصنوعة من المعادن منفصلة عن سوق المواد الغذائية.

وفما عدا الكاتدرائية، ودار البلدية أحياناً، حيث كان الحجم والارتفاع يعتبران من الصفات الرمزية الهامة، فإن القائمين على أمر البناء في العصور الوسطى كانوا ينزعون إلى الالتزام بأبعاد معقولة متواضعة، فبيوت الصدقة كانت تنشأ لإيواء أفراد يتراوح عددهم بين السبعة والعشرة. وكان يهيأ مستشفى صغير لكل ألفين أو ثلاثة آلاف من السكان. وكذلك تضاعف عدد كنائس الابرشيات في أنحاء المدينة الآخذة في النمو، بدلاً من إقامة بضعة مبان كبيرة في وسط المدينة. وطبقاً لمايقوله فيتزستيفن كان يوجد في مدينة لندن في القرن الثاني عشر ١٣ من كنائس الأديرة و ١٢٦ كنيسة أصغر منها، لعدد من السكان ربما كانوا يبلغون ٢٥.٠٠٠ نسمة.

وكانت للمنازل واجهتان تطلان على شارعين. أحداهما تطل على شارع عريض يبلغ اتساعه أربعاً وعشرين قدماً، والأخرى تطل على زقاق يبلغ عرضه سبعة أقدام. وكانت الشوارع غير منتظمة، وتكثر بها المنحنيات الحادة والسدات.

وقبل أن يعم استخدام العربات بنحو ثلاثة قرون كانت قد توارت عن الأنظار الطبقة السطحية الطبيعية لمواطئ الأقدام في الشوارع، وذلك لأن رصف الشارع للسائر على قدميه قد أدخل في باريس منذ سنة ١١٨٥، وفي فلورنسا في ١٢٣٥، وفي لوبيك سنة ١٣١٠[١].

١- نفس المرجع، ص ص٥٦١- ٥٦٧.

وكانت مدينة العصور الوسطى مدينة غير صحية، فهى تعانى من جميع أنواع الأوبئة، إذ ما زالت تكنولوجيا الطب بدائية. ولذلك ارتفعت نسبة الوفيات والأمراض فى مدن العصور الوسطى عن المناطق القروية[١].

تخطيط المدن فى عصر النهضة

ومع انحلال العصور الوسطى وانبثاق عصر النهضة، ظهر انعكاس القيم الروحية والأفكار الدينية والنظام السياسى على تخطيط المدن والتصميم المعمارى. ففى كثير من المدن هدم السور وحل محله حزام أخضر من الحدائق. كما عمد المشتغلون بالتخطيط والبناء إلى إزالة الجدران المتزاحمة، وهدم الحظائر والحوانيت الخشبية والمنازل، وأنشئ بدلا منها القصور للنبلاء، والمبانى العامة الحكومية. وقام المخططون باختراق الأزقة المتعرجة لإنشاء شارع مستقيم أو ميدان مستطيل طلق. كما أنشئت الحدائق العامة حتى يجد الناس مجالاً للتنفس. وكانت إمارات مدينة عصر النهضة الشارع المستقيم، والخط الأفقى المتواصل للسقوف، والقوس المستدير وتكرار عناصر متجانسة على واجهة المبنى، كالطنف (الكورنيش)، والعتب، والنافذة، والعمود.

وعندما أتيح للمشتغل بالتخطيط أن يكون حراً فى وضع تصميم مدينة بأكملها وفقاً للمبادئ التى أنشئ عليها الشارع الجديد (سترادافونا) أو مبادئ الدواوين الحكومية (اوفيتسى) انكشف وجوه النقص من الناحية الجمالية، فى هذا الإطراد فى تنظيم الأرض الفضاء على نطاق واسع.

ومن ثم فإن الأماكن التى كان يسمح ببقائها مضطربة فى المدينة كسبت رداء قشيبا، فالمواقع التى لم تتناولها يد الإنسان بالتهذيب، وتأثرت بفعل عوامل التعرية مثل تل الكابيتول فى روما، رصفت بالحجر ، وتحول طريق الماعز

1- Egon Ernest, Bergel, Op. Cit., P. 369.

الوعر الانحدار إلى مرتقى فاخر من الدرج. وظل قدر من هذا الدرج باقيا فى أفضل الأعمال التى نمت فى العصر الباروكى (النهضة)، وبخاصة فى النافورات المزينة بزخارف منحوتة والميادين التى صممها وزخرفها برنينى Pernini فى روما[١].

وبانبثاق عصر النهضة، أنشئت المساكن الصحية، وظهرت الطبقة الوسطى، أما الطبقات الفقيرة فكانت تعيش دون مأوى لائق. وفى هذا العصر ارتفعت نسبة الوفيات بين الطبقات الفقيرة. وكان مرض الطاعون أكثر الأمراض انتشاراً. وفى عام ١٦٦٦ قام حريق لندن مما تسبب عنه هدم ١٣.٠٠٠ مسكن وقد وصف السير والتربيسانت Walter Besant هذا الحريق بأنه كان عملية جراحية ضرورية عملت على الحفاظ على الحياة ببناء مساكن جديدة لائقة[٢].

تخطيط المدن فى العصر الحديث:

استهدف تخطيط مدن أوربا فى العصر الحديث تحقيق جوانب جغرافية وجيولوجية وفيزيقية وسياسية واقتصادية ومهنية وقانونية واجتماعية وثقافية وتكنيكية وسلوكية، حيث توضع جميع هذه الجوانب فى الاعتبار عند تخطيط المدن وإقامة المبانى.

ويحقق التخطيط فى العصر الحديث عملية الابتكار الفنى. ويعد تعبيراً عن المثالية الطوبائية. فقد كانت انجازات هذا العصر عملية تنمية من جمهورية Republic أفلاطون إلى يوتوبيا Utopia مور، أو من مدينة أوغسطين المقدسة De Civitate Dei إلى رؤية جديدة للمجتمع New View

---

١- (لويس) ممفورد. المرجع السابق - الجزء الثانى، ص٦٤٣.

2- Egon Ernest, Bergel, Op. cit., P. 431.

of Society لروبرت أوين. فقد استهدف تخطيط المدن فى هذا العصر تحقيق كرامة الفرد.

وبدا أهمية التأمل العقلى – خلال العشرين سنة فيما قبل الحرب العالمية الأولى – للتقدم الاجتماعى، وتحقيق كرامة الإنسان واهتمت السياسات الليبرالية بالإصلاح الاجتماعى، وأهمية التخطيط. وأضحى ما يبتكر أسلوب جديد فى الحياة، وأخوة جديدة، وحل للمشاكل الاجتماعية التى لمسها الشعب منذ عهد الملكة فيكتوريا فى انجلترا.

وهكذا تنم المدن والحضارة فى أى عصر من العصور عن القيم الاجتماعية. وهى انعكاس للاختراعات ومستودع للثقافة. فأى مجموعة من المبانى إنما تعبر عن الإنجازات الثقافية لعصر من العصور: العصر السوميريانى Sumerian ، العصر الرومانى، وروما فى عصر النهضة، أو بريطانيا فى عهد جورج.

وكانت انجلترا رائدة تخطيط المدن الجديدة إذ رأى التحول الاقتصادى والاجتماعى الهائل فى بريطانيا فى القرن التاسع عشر دوراً هاماً فى تخطيط المدن، ففى هذا القرن كانت بريطانيا مجتمعا حضرياً، وكانت البيوت المكدسة بالأفراد والمساكل الاجتماعية فى المراكز والمدن تجربة قومية. واهتم المسئولون بالنمو التدريجى لنسق الإسكان والصحة. وابتكرت أساليب تنظيمية للعمل والإدارة فى الحضر. منذ عام ١٨٢٠ نظمت الشئون المحلية، وهى ظاهرة سياسية تعتبر جزءاً من عملية نمو الديموقراطية فى بريطانيا. وانعكست هذه الظاهرة على الحياة اليومية للمواطنين، فقلت ساعات العمل، وتحسنت ظروفه وأنشئت المساكن الواسعة، والمدن الجديدة، والشوارع العريضة، وأمدت

الحكومات المواطنين بالمياه، والمجارى، والوقود، والكهرباء، والتعليم، والصحة، والرعاية الاجتماعية[1].

وفى مستهل سنوات هذا القرن استوحى المخططون اصلاحات العهد الفيكتورى. فقد مارست السلطات المحلية للتخطيط الفيزيقى بواسطة القوانين قبل حركة الإسكان وتخطيط المدن عام ١٩٠٩. وكانت الرقابة الفيزيقية فى أيدى الخاصة من أمثال كابيرىCabury وسالت Salt وليفر Lever وأصحاب الأراضى الذى أنشأوا القرى الخاصة والمدن الخضراء، وضبطوا التنمية الفيزيقية، ووضعوا شروطا تحدد استخدام الأرض والمبانى وأسلوب التطور، وعلاقة كل وحدة أو عنصر بالوحدات أو العناصر الأخرى. وبدى ذلك فى أنه يجب على مستغل الأرض أن يحصل على تصريح من السلطات المحلية التى قد توافق أو ترفض خطته حتى تضمن التنسيق بين المستويات المختلفة[2].

ويعتبر التخطيط فى لاقرن العشرين عملية اجتماعية. فقد انتشرت خطط السنوات الخمس من الاتحاد السوفيتى إلى الدول الاشتراكية أو الشيوعية كالهند والبرازيل. وفى الولايات المتحدة قامت الحكومات ببناء المدن خاصة بعد الانهيار الاقتصادى عام ١٩٣٠، وكذلك بعد الحرب الثانية. واهتم المسئولون بمشاكل المدن الاجتماعية، وهو ما نسميه بالتخطيط الحضرى. وأنشئت المدن باعتبارها جزءاً من البرامج الصناعية. وشيدت العواصم لتقوم بأعمال الوظائف الحكومية . واهتم مخططوا المدن بالشئون

1- Gordon Cherry, Op. Cit., P. 6.

2- J. Briant, & M. C. Laughlin, Control and Urban Planning, PP. 13- 14.

الخاصة بالصحة، وازدحام المواصلات[١].

وفى منتصف عام ١٩٦٠ أشرفت هيئة الاسكان The Housing Act فى الولايات المتحدة الأمريكية التى أنشئت عام ١٩٤٥ على مشاريع بناء المدن، وأنشأت ٥٨.٠٠٠ وحدة سكنية فى ٢٠٠ مدينة أمريكية[٢].

وفى أثينا قامت مجموعة من المعماريين عام ١٩٣٣ أطلقت على نفسها اسم "Congress Internation d'Architektur Molern - CIAM" بوضع خريطة جديدة لأثينا فيها قفزة هائلة من الفكر الذى اشتمل على[٣]:

١- أن الحى السكنى يجب أن يوجد مستقبلاً فى أفضل الأماكن داخل المدينة من حيث الموقع والمناخ ووصول أشعة الشمس إليه وقربه من المساحات الخضراء.

٢- عند تخطيط المساكن يجب أن ينال كل مسكن ولو قسطا بسيط من أشعة الشمس.

٣- أن تكون المسافة بين مكان العمل والمسكن أقل ما يمكن.

٤- أن تكون المناطق الصناعية معزولة عن المناطق السكنية بمساحات خضراء كافية.

٥- أن يكون موقع المناطق الصناعية قريباً من خطوط السكك الحديدية أو المجارى المائية، وقريب من طريق رئيسى.

1- William, Peterson. The Concept of Urbanization Planning in Baali, fuad & Vandiver, joseph; Op. Cit., P. 362.

٢- د. إبراهيم الدميرى. المرجع السابق، ص ص٣١- ٣٢.

3- Peter, Marris, Implication of Urban Development in Baali, fuad & Vandiver, Joseph, ("Eds). Op. Cit., P. 369.

٦- أنه من الممكن للصناعات اليدوية الخفيفة أن تكون بداخل المدينة.

٧- يجب ربط منطقة وسط المدينة والأنشطة العامة بالأحياء السكنية بشبكة من الطرق والمواصلات تفي باحتياجات حركة نقل الأفراد اليومية.

٨- يجب مراعاة التدرج في قطاعات الطرق حسب الأهمية وتدفقات الحركة على كل محور وتقسيمها إلى طرق خدمات دخول وطرق توزيع رئيسية على مستوى المدينة.

٩- عمل طرق خاصة للمشاه والاهتمام بها بعيداً عن حركة السيارات.

١٠- الاهتمام بالمناطق الخضراء داخل المدينة ومحاولة زيادة رقعتها لتشكل أيضاً في تكوينها مناطق عازلة بين محاور الطرق الرئيسية ذات أحجام المرور العالية والمناطق السكنية المحيطة لها.

وتبدو أهمية حتمية البيئة لتحقيق السكن الملائم، والكثافة السكانية المناسبة، وكذلك النواحي الجمالية، ووضع مخططوا المدن في اعتبارهم - في عصرنا الحالي - أهمية توافر الشمس والهواء التي توفر تحسين الصحة، وأنشأوا مناطق مناسبة للإقامة والعمل واللعب، وعدم حرمان سكانها من الاتصال بالمناطق الريفية.

وتميل المدن حاليا إلى أن تأخذ شكل خطوط مستقيمة مما يسمح بإقامة المباني والمجاري، والطرق والرصف، وبما يسمح باحتياجات المرور. واعتبرت الشوارع المنحنية خطراً على الدولة[١].

وتتأثر المناطق الحضرية في عصرنا الحالي بالمؤثرات السيواقتصادية والبيئية التي تعتري أي جزء من بقاع العالم. فقد ربطت وسائل النقل الجوي

1- Le. Corbusier, Op. Cit., P. 16.

والتليفزيون بين أجزاء العالم. ووضعت هذه المؤثرات فى الاعتبار عند تخطيط المدن. بل وأصبح تخطيط المدن فى الوقت الحاضر يمتد ليشمل الإقليم الواقع فيه المدينة. وتحول تخطيط المدن إلى ما يعرف "بالتخطيط الإقليمى للمدن Regional Town Planning" فالمدينة ليست ظاهرة قائمة بذاتها، بل ترتبط فى عوامل قيامها ونموها بالمناطق المحيطة بها والمعتمدة عليها والتى تمدها بحاجتها.

والمدينة الحديثة هى قطعة من الأرض اختارها الناس ليعيشوا عليها ويعملوا ويتعلموا ويلعبوا ويتاجروا ويتعبدوا. وهى خليط من البيوت والمحلات والمصانع والمكاتب والمدارس والمكتبات والمسارح والمستشفيات والحدائق والمساجد والكنائس، وأماكن المقابلات ومراكز للحكومة، ولمحطات إطفاء الحرائق، ومكاتب البريد. وترتبط أجزاء المدينة بعضها ببعض بشبكة من المواصلات وطرق النقل وقنوات الاتصال.

ولتنسيق هذه التسهيلات تبرز أهمية وجود خطة عامة. فالتغير فى أى جزء من أجزاء المدينة يؤثر فى الأجزاء الأخرى. فبناء منزل جديد يؤدى إلى اكتظاظ المرور فى الشوارع، وكثرة الخطابات فى صناديق البريد، وزيادة العملاء فى المحلات، وازدياد الحاجة إلى مزيد من المدارس والمياه، وكذلك تزيد الضرائب، وتنظم الخدمة العامة المدينة من حيث تحسين الصحة والأمن والرعاية الاجتماعية، كما تنظم استخدامات الأرض.

ففى مصر قام عدد من الهيئات فى مناطق مختلفة فى الجمهورية بإنشاء وحدات الخدمات فى مجتمعات حضرية محلية. ومن أمثلة هذه المشروعات الخدمات المجمعة بمدن العمال فى شبرا الخيمة وفى المدن التعاونية فى الدقى بالجيزة ... وتضم مشروعات الخدمة المركزية عادة وحدات – كبيرة أو صغيرة

- لسوق محلية ومكتب بريد وتلغراف وصالة للخدمات الثقافية ومكاتب للأطباء والمحامين والمحاسبين إلى غير ذلك من الخدمات(١).

وهكذا فإن تخطيط المدن الحديث يعد تعبيراً عن التاريخ الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الحديث. فهى عملية تفاعل بين الماضى والحاضر. وتنتج عن الحضارة والوجود الإنسانى. وترتبط بالمعرفة ارتباطاً وثيقاً.

أهداف التخطيط الحضرى:

تظهر أهمية التخطيط مع ظهور مشاكل المدن، حيث تحتاج المدن إلى مراكز للترفيه، ووحدات الصحة العامة، والمدارس، ووسائل تنقية الجو من التلوث، والإضاءة، والإمداد بالمياه ومجارى الصرف، وتنظيم حركة المرور. وبدون التخطيط تنتشر الأحياء المتخلفة، فيحفر لإقامة المجارى والإمداد بالمياه، وينشأ الطرق بعد إقامة المبانى. وبدون التخطيط يمتلئ حى بأطفال فى سن التعليم، وتفتقر منطقة أخرى إلى المدارس، وتنتج مثل هذه المشاكل عن النمو غير المخطط.

ويستهدف التخطيط الحضرى الارتقاء بمعظم الترتيبات المساحية لأجزاء المدينة المرتبطة، وتحسين ظروف البيئة الطبيعية فى الموقع الذى بنيت عليه المدينة، وفى المناطق المحيطة بها فى حدود ما يمكن جمعه من أموال، وتشييد المبانى، وتخطيط الأحياء والخدمات وإقامة البيئات السكنية المدروسة والملائمة، صحياً واجتماعياً وثقافياً لفئات مختلفة من الأفراد، والتى تمكنهم من إشباع احتياجاتهم الأساسية البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، حتى يتمكنوا من أداء أدوارهم المختلفة.

١- د. عبد المنعم شوقى. الجيرة والتنمية الحضرية. نقلاً عهن مجلة تنمية المجتمع، أكتوبر ١٩٧٧، ص٥٩.

ويتطلب ذلك فهم واضح لطبيعة المجتمعات المحلية الريفية والحضرية، وكيف يعيش الناس؟ وكيف يعملون؟ وكيف يستهلكون؟ وكيف يقضون أوقات فراغهم؟ وكيف يعالجون من الأمراض؟

ويجب أن يحقق التخطيط الآتى:

١ - التناسب بين عدد سكان المدينة وحجمها ومساحتها الجغرافية.

٢- التناسق بين حجم السكان ووظيفة المدينة التى تقوم بتحقيق أنماط الاتصال المختلفة.

٣- التناسب بين امكانيات الإطار البيئى وحجمها السكانى.

٤- تحسين العلاقة بين المساكن والشوارع والمناطق الصناعية والخدمات العامة، بحيث لا يطغى قسم منها على القسم الآخر ولا يحرم من إحداها حى من الأحياء، وإيجاد نوع من الإنسجام بينها جميعاً.

٥- إمكان الإبقاء على المنتزهات العامة والمناطق المكشوفة فى الأحياء السكنية لتكون متنفسا للسكان ومكانا لقضاء أوقات فراغهم مع الاهتمام بالأشجار والمناطق الخضراء.

٦- فصل المناطق السكنية بقدر الإمكان عن المناطق الصناعية لتقليل ضوضاء الصناعة أو دخانها أو روائحها الكريهة حتى لا تحدث مضايقات للسكان.

٧- تجميل المدينة عن طريق طابع معين للمبانى أو عن طريق اتخاذ إجراءات معينة من شأنها ألا توجد نوعاً من التنافر بين المبانى بعضها وبعض.

٨- تخصيص مناطق خاصة للأسواق وأماكن انتظار العربات والجراجات، بحيث تكون هذه المنطقة أو المناطق فى متناول المناطق الأخرى.

مبادئ تخطيط المدن :

لكى يكون التخطيط مجدياً يجب أن تراعى فيه المبادئ الآتية:

١- تطبيق المعرفة العلمية ومراعاة الاحكام والقيم المستقرة :

يعد التخطيط على هذا النحو ليس بعمل عشوائى إذ يقوم على الاستقراء العلمى والجمع والتحليل والتفسير. ففى الولايات المتحدة يقوم مكتب الإحصاء بعمل احصاءات عن دخل الأسرة. وحجم العائلة، وإيجار المسكن، وظروف البناء، وامتلاك أو استئجار المبانى، ومستويات التعليم، والتركيب العمرى والمهنى، وأوجه الصرف على الايجار والملابس والطعام والترفيه وضرورات الحياة الأخرى.

ومع ذلك فإن التخطيط لا يقتصر على مجرد الإحصاء الشامل لكل هذه النواحى بل يضع فى اعتباره القيم المستقرة داخل الوحدة التى تعبر عن الشعور العام السائد. ويعنى ذلك أن التلازم والترابط بين حقائق العلم وقيم المجتمع ركن من أركان مفهوم التخطيط الحضرى.

٢- الشمول :

اعتدنا فى بلادنا أن تكون عملية اصلاح المدن جزئية، دون وضع خطة شاملة لعشرين سنة مثلاً، فنشق شارعاً أو نبنى مصنعاً أو ننشئ حديقة دون أن تكون هناك خطة مدروسة. والواجب أن تكون الخطة شاملة لكل نواحى الحياة – اقتصادية واجتماعية وعمرانية – مرتبطة بعضها ببعض.

٣- المرونة :

لما كان من الصعوبة التنبؤ بما سوف تكون عليه ظروف المدينة بعد فترة من الزمن، فإنه يجب أن تكون الخطة مرنة لتقابل الحاجات الجديدة التى تنشأ ولم تكن موجودة عند وضع الخطة.

٤- التقسيم على مراحل :

لاعتبارات مالية وعملية يجب أن تقسم الخطة على مراحل، وبذا يكون التغير فى المدينة تدريجيا، فنقسم التكاليف على عدة سنوات ولا تتعطل مصالح المدينة.

٥- إقناع الأهالى بالخطة :

سواء اشترك الأهالى بدرجة ما من درجات المشاركة، عن طريق الصحف أو المذياع أو التليفزيون أو المقابلات والمؤتمرات، أو لم يشتركوا فى وضع الخطة البيئية، فإنه يجب أن يفهم سكان المدينة الخطوط العريضة للتغيرات التى سوف تحدث فى مدينتهم، وأسباب هذه التغيرات. كما يجب أن تعطى لهم الفرصة لنقد وتوجيه المسئولين إلى ما يرونه فيه حتى تخرج الخطة مستجيبة لحاجات الأهالى.

ما يجب مراعاته عند تخطيط المدن :

اعتاد المهندسون إطلاق مصطلح "تخطيط المدن" على التخطيط المادى للمعيشة الحضرية – أى تحديد احتياجات المدينة من مساكن وطرق ومدارس وغيرها، ثم تحديد نسبة الأمكنة لإنشاء المبانى التى سوف تضم هذه الألوان من النشاطات. ويرى أغلب الاجتماعيين أن تخطيط المدن يضم التخطيط السياسى والإدارى والاقتصادى والاجتماعى.

والواقع أن الفصل بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى التخطيط يكاد يكون مستحيلاً، فهى عملية واحدة متكاملة. وما التخطيط المادى إلا جزء من الخطة العامة الشاملة. إن تخطيط المدينة محاولة لبناء الإطار الاجتماعى لنمو الشخصية الإنسانية المتزنة فى مجتمع متكامل قادر على تلبية رغبات الجميع وإعطائهم فرصا للحياة السعيدة. ومن ثم فعندما نخطط للمدينة لابد أن

يشترك فى هذا التخطيط مجموعة من المتخصصين كالأخصائيين فى شئون المياه والطرق وبناء المصانع والإسكان والترفيه، هذا إلى جانب الاقتصاديين والإداريين وقادة المجتمع والمحامين ورجال المال والصحة العامة، فضلاً عن علماء الاجتماع الذين يضمون جهودهم لتحقيق القيم الإنسانية، وذلك حتى تتحقق الخطة على أحسن وجه.

وهكذا، فإذا كان جوهر العلم هو البحث عن الحقيقة، فإن الحقيقة التى يجب أن يبحث عنها المهندس المعمارى هى اقتصاديات الشعب وأموره الاجتماعية وتقاليده وعاداته واحتياجاته وتطوره. والتى يجب أن تنعكس على أعماله وتصميماته.

وقد أكد ذلك لويس ممفورد Mumford ، إذ حدد معايير التخطيط، وذكر أن المخطط الحضرى يجب أن يلم بخصائص الحياة الحضرية. وهنا يجد المخطط نفسه أمام صعوبة الاختيار بين النماذج المختلفة التى توجد فى فكرة[١].

واستخلص ويفر Weaver خصائص الطبقة الاجتماعية والعوامل السلالية التى تؤثر فى عملية تجديد الحضر فى الولايات المتحدة واهتم بموضوع السلالة واعتبرها رابطة طبقية[٢]. واعتبر كلارانس بيرى Clarence Perry المدرسة مركزاً للجيرة. فهى تساعد على وجود الجيرة الفيزيقية فى المجتمع المحلى، وتعمل على ظهور المصلحة العامة بين الجيران[٣].

وعند تخطيط المدينة يجب مراعاة النقاط الآتية:

1- fuad Baali, & Joseph Vandiver, (Eds), Op. Cit., P. 359.

2- Ibid., P. 631.

3- Nathan. Glazer, The School at an Industrial in planning in fuad Baali & Joseph Vandiver, Op. Cit., P. 403.

١- اعتبارات ايكولوجية [١]:

وتتمثل في الآتي :

(أ) درجة انحدار المصارف والمجارى والبحيرات والبرك.

(ب) طبيعة التربة، فهى التى تحدد الأساس المادى المناسب.

(جـ) أساسيات الأرض ومدى قوتها.

٢- اتجاه الرياح.

يتضح أثر الرياح على تخطيط المدن فى تحكمها كلية فى تحديد مواقع استعمالات المناطق وعلاقة كل منطقة بالأخرى، كما تؤثر فى توجيه التجمعات التخطيطية للمبانى بما يحقق المعدلات الملائمة من التهوية الطبيعية. ويزيد على ذلك تأثير الرياح بوضوح على توجيه الامتداد العمرانى للمدينة. فبالنسبة للمناطق الصناعية وخاصة الثقيلة منها، تصدر من معظم المصانع عوادم وأدخنة ضارة بصحة الإنسان. ومن الضرورى انتقاء مواقع تلك الصناعات بحيث تكون خلف المدينة بالنسبة لاتجاه الريح، حتى لا تحمل تلك العوادم والأبخرة بمضارها إلى المناطق السكنية فتسبب اتلاف هواء التهوية، وكذلك يجب دراسة دورة الرياح على مدار العام، مع عدم الإرتباط فقط باتجاه الرياح السائدة، إذ يحدث أحياناً أن تتعارض الرياح الموسمية واليومية فى بعض فصول السنة مع اتجاه الرياح السائدة[٢].

٣- الأرض واستخداماتها:

يتوزع سكان العالم على وجه الأرض توزيعاً غير عادل. ففى بعض المناطق يتوزعون بمعدل ٨٥ فرد فى الميل المربع من الأرض. وفى مناطق التركز الحضرى يعيش ما يقرب من ٥٠٠٠٠٠ فى الميل المربع. وتبدو الكثافات

1- John Dickeyl others, Metropolitan Transportation planning, P. 443.

٢- معاذ عبد الله. المرجع السابق، ص٢١٧.

السكانية المرتفعة فى كلكتا والقاهرة ونيويورك وباريس وطوكيو وشنغهاى وبوينوس ايريس(١).

ويقصد باستخدامات الأرض كمية الأرض التى يمكن الإفادة منها قبل أن تمزج إحدى الحواضر بحاضرة مجاورة وتندمج فيها والطريقة التى تستخدم فيها الأرض. إذ تبدو ميزات لبعض المناطق لاستخدامها فى أغراض معينة عن مناطق أخرى. ويمكن تقسيم تلك الاستخدامات إلى ثلاث فئات: استخدام الأرض للمحلات التجارية، والمصانع، والمساكن. وتنقسم كل منها إلى فئات فرعية. إذ يقسم المصنع إلى قسمين: قسم للصناعات الخفيفة وآخر للصناعات الثقيلة.

ومن الضرورى أن يستخدم المخطط نسبة مئوية تقريبية لاستخدام الأرض فى المنافع العامة. غير أن هذه النسبة المئوية تختلف من مدينة إلى أخرى حسب نوع الوظيفة التى تؤديها المدينة، وحسب التباين فى الظروف والتقاليد، فمدينة الإسكندرية بصفتها مدينة كبرى تخدم معظم محافظات جمهورية مصر العربية، ويخدم ميناؤها دولاً أجنبية عديدة تحتاج إلى مساحة كبيرة من الأرض لبناء مقار للهيئات الإدارية والمالية الوسيطة. بينما مدينة حلوان، وهى مدينة صناعية كبرى، تنتج الصناعات الثقيلة. تحتاج إلى نسبة أكبر من الأرض للاستخدامات الصناعية. أما مدينة مرسى مطروح، وهى مدينة ترويحية، فتستخدم نسبة كبيرة من الأرض لإقامة الفنادق والمخيمات لأغراض الترويج. وبالإضافة إلى ذلك تحدث تغيرات فى العادات المحلية تؤدى إلى حدوث

1- Charles H., Southwick, Op. Cit., P. 382.

تغيرات فى النسبة المئوية للمساحات السكنية لاستخدامها كمساكن منفصلة كل منها لعائلة واحدة، أو منشآت يسكنها العديد من العائلات[١].

ويمثل استخدام الأراضى السكنية العنصر الأساسى فى كل مدينة. ومع ذلك فهناك بعض المدن الصناعية الصغيرة التى تتميز سياسيا وإدارياً عن المناطق التى يقيم فيها السكان. وفى مثل هذه المدن يتوفر قدر ضئيل من المساكن، ويسودها المصانع، والمراكز التجارية. وفى الولايات المتحدة الأمريكية يندر وجود الوحدات السكنية فى حى العمل المركزى، وعلى وجه الخصوص فى الطوابق العليا.

وتزداد الكثافة السكانية عند حدود حى العمل المركزى، حيث تضم تلك المنطقة وحدات من المساكن القديمة ووحدات من المساكن التى أنشئت حديثاً وقد أعيد تنمية بعض المناطق ببناء عدد من العمائر الحديثة المخصصة للسكن.

وإذا تعدينا هذا الحزام من المساكن والذى يمتد إلى جميع الضواحى، نجد مساحات واسعة يسود فيها الوحدات السكنية ذات النظام الواحد – كل مسكن يتلو المسكن الآخر. وتبدأ كثافة السكان والإسكان فى الإنخفاض كلما ابتعدنا عن مركز المدينة. وتزيد مساحات الأراضى الفضاء حول المسكن كلما قلت الكثافة السكانية[٢].

ووسط المدينة هو مركزها الإدارى ومكان العمل والترفيه والثقافة. وبصفته مركزاً إدارياً، فهو ميدان يتقابل فيه الناس، ومكان عمل الحكومة وهيئاتها، ومقر المكاتب ومركز الشرطة. ومن حيث أنه مقر للأعمال، فهو منطقة يشترى

١- د. زيدان عبد الباقى. المرجع السابق، ص ص١٥٢- ١٥٣.

2- Raymond, Murphy, The American city, An Urban Geography, P.435.

الفرد فيها حاجياته، ويجرى وراء عقد صفقات، أو البحث عن مجالات الاختيارات التى لا تتحقق فى حدود الجيرة. ويعتبر مركز العمل كذلك مقراً للشركات التجارية والمهنية.

وبصفة مركز المدينة مكان للترفيه والثقافة، نجد فيه الملاعب الكبرى والسينما والمتاحف والمطاعم والمقاهى. وتتقابل فيه الجماعات ذات المصالح المختلفة. وهو مجتمع النادى، ومجتمع الموسيقى، وغرفة التجارة. وعموماً فإنه مكان يتقابل فيه أفراد يتعدى عددهم جماعة الجيرة.

وحيث أن المدينة ظهرت نتيجة نمو قرية، فإن مركز المدينة يضم المهنيين، وهو المكان الأول لصناعة السلع.

ولأغراض تخطيط المدينة تنقسم وظائفها إلى مجموعات رئيسية:

جماعة العمل والجماعة التجارية. وهى تنقسم إلى تقسيمات فرعية: مراكز البيع والشراء، والمكاتب، وتجارة الجملة، والجماعة الإدارية، ومراكز الخدمة الثقافية والترفيهية وتشمل مبانى التعليم والترفيه، وتتمثل فى معاهد التكنولوجيا والمسارح[1].

ويقوم مركز التسويق بخدمة جميع مناطق المدينة، ووحدات الجيرة. ونصل إليه سيراً على الإقدام أو باستخدام الأوتوبيس أو السيارة الخاصة، أو الاتصال التليفونى.

وتنقسم السلع التى تباع فى محلات التسويق إلى ثلاث فئات: السلع الرئيسية التى يحتاج إليها يومياً، كاللحوم والأسماك وأصناف البقالة والخبز

1- Frederick. Gibberd, Town Design, Op. Cit., P. 47.

والأدويـة والسـجاير. وهـى سـلع تسـتهلك، اسـتهلاكاً سـريعاً، وتمثـل التجـارة الأساسية فى وحدة الجيرة.

وتضم الفئة الثانية من السلع الأثاث والملابس والأحذية والساعات وما إلى ذلك. وهى تمثل عنصراً هاماً فى مركز المدينة. وينتج عنها ظهور تيار ثابت من حركة المرور من وإلى المدينة. وتقوم وحدة الجيرة بنسبة ضئيلة من هذه الفئة.

وتعتبر الفئة الثالثة سلعاً كمالية. وهى سلع قد لا يستهدف الفرد شراءها. وتتمثل فـى المجوهرات والعطور والفراء والزهور وأنواع الأغذيـة ذات الأسـعار المرتفعة. هى سلع حيوية بالنسبة لمركز المدينة، وهى تجذب الناس لمشاهدتها. ويقوم قدر ضئيل من الأفراد بشراء هذه السلع من مركز وحدة الجيرة[١].

وفى وحدة الجيرة – تعتبر المنطقة أو المسافة الأرضية عاملاً هاماً فـى تحديد موقع المدرسة الابتدائية. إذ يجب أن يوضع فى الاعتبار المسافة التى يقطعها التلميذ من بيته إلى المدرسة فى وحدة الجيرة التى تضم ٦٠٠٠ ساكناً. وهـى مسافة تتراوح مـا بـين ١/٤ إلـى ٣/٤ ميـل مـن المسـكن إلـى المدرسـة. وينطبق نفس الحال على الملاعب وأماكن النشاطات الترفيهية[٢].

وتلجأ كثير من الدول عند إعادة تخطيط مراكز مدنها إلى التوسع الرأسى للمركز بكل إمكانياتها الاقتصادية. ويستغل الامتداد الرأسى تحت سطح الأرض فى شبكات الطرق والجراجات المتعددة الطوابق ومخازن المحال التجارية .. أما

1- Ibid., P. 97.

2- Clarence A, Perry The Neighborhood Unit fomula in Branch Melville (Ed.), Op. Cit., PP. 47- 48.

فوق سطح الأرض فتمتد المبانى رأسياً وذلك حتى يتسنى الاستفادة من هذا الإمتداد إلى أقصى حد من الناحية الاقتصادية.

ويبدو لأول وهلة أن التوسع الرأسى له آثار اقتصادية هامة فلكى يتم بناء المركز على هذا النمط فإنه يحتاج إلى تكاليف باهظة وهى تزداد بالطبع كلما زاد الامتداد تحت الأرض وفوقها. ولذلك يجب دراسة مدى الحاجة الفعلية للامتداد وشكل هذا الامتداد. حيث أن كثيراً من المدن تسمح أسعار الأراضى وكذلك حالتها الاقتصادية بالامتداد الأفقى ويصبح فى هذه الحالة الامتداد عملاً غير اقتصادى. ومن ثم فحيث تتوافر الأراضى بأسعار منخفضة نسبياً يزداد الاتساع الأفقى.

وفى أحيان أخرى يحدث العكس. حيث تتسع مساحة المركز وتزداد ازدحاما ويرتفع أسعار الأراضى. كما لا تتوافر إمكانية امتداده أفقياً لإحاطته بالمناطق السكنية المجاورة .. وفى هذه الحالة نلجأ إلى الامتداد الرأسى باستغلال الأرض استغلال كاملاً سواء أكان ذلك تحت سطح الأرض أو فوقها. ففى عصرنا الحالى ترتفع بعض المبانى إلى ما يزيد عن الستين طابقاً فى بعض المدن، ويؤدى هذا إلى صعوبة تكيف الفرد مع هذه المبانى الضخمة. ويستلزم ذلك وجوب تضييق التفاوت بين الإنسان والبيئة بإقامة الملاعب ووسائل الترفيه وتجميل المبانى.

وتتغير أنماط استخدام الأرض، إذ تنتقل الشركات والمساكن من موقع إلى آخر.

وهناك بعض أنواع استخدام الأرض فى عدد من مدن البلدان النامية ليس لها موقع محدد أو مبنى ثابت. فعدد كبير من ألوان النشاط يتم مباشرة فى الشارع أو الأماكن العامة، على حين تستغل هذه المناشط فى المدينة الغربية

مكاناً معدماً محدداً. ويختلف هذا الاختلاط من مكان إلى آخر داخل المدينة، ولكن الملاحظ أن الإجزاء الحديثة من المدينة تكون أكثر تفاوتا من حيث استخدام الأرض من الأجزاء القديمة فيها. من هذا مثلاً أنه من الأمور الشائعة تماماً فى الأجزاء القديمة فى المدينة أن تجد ألوان النشاط السكنية والصناعية والتجارية تتم جميعا داخل نفس المنطقة، بل فى داخل نفس المجموعة من البيوت أو داخل البيت الواحد. وكثيراً ما نجد صاحب المتجر يقيم فى متجره.

ومن المشكلات البارزة المتعلقة باستخدام الأرض فى مدن البلدان النامية مشكلة توفير الأرض اللازمة لإقامة مساكن مؤقتة للمهاجرين الجدد، ولسكان المدينة المتضخمين باستمرار.

٤- الجهاز الحكومى.

يؤدى جهاز التخطيط المركزى دوراً هاماً فى تخطيط الأرض بإصدار الكثير من القوانين التشريعية. ومن ثم فإن الموقع الصناعى وتوزيع السكان فى المدن الجديدة وخطط تنمية المدن، والمتنزهات والضواحى، وخطط الإسكان تعتبر جزءاً من السياسة القومية.

وفى عصرنا الحالى نمت مسئوليات الحكومات المحلية فى كثير من بلدان العالم، وهى تلعب دوراً كبيراً فى إعداد مثل هذه الخطط. وهكذا يمتزج التخطيط بالسياسة، ولا يقوم دون تأييد من الرأى العام. وقد عبر أوسبورن عن ذلك بقوله[1]: يبدو أن هناك ضغوطاً علينا من أجل إنجاز الأهداف الاجتماعية للتخطيط. إذ يجب أن نحقق أغراض رجال الأعمال والعمال اليدويين والكتبة وربات البيوت ورجال الدين والمدرسين والأطباء والكتاب وجميع فئات المجتمع.

1- Gerdon Cherry. Op. Cit., P. 159.

٥- *تخطيط الخدمات*:

وهى تتضمن إعطاء سكان المدينة أحسن الخدمات اللازمة كالمياه والإنارة والمجارى التى تتفق فى حجمها ومرونتها مع حجم السكان وكثرة المبانى وكذلك مد المدينة بخدمات إنشاء المساكن والمدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس الجديدة، وإعادة توزيع الخدمات الترفيهية والمتنزهات العامة ومراكز الشباب والأطفال وما إلى ذلك من المرافق العامة، والحفاظ على فاعلية المناطق التجارية، لمواجهة متطلبات تزايد السكان وتنقلاتهم. وكذلك تقصير رحلة العمل من محل السكن إلى مواقع العمل، إما بوضع مساكن العمال قريباً من مناطق العمل أو بتسيير وسائل المواصلات ونقص أجورها. كما يجب العمل على سهولة ويسر اتصال المدينة بالمناطق الأخرى، وخاصة بالمناطق الريفية المجاورة أو بالموانى والعواصم أو بمناطق الخدمات أو بمراكز الأسواق. وكذلك إنشاء المراكز الإدارية التنفيذية والخدمات التعليمية والقضائية والترويحية والشرطة بحيث لا يشعر السكان بالإرهاق للوصول إليها.

وفى كثير من مجالات الخدمات الاجتماعية، يقوم القطاع الخاص بدور هام فيها. ويكون هذا الدور صغيراً فى حالات التعليم والصحة، ويكون كبيرا كما فى حالة الإسكان. ففى بريطانيا يمتلك القطاع الخاص ثلثى المساكن. وفى اسكوتلاند يملك ما يزيد عن نصفها[1].

٦- مشروعات الإسكان.

يزداد سكان المدن زيادة مطردة، كما تتقادم المساكن وتصبح غير ملائمة كماً وكيفاً. وتهدف مشروعات الإسكان أساساً إلى إعادة إسكان المناطق

1- M. Weller planning in An Environment of Change in J. B. Cullingworth (Ed.), Op. Cit , P. 38.

المتخلفة فى مساكن جديدة بقصد رفع مستوى معيشتهم والقضاء على كثير من المشاكل التى تأصلت فى أماكن إقامتهم القديمة.

ففى باريس زاد عمر معظم المبانى عن مائة عام. وقد قدر وزير البناء والتعمير الفرنسى أن باريس تحتاج إلى ٧٥.٠٠٠ مسكناً جديداً سنوياً لتحل محل المساكن الآيلة للسقوط، ولتتناسب مع النمو السكانى. وأنشئت ١٠.٠٠٠ وحدة سكنية، ثم ازدادت من ٥٠.٠٠٠ إلى ٦٨.٠٠٠ خلال الفترة ما بين ١٩٤٥- ١٩٥٤. ويشتمل البرنامج الفرنسى على النقاط الآتية[1]:

١- تقوم الحكومة بمنح قروض للموظفين لدفع عجلة البناء.

٢- ترخص الحكومة لشركات القطاع الخاص ببناء وحدات سكنية تقوم بتأجيرها للمواطنين بإيجار مناسب.

٣- تقوم الحكومة بمراقبة مضاربات بيع المبانى.

٧- الإمداد بالمياه:

ونعنى بها ممقدار كمية المياه اللازمة لمجموعة من السكان، وطرق الإمداد بالمياه. فمع ازدياد السكان فى المدينة يستغنى تدريجياً عن مياه الينابيع والآبار المحلية، ويزداد الاتجاه لموارد المياه الأكثر غزارة كمياه الأنهار. فقلة مياه الأمطار فى سنة من السنين، كما حدث فى نيويورك عام ١٩٥١، تؤدى بالمدينة إلى حافة المخاطر وقد قامت مدينة لوس أنجلوس بالتخطيط لإنشاء قنوات ضخمة تتدفق فيها المياه شمال كندا وألاسكا إلى المدينة.

كذلك فإن امتداد المدينة، يؤدى إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية، نظراً لردم المستنقعات وتجريد التلال من النباتات. هذا فضلاً عن أن استخدام

1- Alvin Boskoff. Op. Cit., P. 343.

المياه فى الصناعة وفى أجهزة تكييف الهواء يؤدى إلى زيادة الاقتراب من درجة القحط على أساس المستوى الحالى لعدد السكان.

والأمل الوحيد المرتجى لتخفيف هذه الحالة المزمنة لنقص المياه فى الحضر المتكدس بالسكان هو الالتجاء إلى تقطير مياه البحر بكميات ضخمة.

٨- ***التخطيط للمواصلات***:

وهى تتضمن بناء الشوارع والكبارى، وغيرها من وسائل الانتقال، إذ تعمل استراتيجيات التخطيط فى المدن الكبرى فى العالم على مواجهة حركة المشاة ونقل السلع بالتحديد الكمى لاحتياجات المدينة من وسائل النقل والشوارع والكبارى والممرات التى تنشأ تحت الأرض.

ومع نمو عدد سكان المدينة وحجمها، تزداد الحاجة إلى مزيد من وسائل المواصلات ولتخفيف عبء مشكلة المواصلات، أعيد تقسيم بعض المدن – كما حدث فى لندن – إلى مراكز شبه مستقلة بإدارة شئونها، وحصل أربعون فى المائة من السكان الذين يبيتون فيها على أعمال داخل نطاق مراكزهم المحلية، وذلك لتقليل القيام بالرحلات الضرورية فى أرجاء المدينة.

ويحسب مهندسو النقل عدد وسائل النقل التى تستخدم الطرق الرئيسية، ويقيسون الحجم الاجتماعى للنقل وحركة المرور وساعات الضغط. وعادة ما تستكمل هذه الحسابات بمسوح استطلاعية وأساسية لتحديد كمية ومقدار النقل الذى يحول بشكل ملائم من الشوارع الأكثر ازدحاماً إلى الطرق البديلة تخفيفاً عن كاهل الطرق الرئيسية وانتفاعاً بهذه البيانات يستطيع مهندسو الطرق الرئيسية أن يحسبوا عدد وعروض الشوارع الضرورية ويضعوا مقترحاتهم بالنسبة للإنشاءات الجديدة أو بالنسبة للتغيرات فى الشوارع القائمة بالفعل.

واتجهت بعض المدن إلى تحديد الطرق الرئيسية التى تسير فيها العربات وطرق أخرى لسير المشاة.

ويعتبر نسق استخدام الشوارع عنصراً هاماً فى نمط استخدام الأرض فى المدينة. وفى كثير من المناطق الحضرية تختص نسبة معينة من مساحة أرض المدينة – حوالى الثلث – لإقامة الشوارع. ويشكل نسق الشوارع إطار المدينة: الحجم والشكل وعدد المبانى وشكلها. ويتبين أهم الشوارع فى أنها ليست مجرد وسيلة لنقل الأفراد والسلع، ولكنها كذلك وسيلة للإضاءة والتهوية وتحت سطح الشوارع توضع الأجهزة الخاصة بالخدمات التليفونية والتلغرافية وأنساق توزيع الكهرباء.

وفى كثير من الأحيان يعترى الشوارع بعض التغيرات. فقد يتسع عرضها أو تمتد، أو يعاد تنظيم استخداماتها، وقد تتغير إلى طرق سريعة، أو تتحول إلى منتزهات، أو توصل إلى طرق فرعية. وقد يستخدم عليها خطوط الأوتوبيس أو الترولى.

ويعتبر التغير فى حاجات المرور من أهم العوامل التى تؤدى إلى تغيير نسق الشوارع، وقنوات الاتصال. كما يعتبر نتيجة لعملية نمو المدن(١).

وتنقسم حركة المرور إلى التصنيفات الآتية(٢):

١- حركة مرور السلع الثقيلة.

٢- حركة مرور السلع الخفيفة.

1- Robert B. Mitchell, & Chester, Ralph the Influence of Land Use patterns in Branvh, Metville (Ed.), Op. Cit., P. 71.

2- Le Corbusier, Op. Cit., P. 161.

٣- حركة المرور السريعة.

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن كثيراً من المدن ستمتد أحياناً خارج حدودها، وتبتعد عن مراكزها. وعليه يجب إنشاء الشوارع التى تسمح بالإنتقال من وإلى الأحياء التى أنشئت حديثاً.

ومن أهم العوامل التى يجب تقديرها على وجه الدقة إنشاء خطوط نقل تحت الأرض، والقناطر والطرق العامة الإضافية، وكذلك ممرات تحت الأرض. ويفضل إنشاء أجهزة تكييف الهواء فى الممرات فى المدن التى تمتاز بشدة الحرارة أو البرودة.

إجراءات تخطيط المدن :

يجب أن تمر عملية التخطيط فى المراحل الآتية سواء بنفس الترتيب أو بترتيب آخر. وحتى إذا ما اختلفت التفاصيل، فإن الخطوات الرئيسية تظل واحدة باستمرار. وتتبدى هذه الإجراءات فى الآتى:

١- إنشاء أجهزة تشرف على عملية التخطيط. ويتمثل ذلك فى هيئة التخطيط، وهيئة تنمية المجتمع المحلى. وتقوم هذه الأجهزة بتجميع كل الوثائق المتعلقة بمجتمع المدينة مثل الخرائط والإحصاءات وحصيلة الضرائب المحلية وتعداد دقيق لكل وجود النشاط، وتحديد واضح للموضوعات والوظائف، وأسبقيات الأنشطة فى المنطقة، واستخدامات الأرض، ومواقع الطرق، والتغيرات التى تعترى المنطقة، والأهداف، فى ضوء ايديولوجية المجتمع العامة، كما تقوم بتحديد الصعوبات القائمة مع بيان الوسائل التى يمكن عن طريقها التغلب عليها.

٢- وضع خطة عامة للدولة وتشتمل على الآتى:

أ- توزيع أماكن الصناعة فى الدولة.

ب- تحديد أماكن الامتداد الزراعى.

جـ- توزيع أماكن البيع والشراء.

د- الطرق العامة فى الدولة.

هـ- الحدائق العامة فى الدولة.

٣- وضع خطة إقليمية لكل إقليم من الدولة، وتشتمل على نفس النقاط ولكن على مستوى الإقليم.

٤- القيام بمسح اجتماعى شامل لتجميع الحقائق من مجتمع المدينة المراد تخطيطها، ويشتمل هذا المسح على:

أ- المعرفة بالظروف المناخية للمنطقة، والتربة ودرجة الحرارة والرطوبة والرياح والعناصر الكيمائية والحيوية والضوضاء والتذبذب والانفجارات والزلازل والبراكين، وكل ما يحيط الإنسان ووسائل الأمن النووى.

ب- تاريخ المدينة وكيف نشأت والديناميكية العصرية لها.

جـ- حركة ونمو وتوزيع السكان.

د- المحددات السيواقتصادية والتنظيمية والثقافية والتكنولوجية.

هـ- مصادر المدينة الطبيعية.

و- توزيع استعمالات الأرض سواء كانت مبانى سكنية أو محلات أو أسواق، أو مستشفيات أو مدارس، أو أمكنة ترفيهية أو مصانع تمهيداً لتقسيم المدينة إلى أقسام يستعمل كل منها لغرض معين.

ز- المواصلات ومشاكلها، والشوارع والطرق الرئيسية.

ح- الإمداد بالمياه والإضاءة والمجارى.

ط- المشكلات الاجتماعية للمدينة.

الصعوبات المتصلة بالتخطيط الحضرى:

يظهر عند تخطيط الحضر مشاكل وصعوبات تتعلق بالإدارة والاستثمار والصحة والأمن والاعتبارات البيئية، نوردها فيما يلى:

١- ملكية الارض

تحتل ملكية الأرض أهمية كبرى فى الصعوبات التى تواجه التخطيط الحضرى. إذ تمتلك الحكومة وكذلك المواطنون فى المدن أجزاء من الأرض. وبالرغم من الاختلافات الكبيرة من مدينة إلى أخرى، فإن الأفراد يمتلكون "ملكية خاصة" فى المتوسط ٥٥%، وتمتلك الحكومة نحو ٤٥% من الأرض، وهى التى تتمثل عادة فى الشوارع العامة والمتنزهات والملاعب والمدارس والمبانى الحكومية، بينما يمتلك الأفراد أو الجماعات الأراضى التى تشغلها المساكن والمحلات التجارية الكبرى والمصانع وأماكن الترويح.

هذا وكل من الحكومة والمواطنين العاديين يمتلكون مساحات مختلفة من الأرض الفضاء. وقد تتعارض الملكية الخاصة للأجزاء الصغيرة من أرض البناء أحياناً مع السيطرة الفعالة على الأرض الفضاء من المدينة، إذا كان المالك يتمتع بحقوق غير محدودة فى استخدام أرضه طبقاً لرغباته، فإنه قد يبنى مخزناً أو مصنعاً فى منطقة سكنية مهجورة، وكان هناك قليل من الملاك يرغبون فى تحسين جيرتهم سواء بتحسين منازلهم القديمة أو بناء منازل جديدة، فإنه يصعب عليهم ذلك إذا لم يتجاوب الجيران معهم فى تحسين منازلهم. وإذا تعهد مقاول قطاع خاص بالبدء فى مشروع حى متخلف، فإن المالك الذى لا يملك سوى قطعة أرض صغيرة يمكن أن يعرف خطة تحسين تخطيط المنطقة المجاورة أو المحيطة بقطعته الصغيرة أن يطلب ثمناً باهظاً لا يتناسب مع ما يحدده سعر السوق يومئذ.

٢- *الحدود الإدارية التعسفية* :

يتطلب التخطيط الحضرى أن تكون المدينة وحدة طبيعية متكاملة. ولهذا لا يقتصر التخطيط على المساحة التى تبنى من المدينة ولكنه يشمل أيضاً الأجزاء المجاورة غير المأهولة بالسكان والتى من الضرورى تنسيقها لضمان النمو المتكامل للمدينة فى المستقبل، ولضمان النسبة المعقولة لسكانها. هذا ويلاحظ أن معظم المجتمعات المحلية للمدن الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية تحتوى على تقسيمات إدارية فرعية مثل البلدية المركزية، ومدن الضواحى والمدن الصغيرة المجاورة والمقاطعات. ومما هو جدير بالذكر أن انعدام التكامل الإدارى الشامل داخل المدينة الواحدة يجعل من الصعب تكوين سياسة أو خطة Plan متكاملة أو جهاز للإدارة، لكى يؤدى التخطيط وظيفته.

٣- *عدم انتظام المواقع السكنية فى البيئة* :

تحتل كل مدينة موقعاً بيئياً فريداً، فالتلال Hills فى مدن القاهرة وأسوان، والوديان فى مدن طنطا والمنيا، والشوارع المطلة على البحر وغيرها من الملامح الطبيعية فى الإسكندرية وبورسعيد – مثلا – تجعل من موقع كل مدينة صورة مختلفة عن غيرها من المدن الأخرى. وبالتالى فإن تخطيط أى مدينة يختلف فى عدة اعتبارات عن تخطيط مدينة أخرى. كذلك فإن بعض الأماكن لها مميزات خاصة، فالأراضى النحتية والصخرية التكوين تؤثر فى الأساس وفى وسائل التصريف الجوفى وغير ذلك مما يؤثر فى تكلفة الأساس. والأرض الصلبة لها مزاياها وعيوبها، وتؤثر الطبوغرافيا فى طرق المواصلات وفى خطوط السكك الحديدية الثقيلة التى تحتاج إلى طرق مستوية. والنقل بدوره يؤثر فى اختيار مواقع الصناعة والمخازن. ومن واجب مخطط المدينة أن يضع فى اعتباره كل تلك الأمور عند التخطيط للمدينة.

٤- **بقايا الإنشاءات القديمة :**

أنشئت المجتمعات المحلية فى مصر ، بل وفى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من المجتمعات المتقدمة بدون أي اعتبار لتخطيط حضري مسبق. وحتى فى المدن التى خطط لها، فقد ازدادت حجما، حتى فاقت كل تصور مسبق للتخطيط. ونتيجة لذلك، فإنه من الضرورى أن تسهم الحكومة فى حل هذه المشكلة. وقد بدأ بالفعل مخططو المدن يزاولون نقل المبانى نفسها. فالشوارع أصبحت ضيقة، بالرغم من أنها كانت تتسع فى الماضى لعربات الخيل، إلا أنها لم تتسع لسيارات النقل الحالية. كذلك فإن المصانع التى كانت قائمة فى أطراف المدينة، أصبح أصحابها يجدونها وقد أحيطت بمناطق سكنية آهله بالسكان. كما أصبحت المساكن القديمة التى أعدت لسكان عائلات منفردة تشغل الآن مساحات تتطلبها الضرورات الحالية لإنشاء عمائر لها أكثر من عائلة – أى عمارة سكنية.

أن هذه التركة التى تتكون من الإنشاءات القديمة لم تعد تكفى لمواجهة حاجات السكان لحاليين، بل وتشكل مشكلات وعقبات للمخطط الحضرى، ذلك أن توسيع الشارع بمقدار عشرة أمتار قد يتطلب نفقات باهظة.

٥- ***النمو السكانى*** :

إن الطابع الديناميكى لأغلب المدن يجعل التخطيط لمدى زمنى طويل مخاطرة كبيرة. وربما أتاحت لنا وسائل الإحصاء الحديثة مقدرة معينة على التنبؤ بمستقبل النمو السكانى مالم تتدخل عوامل غير منتظرة. ومثال ذلك أن سلطات الحكم المحلى فى المدينة مالم يكن لديها السلطة الكافية لتحديد عدد المهاجرين إليها، فإن المدينة قد تنمو حجما لدرجة يختل معها التكامل

الاجتماعى، وتنهار على أساسها مستويات المعيشة، وتنخفض معها أيضاً مستويات الإسكان، وتزداد المناطق المتخلفة حجما، وتتفاقم فيها المشاكل.

٦- وجود جماعات تشكك فى سياسة الإسكان :

قد يقع المخططون تحت تأثير جماعات خاصة فى المدينة فيوجهون السياسة التخطيطية اتجاهات لا تخدم مصالح مجتمع المدينة ككل ... ومثال ذلك أن هذه الجماعات نتيجة لتأثيراتها المتعددة على أجهزة التخطيط قد تشكك أو تثير تحفظات فيما يتعلق بسياسة الإسكان إذا كان فى الخطة بناء مساكن قريبة من مساكنهم لأنهم يخشون أن يسكن هذه المساكن سكاناً ينظرون إليهم نظرة أقل أو قد يعتبرونهم من طبقة دون طبقتهم. ولهذا تميل بعض المجتمعات إلى وضع أجهزة التخطيط تحت الرقابة المباشرة لسلطات الحكم المحلى التى تخضع لدورها للتنظيمات الشعبية التى تقر المبادئ العامة للخطة دون تفاصيلها التى تترك للأخصائيين[١].

٧- الصعوبات المالية :

قد تقف الصعوبات المالية عائقاً فى كثير من الأحيان فى بلوغ التخطيط. ويظهر هذا عندما تزداد المدينة حجماً وتصبح ميزانيتها غير متكافئة مع نواحى الصرف المتزايدة، الأمر الذى يمكن حله عن طريق الحكم المحلى الذى يعمل من خلال التنظيمات الشعبية بزيادة الضريبة الموجودة فعلاً أو بفرض ضرائب جديدة[٢].

1- James A. Quinn, *Urban Sociology*, PP. 385- 387.

وانظر : زيدان عبد الباقى. المرجع السابق، ص ص١٣٩- ١٤٣.

٢- د. محمد عاطف غيث. التغير الاجتماعى والتخطيط، ص١٨٠.

المراجع

أولاً : المراجع العربية

١- د. أحمد النكلاوى. القاهرة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى - دار النهضة العربية، ١٩٧٢.

٢- د. أحمد كمال، د. كرم حبيب برسوم. علم الاجتماع الحضرى - دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضرى - دار الجيل للطباعة، ١٩٧٣.

٣- السيد عبد العاطى السيد عبدالله. محاضرات فى علم الاجتماع الحضرى - مذكرة - دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٨.

٤- أمين الخولى. تاريخ الحضارة المصرية - العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى - المجلد الثانى - مكتبة مصر - بدون تاريخ.

٥- توفيق أحمد عبد الجواد. تاريخ العمارة الحديثة فى القرن العشرين - جـ٤ - المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٢.

٦- د. حسن الباشا وآخرون. القاهرة - تاريخها - فنونها - آثارها - دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠.

٧- د. حسن الساعاتى. التصنيع والعمران - بحث ميدانى للإسكندرية وعمالها - دار المعارف، ١٩٦٣.

٨- د. زيدان عبد الباقى. علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤.

٩- د. صمويل باسيليوس. الاجتماع الحضرى - دار المعارف، ١٩٧٤.

١٠- د. عاطف وصفى، د. عبد الهادى الجوهرى. دراسات فى علم الاجتماع الحضرى - المجموعة الأفريقية - دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.

١١- د. عبد الحميد لطفى. الأنثروبولوجيا الاجتماعية. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧١.

١٢- د. عبد المنعم شوقى. علم الاجتماع الحضرى - مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الثالثة، ١٩٦١.

١٣- د. عبد المنعم محمد بدر. مجتمعنا الريفى - دراسة تحليلية مقارنة فى علم الاجتماع - دار المعارف بمصر، ١٩٧٣.

١٤- د. عبد المنعم محمد بدر. دراسات فى التنمية الريفية - دار المعارف بمصر، ١٩٧٩.

١٥- على المليجى مسعود. تخطيط مدينة يافا. مطبعة مصر، ١٩٥٠.

١٦- د. فؤاد الصقار. التخطيط الإقليمى. القاهرة - مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٤.

١٧- د. كمال الدين سامح. العمارة الإسلامية فى مصر - الألف كتاب رقم ٢٥٣ - مكتبة النهضة المصرية.

١٨- د. كمال سعيد وآخرون. علم الاجتماع الحضرى - دار المعارف بمصر، ١٩٧٧/ ١٩٧٨.

١٩- د. محسن زهران. فلسفة التصميم - دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

٢٠- محمد إبراهيم محمد. مركز المدينة المعاصرة - رسالة ماجستير مقدمة لقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية - غير منشورة - ١٩٧٥.

٢١- د. محمد الجوهرى وآخرون. دراسات فى علم الاجتماع الريفى والحضرى - دار الكتب الجماعية - الطبعة الثانية، ١٩٧٥.

٢٢- د. محمد بدر الدين الحوالى. المؤثرات المناخية والعمارة العربية - دار المعارف، ١٩٧٠.

٢٣- د. محمد خليل نايل، د. محمد أمين عبد القادر. تاريخ فن العمارة - الجزء الثانى - المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٤٣.

٢٤- د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع - النظرية والمنهج والموضوع - الإسكندرية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١.

٢٥- .... التغير الاجتماعى والتخطيط - دار المعارف - الطبعة الثانية، ١٩٦٥.

٢٦- د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضرى - مدخل نظرى - دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩.

٢٧- د. محمد عواد حسين وآخرون. تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور - محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.

٢٨- محمد كامل البطريق، محمد جمال شديد. تنمية المجتمع المحلى - دراسة تحليلية للأساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفعالية فى المجتمعات الريفية - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩.

٢٩- د. محمود الكردى. النمو الحضرى - دراسة لظاهرة الاستقطاب الحضرى فى مصر - دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

٣٠- د. مصطفى الخشاب. مقدمة فى دراسة علم الاجتماع الحضرى - القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربى - الطبعة الأولى، ١٩٥٩.

٣١- معاذ أحمد محمد عبد الله. المناخ والعمارة - دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة - رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية - غير منشورة، ١٩٧٥.

٣٢- د. نبيل السمالوطى. التنمية والتحديث الحضرى - الجزء الأول تحليل للأبعاد الاجتماعية والنفسية للتنمية الاقتصادية - مطبعة الجبلاوى، ١٩٧٥.

ثانيا : المراجع الأجنبية (مترجم)

٣٣- بوتول (جاستون). تاريخ علم الاجتماع. ترجمة. د. محمد عاطف غيث وعباس الشربينى، الإسكندرية، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

٣٤- بيريز (جيرالد). مجتمع المدينة فى البلاد النامية - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى - ترجمة وتعليق د. محمد محمود الجوهرى - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٢.

٣٥- كولانج (فوستيل دى). المدينة العتيقة. ترجمة عباس بيومى - مراجعة عبد الحميد الدواخلى - مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠.
٣٦- ممفورد (لويس). المدينة على مر العصور - أصلها وتطورها ومستقبلها - إشراف ومراجعة وتقديم د. إبراهيم نصحى - الجزء الأول - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤ .
٣٧- ---------- . الجزء الثانى.
٣٨- مونييه (رينيه). المدخل علم الاجتماع. ترجمة د. السيد محمد بدوى. الإسكندرية. دار النشر والثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٥٣.

ثالثاً : المجلات المصرية

٣٩- مجلة تنمية المجتمع - عدد خاص - التنمية الحضرية - أكتوبر، ١٩٧٧ .
٤٠- مجلة الطرق العربية - مجلة تصدرها جمعية الطرق العربية - العدد الثانى - مطبعة أطلس، ١٩٨٠ .

رابعاً : المراجع الأجنبية

1- Allen, Lrving Lewis, New Towns and suburban Dream, wastington, London, Kennikat Press Publication, 1977.
2- Baali, fuad & Vandiver, Joseph (eds) urban Saciology contemporary Readings, New York, Appleton, Crofts Meredith corporation, 1970.
3- Baker, Thclmas. (ed) The urbanization of Man A Social Science Perspective, The united state of America, McCutchan publishing coporatien, 1972.
4- Bergel, Egon ernest, urban sociology New York, Torento, London, Mac Graw, Hill Book company, 1956.
5- Berger, Peter & Luchman, The social construction of Reality A. Treatize in sociology of knowledge, New York, Doubleay and company, W. D.
5- Boskoff, Alvin, The Sociology of urban Region, New York, Appleton, Century, Croft – Educational Division, Second Edition, 1972.

47- Branvh, Melville (Ed) urban Planning Theory, Halsted press A Division of john Wiley 8 Sons Inc; 1975.

48- Briant S, Laughlin M: C., Control and urban planning. London; faber & faber Limited, first publishes. 1973.

49- Drwell, John, Social foundation of Education, Jonn wiley & sons, Inc. 1971.

50- Cherry, Gordon E. The Evolution of British Town planning, Ahistory of Town planning in the United Kingdom during 20 th century & of Royal Town Planning Institute, 1914-1974. Leonard Hill Books, 1974.

51- Corbuisier (Le), The city of, To – morroyy & Its Meaning, Translated from the 8 th French of urbanism by Frederic Erciiells. London, the Architecture Press, 1971.

52- Cullibgworth J. B. Problems of urban Society George Alien & Unmin, 1972.

53- Dickey, john W: & others, Metropolitan Transportation Planning, Washington, Scripta Book Company, 1915.

54- Durand, Gilbert, Des Grands Tets de la socilogie Modern, collection George pascal, S. D.

55- Ehrlich, paul R. & Ehrlich, Anne H. Population Resources Environment, Issues in Human Ecology, San Francisco, W. H. freeman & company, 1970.

56- Gallion, Arthur B. & Eisner, simon. The urban pattern, city planning & Design, New Delhi, Non Nostrand Reinhold Company, Affiliated East – well Press P.V.T.D. 1965.

57- Gilberd, Frederick, Town Design, London, The Architectural Press, Third Edition, 1959.

58- Green, A. W. Sociology – An Analysis of life in Modern Society Mac Graw Hill Book company, fourth Edition, 1964.

59- Habenstreit, Barbara, Cities in the March of Civilization London, Glascow, New Colbin publisher franklin watts Inc, 1973.
60- Hadden, Jeffery K. & Barton. Josef J. (Eds) New Towns & Suburban Dream, Ideology & utopia in planning and Development, National University publication Kennikat Press, 1977.
61- Heer, David, Society and population foundation of Modern sociology Series, New Delhi prentice Hall of India private Limited, 1969.
62- Horton, Paul B. L. Hunt, chester E., Sociology, Mac Graw Hill Book company. Fourth Edition, 1976.
63- Larsen, Laurence H, The urban west & the End of the frontier, The Regents press of Kansas Laurence, 1978.
64- Mann, peter H; An Approach to urban Sociology, New York, Routledge L. Regan paul, The Humanities press, 1970.
65- Mcnen, Aubrey, Cities in the Sand, London, Thames and Hudson, 1972.
66- Morris, R. N. Urban Sociology, Studies in sociology, London, George Allen & unwin L. T. D. 1972.
57- Murphy, Raymond, The American City An urban Geography Mc Graw – Hill Book Company, Second Edition, 1474.
58- Ogburn, William F., A Hand Book of Sociology. Regan paul L. T. D. 1956.
59- Park Robert (Ed) The city, Chicago the university of chicgo Press, 1968.
70- Park, Robert Ezra, Human community, the city & the Human Ecology, The Press elencoe, Illionois, 1952.
71- Parson, Talcott, Societies, evolutionary and comparative Perspective, Englewood cliffs, New Jersey Prentice, Hall, Inc, 1966.

72- Quinn, James A, Urban Sociology, New York, Cincinnet, Chicago American Book company, 1955.

73- Reinhardt, James M. & Paul Meadoves & John M. Gillette, social Problms & Social Policy. American Book company, 1961.

74- Richards, Brian; Moving in the cities, Collier Mac Milan publishers, I. T. D. 1976.

75- Rouceck – Joseph s., Contemporary Sociology – urban Sociology. New York. Borrows. Place Muncicipa; Library, Philosophical Library, 1957.

76- Sharpe, Grant W. (Ed), Interpreting the Environment New York; London, Sydney, Toronts, John wiley L Sous. 1976.

77- Southwick. Charles H., Ecology & the Quality of Environment New York, cincinnet., Millbrae, Second, D. Van yestrand company, 1976.

78- Trysiam, Jeam – Paul. Sociologie et urbanisme, Paris Edition (Ed). 1970.

79- Worseley, Peter & Peter, Introducing Sociology, Penguin International Edition. First published, 1970.

80- Zahran, Mohsem, challenges in urban environment, Beirut Lebanon, Beirut Arab university. 1973.

81- Benton, William (publisher) Encyclopadia) Britannica, A Survey of Universal Knowledge, Printed in the U. S. A. vol. 22, 1966.

82- Urbanization. Its Problems & consequences, Report of Seminar in Social Problems & consequences of Urbanization, Held in Nairobi, Kenya, from 20 th November to 6 th December, 1967, Sponsored by the International Council of Social welf. are in Co operation with Its National communities for Kenya – National council of Social Service and Germany.

إصدارات للمؤلف

١- ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي. الشنهابي، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠١٠م.

٢- علم الاجتماع وميادينه. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م.

٣- المجتمع - الثقافة - الشخصية - دراسة في علم الاجتماع النفسي. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٥م.

٤- المجتمع - دراسة في علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.

٥- الثقافة - دراسة في علم الاجتماع الثقافي. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٦م.

٦- البناء الاجتماعي - الأنساق والجماعات. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٨م.

٧- علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨م.

٨- الطبقات الاجتماعية. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٨م.

٩- الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠١١م.

١٠- الفلسفة وعلم الاجتماع - دراسة في علم اجتماع الفلسفة. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١١م.

١١- التغير الاجتماعي والمجتمع. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨م.

١٢- التنمية: اجتماعياً، ثقافياً، اقتصادياً، سياسياً، إدارياً، بشرياً. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٩م.

١٣- تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٣م.

١٤- المشكلات الاجتماعية - دراسة في علم الاجتماع التطبيقي. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٠م.

١٥- أطفال الشوارع - دراسة في علم الاجتماع التطبيقي. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢.

١٦- الإعاقة والمعوقون - دراسة في علم اجتماع الخدمة الاجتماعية. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٩م.

١٧- الزمن وكبر السن والشيخوخة. دراسة في علم اجتماع الخدمة الاجتماعية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠١٠.

١٨- الاقتصاد والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي. المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
١٩- السياسة والمجتمع- دراسة في علم الاجتماع السياسي. مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠١٢.
٢٠- التصنيع والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع الصناعي. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
٢١- القانون والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع القانوني. المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠١١م.
٢٢- حقوق الإنسان - دراسة في علم الاجتماع القانوني، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١٢م.
٢٣- الإدارة والمجتمع - دراسة في علم اجتماع الادارة. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٢٤- علم اجتماع التنظيم. الإسكندرية، مرسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤.
٢٥- الأسرة والمجتمع - دراسة في علم اجتماع الأسرة. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١١م.
٢٦- الفقر والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٨م.
٢٧- الدين والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع الديني. الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٢٨- التربية والمجتمع - دراسة في علم اجتماع التربية. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤م.
٢٩- الأدب والمجتمع - دراسة في علم اجتماع الأدب. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
٣٠- الأيديولوجيا والمجتمع. المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨م.
٣١- البيئة والمجتمع - دراسة في علم اجتماع البيئة. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م.
٣٢- الأخلاق - دراسة في علم الاجتماع الأخلاقي. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.
٣٣- السكان والمجتمع - دراسة في علم الاجتماع السكاني. الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٣٤- الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٣م.

٣٥- الجريمة – دراسة فى علم الاجتماع الجنائى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٣٦- التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ٢٠١١م.
٣٧- العنف – دراسة فى علم اجتماع العنف. مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠١٠م.
٣٨- العلاقات العامة والاعلام من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٣٩- العلاقات الانسانية فى مجالات علم النفس – علم الاجتماع – علم الإدارة. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٤٠- العلاقات الاجتماعية فى القوات المسلحة – دراسة فى علم الاجتماع العسكرى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
٤١- المرأة والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع المرأة. الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٤٢- الحب والجنس والحياة الاجتماعية. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، جارى طبعه، ٢٠١٢.
٤٣- علم الاجتماع النفسى. مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٩م.
٤٤- الشخصية – دراسة فى علم الاجتماع النفسى. الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.
٤٥- الطفل – دراسة فى علم الاجتماع النفسى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م.
٤٦- التنشئة الاجتماعية – دراسة فى علم الاجتماع النفسى. الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.
٤٧- الذكاء – الأسس النفسية والاجتماعية. مركز الاسكندرية للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.
٤٨- الابتكار – الأسس النفسية والاجتماعية. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.
٤٩- التربية الرياضية – مدخل اجتماعى نفسى. المكتب الجامعى الحديث، ٢٠١١م.
٥٠- القيادة – دراسة فى علم الاجتماع النفسى والإدارى والتنظيمى. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١٠م.
٥١- التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية – دراسة فى علم الاجتماع السياسى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

٥٢- فى القوة والسلطة والنفوذ - دراسة فى علم الاجتماع السياسى. الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧م.
٥٣- الديموقراطية والحرية وحقوق الانسان - دراسة فى علم الاجتماع السياسى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٦م.
٥٤- الأحزاب السياسية وجماعات المصلحة والضغط - دراسة فى علم الاجتماع السياسى. مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨م.
٥٥- نظرية الرأى العام - دراسة فى علم الاجتماع النفسى والسياسى والاتصالى. مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠١١م.
٥٦- الادعاءات الصهيونية والرد عليها. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
٥٧- الاستعمار فى القرن العشرين. الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.
٥٨- العلم والبحث العلمى - دراسة فى مناهج العلوم. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٥٩- أصول البحث العلمى. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
٦٠- فى مناهج العلوم. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
٦١- العلمانية والعولمة - من منظور علم الاجتماع. الاسكندرية، مركزالاسكندرية للكتاب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
٦٢- المعلم والتعليم والتعلم. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٦م.
٦٣- نظرية المعرفة - دراسة فى علم اجتماع المعرفة. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٨م.
٦٤- المدينة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة التاسعة، ١٩٩٨م.
٦٥- دور المتغيرات الاجتماعية فى التنمية الحضرية- دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
٦٦- بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى - دراسات فى علم الاجتماع الحضرى. د. ن، ١٩٩٤م.
٦٧- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. دار الشروق، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.
٦٨- مشكلات المدينة - دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.
٦٩- بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى - دراسات فى علم الاجتماع الحضرى - مشكلات المدينة. المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م.

٧٠- التخطيط الحضرى. الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٤م.
٧١- التخطيط- مدخل اقتصادى اجتماعى. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١٠م.
٧٢- علم الاجتماع الريفى. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
٧٣- دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والأمراض - دراسة فى علم الاجتماع الطبى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.
٧٤- علم الاجتماع الطبى لشعب التمريض بالمعاهد الفنية الصحية. القاهرة، وزارة الصحة بالاشتراك مع منظمة الصحة العالمية، ١٩٩٧م.
٧٥- الأنثروبولوجيا فى المجال النظرى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٧٦- الأنثروبولوجيا فى المجال التطبيقى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٨م.
٧٧- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/ عبد الهادى الجوهرى - دراسات فى الأنثروبولوجيا. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠٢م.
٧٨- الأنثروبولوجيا فى المجالين النظرى والتطبيقى. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
٧٩- مشاكل وقضايا معاصرة. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٩م.
٨٠- أضواء على الحياة الاجتماعية. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٩٩م.
٨١- سلوكيات. الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ٢٠٠١م.
٨٢- سلوكيات إنسانية واجتماعية. مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٨م.
٨٣- مشاهد من الواقع الاجتماعى. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٥م.
٨٤- ثورة الغضب - دراسة لثورة ٢٥ يناير مقارنة بالثورات العالمية، مركز الإسكندرية للكتاب، جارى طبعه.
٨٥- الخوف من الحرية المطلقة - دراسة في علم اجتماع الحرية، مكتبة عماد طه، ٢٠١٢.
٨٦- الأمية الإيمانية والوظيفية وتعليم الكبار. جارى طبعه، دار الوفاء للطبع والنشر ، ٢٠١٢.
٨٧- الفساد والإفساد والمفسدون - دراسة فى علم اجتماع الفساد. مؤسسة شباب الجامعة، جارى طبعه.
٨٨- السلطة والبيروقراطية. جارى تأليفه.





المكتب الجامعى الحديث

مساكن سوتير- أمام سيراميكا كليوباترا

عمارة (5) مدخل 2 الأزاريطة - الإسكندرية

تليفاكس : 00203/4865277 - تليفون : 00203/4818707

E-Mail : modernoffice25@yahoo.com